تَثْبِيتُ المَسْؤُول بتَعَلُمِ ثلاثَــةِ الأُصُول.

لشيخ الإسلام مجدّد الدعوة وحامل لواء التّوحيد. الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي. (1115-1206 هـ).

دروس ألقيت في تبسة رعاها الله بعنايته

للشيخ أبي قتيبة عمر بن محمد الطاهر شابي التبسي

حفظه الله تعالى

جمع وترتيب إخوة من جمعية مناهل الخير بلدية ونزة ولاية تبسة رعاهم الله وثبتهم وزادهم حرصا على طلب العلم

عام ١٤٤٥هـ/٢٠٢٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

النّاشر دار المثقف للنشر والتوزيع
الجزائر- (باتنة)
الطبعة الأولى 1445 هـ – 2024م
(ISBN): 978-9931-13-725-2
إيداع القانوني: 2024/05

عنوان العمل: تَثْبِيتُ المَسْؤُول بتَعَلُمِ ثلَاثَـةِ الأُصُول.
إسم المؤلف: أبي قتيبة عمر بن محمد الطاهر الشابي التبسي.

الناشر/ دار المثقف للنشر الجزائر
صفحة الدار على فيسبوك:
https://www.facebook.com/elmothakaf
العنوان: رحى كالانج شارع الكتب القديمة طريق بسكرة-باتنة
هاتف / فاكس: 033 80 47 79
واتساب: 0675 49 73 86

جميع حقوق النشر الورقي والإلكتروني والمرئي والمسموع محفوظة للمؤلف وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ أو التعديل إلا بإذن منه.

©

تقريض الشيخ عبد الله العكور

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد:

أرسل إلى أخ فاضل _امتنع على ذكر اسمه ليبقى عمله لوجه الله _صورة لكتاب فيه تعليقات على الأصول الثلاثة. تحت مسمى تثبيت المسؤول بتعليم ثلاث الأصول . لابي قتيبة تعليقا على الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله. وإن مثلي ليس أهل أن يعلق على جهود أهل العلم من مشايخ فضلاء وطلاب علم أجلاء. وإنما أنا اتعلم مما تخرج من قرائحهم وتسطر أقلامهم وما اذكره إنما شهادة جهودهم لا تقيمات ولا تعليقات.

وقد قرأت هذه الشروحات والتعليقات قراءة إجمالية فوجدتها. **ذات نفع عظيم**

حيث انها:

- معضدة ببعض النصوص والشواهد
- وكذلك ذكر صاحبها أهمية الدعوة.
- وحاجه الناس الي ذلك.
- وأهميتها وأهمية رسالة الأصول الثلاثة.
- والثناء على الشيخ وجهوده رحمه الله.
- وكذلك وذكر هذه الأصول تعليقا على كل أصل.
- وذكر مسألة تكفير المعين وهذه من الأمور الخطيرة التي وجب التنبيه إليها .
- وكذلك ذكر النصح والإرشاد والوعظ في خاتمة الرسالة.
- والحرص على الاستعداد لما هو مقبل عليه كل إنسان في ميعاده.

و انصح بها. واسأل الله أن ينفع بها.

هذا باختصار هذا والله اعلم وبالله التوفيق.

- ورحم الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب. رحمة واسعة .
- وجزى الله صاحب الشرح الشيخ عمر بن محمد الطاهر خيرا.
- وكذلك أخص بالشكر من قام معه بترتيب هذه الرسالة واستخراجها.

وجعل ذلك في موازين حسناتهم. هذا والله اعلم وبالله التوفيق

كتبة الفقير إلى عفو ربه

علي بن عبد الله محمد عكور.

بتاريخ: الجمعة ١٩رمضان١٤٤٥ هـ الموافق لـ ٢٩ مارس ٢٠٢٤ نصراني

افتتاحية:

الحمد لله وحده والصّلاة والسلام على خير خلقه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد، هذه المادة العلمية المسطورة في هذه الأوراق هي شرح لرسالة: (ثلاثة الأصول وأدلتها) لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، استعنت الله في شرحها مع أبنائي الكرام وإخواني الأفاضل الذين أُحبهم في الله، وأودّ لهم كلّ خير وأرجو لهم السلامة من كلّ شر[1]، وذلك في مجالس عديدة ربت عن ثلاثين مجلسا على مدى أكثر من سنة. وقد جعلت لهذه السلسلة من الدروس عنوانا وسمتها به، وفيه دلالة على مضمونها وهو: تثبيت المسؤول بتعلم ثلاثة الأصول.

ولا يخفى على القارئ الكريم فحوى هذه الترجمة التي اشتملت على أسباب ثبات العبد المكلف حين يسأل في قبره الأسئلة الثلاثة المعلومة من قبل الملكين الكريمين منكر ونكير، كما ثبت بذلك الأثر وصح به الخبر من حديث الصحابي الجليل البراء بن عازب الذي أخرجه الإمام أبو داوود رحمه الله وغيره وهو حديث صحيح، جاء فيه كيفية مساءلة المقبور، وتوجيه الأسئلة التي تطرح عليه من قبل الملكين الكريمين، وكيف حاله وما له، بحسب إجابته عنها، ثم يحيا حياته البرزخية بعد ذلك إلى أن تقوم عليه الساعة.

وقد قصدت من عنوان هذا الشرح: أن العبد المكلف ذكرًا كان أو أنثى لا يتأتى له أن يجيب على هذه الأسئلة للملكين في قبره إلا أن يكون له علم بأجوبتها دراسة ودراية بمعانيها وفقهًا لأحكامها وعملًا بمقتضاها وملازمةً

[1] ونحن أيضا نشهد الله تعالى على حبنا لك وجزاك الله عنا كل خير ورفع قدرك في الدارين وجعل ما تبثه من علم وفضل وخلق في ميزان حسناتك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

لذلك، وثباتا عليه حتى الموت، -اَللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا بِالْقَوْلِ اَلثَّابِتِ فِي اَلْحَيَاةِ اَلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكُلِّ اَلْمُسْلِمِينَ-.

فما هو السبيل إلى ذلك كله؟-وهو الغاية من شرح هذه الرسالة اللطيفة الطيبة-

الجواب: السبيل هو التوجه إلى طلب العلم والإقبال عليه بتعلم هذه الأصول الثلاثة مقرونة بأدلتها، والحرص على استيعاب ما تضمنته من معارف وفوائد وحكم والمواظبة على حضور مجالس العلم والانتفاع بها،وبما يلقى فيها من العلوم الشرعية والآداب المرعية، مع مراعاة استحضار نية التعبد بذلك لله تعالى والإخلاص له فيها. وينبغي أن يكون شعار الطالب المجتهد في الانتفاع بهذه الأصول الثلاثة (عرفت فالتزم).

والمُوفق من وفقه الله تعالى لما يحبه ويرضاه. ويجنبه ما يسخطه ويأباه والله المستعان وعليه التّكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي آخر هذه الافتتاحية وعملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَن لا يشكرُ النَّاسَ لا يشكرُ اللهَ) أشكر كل من ساهم في إخراج هذا العمل المتواضع إلى النور من كتابة أو جمع وتدقيق وأسأل الله بمنه وكرمه وجوده أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم في ميزان حسناتهم وأخصّ بالذكر إخوة جمعية مناهل الخير الونزة ولاية تبسة على مجهوداتهم وجزاهم الله خيرا.

مقدّمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾

إنّ أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهَدْي هَدْي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

أما بعد:

فإني استخرت الله عزّوجل بعد الاتفاق مع أبنائي الأفاضل وإخواني الأماجد على دراسة رسالة: الأصول الثلاثة وأدلتها للشيخ الأواب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي رحمه الله **، وجاء التوفيق والتسديد من الله عزّوجل ذي المن والإحسان، وهو المحمود على ذلك ظاهرا وباطنا، خلوة وجلوة.**

فأقبلنا على دراسة هذه الرسالة المباركة وكلنا حزم وعزم واجتهاد و إقبال، مستحضرين النية الصالحة في طلب هذا العلم النّافع المتضمن في

هذه الرسـالة الطيبة، لرفع الجهل عن أنفسـنا ابتداءً ودعوة غيـرنا تبعًا، فكانت الدراسـة على مدى أكثر من سـنة في مجالس عقدت بين صـلاة المغرب والعشـاء، في بيت أخينا الموفق إن شـاء الله عزّوجل: (أبي عبد الرحمن عبد المؤمن زدايرية).

ومضـى الاتفاق: على حفظ متن الرّسـالة وفهم ما حوته من مسـائل اعتقادية وأحكام شرعية والعمل بمقتضى ذلك كله.

وقد تم الاختـيار لهذه الرسـالة: (الأصـول الثلاثة وأدلّتها) لسـببين هامين هما:

۞ أولا: أنها من المتون المختصـرة المفيدة النافعة في بابها. لأنها اشـتملت على بيان أهم الأصـول التـي بُني عليه دين الإسـلام. لذلك ينصـح العلماء الإثبات بالبدء بها في طلب العلم، وفق قاعدة: التدرج والبدء بصـغاره قبل كباره. وعلى قاعدة: أنّ تلقّي العلم يكون شـيئا فشـيئا. كما هو دأب سـلفنا الصـالح في طريق طلبهم للعلم، فإنّهم كانوا يأخذونه على مرّ الأيام والليالي، كما جاء مبينا في تلك القاعدة المنهجية: للإمام ابن شـهاب الزهري رحمه الله (ت١٢٤هـ)ـ ، التـي قعّدها لتلميذه يونس بن يزيد رحمه الله قال: يا يونس: ﴿اَلْعَلَم أَوْدِيَة إِن نَزلت أَوْ قَطَعت وَادِيًا أَوْ دَخَلت وَادِيًا، قَطَعت أَوْ قَطَعَكَ دُون أَنْ تَصِـلَهُ، وَلَكِنْ خُذْهُ مَعَ اَللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، فَمنْ رَام اَلْعلم جُمْلَةً ، فَاتَهُ جُمْلَةً وَ إِنَّمَا يطْلبُ اَلْعِلْمُ عَلَى مَرّ اَلْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي.[1]﴾

ويؤيد ذلك قول القائل:

اَلْـيَـوْم عِـلْـم وَغَـدًا مـثَـلـهُ ❁❁❁ مِنْ نُـخَـبِ اَلْـعَـلَـمِ اَلَّـتِي تَـلْـتَـقِـطُ.

[1] ذكره ابن عبد البر رحمه الله تعالى في كتابه جامع بيان فضل العلم(43/1)

يَـحْصُـــلَ اَلْمَـرْءُ بِـهَـا حُـكْـمُـهُ ❁❁❁ وَإِنَّمَـا اَلسَّـــيْـلُ اِجْتِمَـاعُ اَلنُّقطِ[1].

❁ **ثانيا:** إنها رغم صـــغر حجمها ووجازة مادتها إلا أنها احتوت على أهم المسـائل الاعتقادية المتعلقة باعتقاد أهل السـنة والجماعة والمتمثلة في الأجوبة الصحيحة النافعة المنجية من عذاب القبـر،عن تلك الأسئلة الثلاثة التـي تلقى على كلّ مكلف في قبـــره وهي: **من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟**والتـــي لا مفر من إلقائها على الميت في قبـــره وكذلك الإجابة عنها نفيا أو إيجابا، وذلك على حسب ما يعيش عليه العبد في الدنيا اعتقادا وقولا وعملا.

ومن هنا تأكدت أهمية هذه الرســـالة من جهة التعلم والتعليم والعمل والدعوة، فطفق علماء السنة قديما وحديثا يعنون بها تدريسا وشرحا وتعليما، وذلك للكبار والصغار والرجال والنساء. بل حتى العامة على حد سواء كل يأخذ بنصيبه منها بحسب قدرته واستيعابه.

أما الاسم المشهور لهذه الرسالة وهو: **الأصول الثلاثة وأدلتها**، ولكن اسمها الحقيقي هو: ثلاثة الأصول وأدلتها. لأنّ المصنف له رسالة أخرى مشابهة اسمها: **الأصول الثلاثة**. كتبها لتعليم الصبيان في الكتاتيب فلربما وقع الخلط بينهما.

وقد جاءت هذه الرسالة الوجيزة خلاصة وافية شافية متكاملة حوت مباحث عقائدية هامة لا يمكن للمســـلم أن يســـتغني عنها لأنها تمثل مناط تحقيق سعادته في الدنيا ونجاته في الآخرة وفوزه بالنعيم المقيم في جنة الخلد.

[1] **القائل هو محمد بن إبراهيم النحاس بهاء الدين** رحمه الله تعالى **(ت 698 هـ) كما في بغية الوعاء للإمام السيوطي** رحمه الله تعالى **(14/1)**

ترجمة موجزة لصاحب الرسالة:

هو شيخ الإسلام مجدّد الدعوة وصاحب لواء التوحيد. الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي. ولد الشيخ سنة (1115) للهجرة في بلدة (العُيَيْنَة) من بلاد نجد، وتوفي بـ (اَلدِّرْعِيَّة) عام (1206هـ) ودفن بها.

ونشأ بها حفظ القرآن الكريم ولم يبلغ العاشرة من عمره تلقّى دروسه الأولى في الفقه والتفسير والحديث على يد والده ﴿عبد الوهاب﴾ قاضي العُيَيْنَة ومفتيها رحمه الله وظهرت عليه منذ طفولته علامات الذكاء والفطنة وشدة الحرص على الإقبال على العلم، وكانت له حافظة قوية كثير المطالعة في كتب السلف لا سيما كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وتلميذه ابن القيم الجوزي رحمه الله وقد تأثر بهما كثيرا في منهج دعوته إلى الله عزّوجل فيما بعد.

خرج إلى الحج والتقى بعلماء مكة والمدينة وأخذ عنهم الفقه والحديث واللغة. ثم رجع إلى العراق ونزل بالبصرة وأخذ من علمائها واستفاد كثيرا من مدارسها وكتبها وقد ذكر حفيده: ﴿عبد الرحمن بن حسن﴾ رحمه الله أن جده ألف كتاب التوحيد بالبصرة، ولما رجع إلى بلاده مر بالأحساء فأخذ عن علمائه أيضا. وكان فطنا فصيحا ناصحا حاد الذهن سريع البديهة شجاعا لا يخاف في الله لومة لائم.

وبدأ نشاط دعوته إلى توحيد الله تعالى ومحاربة مظاهر الشرك، التي كانت تنتشر بكثرة في بلاده، وظهر له أعداء ومناوئون بسبب دعوته إلى التوحيد. وعلماء مخالفون له استمر في دعوته بلسانه وقلمه حتى انتقل والده وأسرته، فانتقل معه وهناك تعرض للمضايقة والمحاصرة من قبل القبوريين والخرافيين وعلماء السوء. فأغروا به بعض فساقها و اتفقوا على

قتله والخلاص منه، ولكن الله عزّوجل أنجاه من كيدهم. وتحول إلى الدرعية ونزل عند بعض طلابه. وكان أميـــرها رجلا صـالحا ذا دين اسـمه: ﴿الأميـــر محمد بن سـعود﴾ رحمه الله فقابله وعرض عليه دعوته فانشـرح صـدره لها. ووعده خيـرا لنصرته وواصل الشيخ دعوته بمؤازرة أميـر الدرعية و انتشرت دعوة التوحيد على يده و اندثر الشرك وانهزم أهله.

وقد عاش الشـيخ عمرا طويلا في الدعوة والتدريس والتعليم. وترك عديدا من المؤلفات منها المجلدات والرســائل وقد جمعت في مجموعة بعنوان الدرر السنية في الأجوبة النجدية.

وقـد عـاش يـدعو إلى الله وينصـح ويوجـه حتى و افتـه المنيـة في أواخر سـنة١٢٠٦ هـ. عن عمر ناهز واحدًا وتسـعين سـنة. ومن مؤلفاته المفيدة هذه الرسالة التي نقوم بشرحها.

من مزايا هذه الرسالة:

أنها جاءت مختصـرة قليلة العبارات والجمل، غزيـــرة المعاني كثـــيـــرة الفوائد، كتبت بأسلوب سهل يسير مفهوم لا تعقيد فيه، قد خلا من الحشو والتكرار، وجاءت ألفاظها جزلة وترتـــيب أبوابها متناسـبة وتراكيب عبارتها قوية ومتناسقة.

كما امتازت هذه الرسالة بأن:

- مسـائلها العقدية وأحكامها الشـرعية ومقاصـدها المرعية، وردت مرتبة مبوبة على أحسن الوجوه.
- قد قرنت بأدلتها الشرعية المناسبة المستفادة من الكتاب والسنة الصحيحة وأخبار السلف الصالح.
- فكانـت ميسـرة للحفظ والفهم والعمـل. وفـت بـالأمر الموعود وأصابت الغرض المقصود.
- فقرت بهـا أعين الموحـدين وسُـرت بهـا قلوب المؤمنين المتقين واستبشر بها أتباع السلف الصالحين.
- ووفق للعمـل بهـا. الأئمـة والـدعـاة المصـلحون على مـدى الأزمـان والسنين.

وقد صُـدرت هذه الرسـالة بثلاث مقدمات نافعة ومفيدة تتعلق ببيان أهمية ركائز الدين التي يبنى عليها وهي:

- المقدمة الأولى: وجوب العلم والعمل والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه.
- المقدمة الثانية: تقريـــر توحيد الربوبية والألوهية وعقيدة الولاء والبراء.

- المقدمة الثالثة: بيان توحيد وما يضـاده من الشـرك بجميع أنواعه ووسائله.

ثم شـرع في بيان غرضـه بالحديث عن الأسـئلة الثلاثة المقصـودة والإجابة عليها وجعلها أصولا ثلاثة ينبغي على كل مسلم معرفتها:

- الأصـل الأول: الإجابة على السـؤال الأول وهو معرفة الرب جل وعلا وذكر أدلة هذا الباب وبـراهينه ومَثّل ببعض العبادات القلبية التـي يكثر فيها الخلط.
- الأصـل الثاني: الإجابة على السـؤال الثاني وهو معرفة دين الإسـلام ومعرفته أركانه ومعرفة الإيمان والإحسان.
- الأصـل الثالث: الإجابة على السـؤال الثالث وهو معرفة النبي صـلى الله عليه وسلم وشيء من سيرته

توطئة بين يدي الرسالة:

اعلموا رحمني الله و إياكم: أن العبد من يوم أن وطأت قدماه هذه الأرض وهو مسـافر إلى ربه عزّوجل ، ومدة سـفره عمره الذي قدره الله عزّوجل له. وكتبه عليه.

قال الله عزّوجل: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ **الرعد: 38.**

وقال الله عزّوجل: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾ **فاطر: 11.**

وقد جُعلت أيامه ولياليه مراحل لسـفره، فلا يزال يطويها ويقطعها مرحلة مرحلة، حتى ينتهي به سفره إلى مُلاقاة ربه عزّوجل .

قال الله عزّوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾ **الانشقاق: 08.**

وقال جل وعلا: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾ **العنكبوت: 05.**

وقد أحسن القائل[1] حين قال:

(نَسِـيـــرُ إلى اَلْآجَالِ فِي كُلِّ سَـاعَةٍ ❁❁❁ فَـأَيَّـامُـنَـا تُـطْـوَى وَهـنّ مَـرَاحِـلُ)

(وَلَـمْ أَرَ مِـثْـل اَلْمَـوْتِ حَـتَّى كَـأَنَّـهُ ❁❁❁ إِذَا مَـا تَـخَـطَّـتْـهُ اَلْأَمَـانِي بَـاطِـلٌ)

(وَمَا أَقْبَحَ اَلتَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ اَلصِّـبَا ❁❁❁ فَـكَـيْـفَ بِـهِ وَالشَّـيْـب فِي اَلـرَّأْسِ

(تَرْحَـل مِن اَلـدُّنْيَـا بِزَادٍ من اِلْتَقَى ❁❁❁ فَـعُـمْـرُكَ أَيَّـامٌ تُـعَـدُّ قَـلَائِـلُ)

---

[1] القائل هو: عبد الله بن المعتز بالله وهو أحد خلفاء الدولة العباسـية، وكنيته أبو العباس، ولد عام (247 هـ، 861م)، في بغداد، وكان أديبا وشاعرا ويسمى خليفة يوم وليلة، حيث آلت الخلافة العباسية إليه، ولقب بالمرتضـى بالله، ولم يلبث يوما واحدا حتى هجم عليه غلمان المقتدر بالله وقتلوه في عام (296 هـ،909م)

والعبد الكيّس الفطن الموفق هو ذاك الذي يسعى جاهدا أن يقطع مراحل سفره كلها أو جلها سالما غانما، قد تزود من التقوى والعمل الصالح، حتى إذا انقشع ظلام ليل الدنيا وطلع صبح الآخرة يحمد سراه وينجلي كراه، وقد مثل النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا بسوق قام ثم انفض فكان أهلها منهم الرابح ومنهم الخاسر.

- كما في حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أَنَّ أَبَا سَلَّامٍ حَدَّثَ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ، أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ". كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا.[1]

إن الحديث اشتمل على صنفين من تجار الدنيا:

- أحدهما حَذَقَ تجارته، وأحسن التصرف فيها فحافظ بذلك على رأس ماله وزاد عليه ربحا وفيرا.
- وأما الآخر فقد أساء إدارة تجارته، فأتلف رأس ماله بسبب سوء تدبيره.

والعلماء الفطناء يقررون أن أشرف ما تنفق فيه الأعمار وتصرف فيه الأوقات هو طلب العلم النافع المثمر للعمل الصالح، المستقى من الكتاب

[1] صحيح مسلم | كِتَابٌ:الطَّهَارَةُ |بَابٌ: فَضْلُ الْوُضُوءِ رقم: ٢٢٣ والحديث ٢٣ من الأربعين النووية. سنسوق بإذن الله جل وعلا الأحاديث بتمامها ويتم التسطير على وجه الدلالة منها لتمام الفائدة ولحفظ أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ولمن قوية عزيمته وعظمت همته.

والسـنة الصحيحة بفهم سـلف الأمة، ولا ريب أن ذلك يحقق للعبد سـعادته في الدنيا ونجاته في الآخرة وفوزه بالنعيم المقيم.

والمعلوم أن طلـب العلم يعـد من أجـلّ العبـادات وأزكى القربـات و أنفع الطاعات بعد الفر ائض والواجبات. وهو أكثر خيـرا ونفعا وأجرا من كثيـر من نو افل العبادات.

كما ثبت ذلك في حديث حذيفة بن اليمان رضـي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فَضلُ اَلْعَلَمِ خَيْرٌمِنْ فَضْلِ اَلْعِبَادَةِ وَخَيْرُ دِينِكُمْ اَلْوَرِعُ"[1]

لأن القليل من العبادة مع العلم خيـر من كثـيـر من العبادة مع الجهل. فكانت زيادة العلم خير من زيادة العبادة.

قال سـفيان الثوري رحمه الله (ت١٦١ هـ): ﴿مَا مِنْ عَمَلِ أَفْضَـلُ مِنْ طَلَبِ اَلْعَلَمِ إِذَا صَحَّتْ اَلنِّيَّةُ﴾.[2]

وقال الشـافعي رحمه الله (ت ٢٠٤ هـ): ﴿طَلَبُ اَلْعِلْمِ أَفْضَـلُ مِنْ صَـلَاةِ اَلنَّافِلَةِ﴾.[3]

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخيـر أبو عبد الله البصري رحمه الله (ت ٩٥هـ): ﴿حَظّ مِنْ عِلْمٍ أَحَبّ إلى مِن حَظِّ مِنْ عِبَادَةٍ. وَلَئِنْ أُعَافَى فَأَشْكُرُ أُحِبّ إلى مِنْ أَنْ أُبْتَلَى فَأَصْـبِرْ. وَلَقَدْ نَظَرت فِي اَلْخَيْرِ اَلَّذِي لَا شَـرَّ فِيهِ فَلَمْ أَرَ مِثْلَ اَلْمُعَافَاةِ وَالشُّكْرِ﴾.[4]

---

[1] رواه الإمام الطبـر اني رضي الله عنه في الأوسط والبزار رحمه الله تعالى بإسناد حسن وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى . في صحيح الترغيب والترهيب برقم 68.

[2] ذكره ابن عبد البر رحمه الله تعالى في جامع بيان العلم:(25/1).

[3] المجموع النووي:(42/1).

[4] جامع بيان العلم لابن عبد البر رحمه الله تعالى: (64/1).

- **وقال الإمام الزهري** رحمه الله (ت ١٢٥هـ): **﴿مَا عُبِدَ اَللَّهُ بِمِثْلِ اَلْفِقْهِ﴾.**[1]
- **وقال ابن القاسم عبد الرحمن بن قاسم بن خالد العنقي أبو عبد الله المصري** رحمه الله **صاحب مالك** رحمه الله (ت١٩١ هـ) **قال: سمعت مالكا يقول: ﴿إِنَّ أَقْوَامًا اِبْتَغَوْا اَلْعِبَادَةَ وَأَضَاعُوا اَلْعِلْمَ فَخَرَجُوا عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَسْيَافِهِمْ وَلَوْ اِبْتَغُوْا اَلْعِلْمَ لَحَجَزَهُمْ عَنْ ذَلِكَ.﴾.**[2]
- **وكان الإمام أحمد** رحمه الله (ت ٢٦١ هـ)**يجُل أبا زُرعة الرازي** رحمه الله (ت ٢٤٦ هـ) **فكان إذا زاره في بيته ترك الإمام أحمد نو افله من الصلاة و أقبل على المذاكرة معه في العلم ومسائله المختلفة.**

ولقد رفع العلم أناسا كان ينظر إليهم على أنهم من الوضعاء والمتروكين.

قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.**المجادلة: 11**

وكان محمد بن عبد الرحمن الأوقص رحمه الله **عنقه داخلاً في بدنه، وكان منكباه خارجين كأنهما زُجَّان،**[3] **فقالت له أمه**ﷺ**: ﴿يَا بُنَيّ، لَا تَكُونُ فِي قَوْمٍ إِلَّا كُنْتَ اَلْمَضْحُوكَ مِنْهُ اَلْمَسْخُورَ بِهِ، فَعَلَيْكَ بِطَلَبِ اَلْعَلَمِ؛ فَإِنَّهُ يَرْفَعُكَ﴾ قال: فطلب العلم، فوُلّي قضاءَ مكة عشرين سنة، قال: فكان الخصم إذا جلس بين يديه يُرْعَد حتى يقوم.**

قال: ومرَّت به امرأةٌ يومًا وهو يقول: ﴿اَللَّهُمَّ أَعْتِقْ رَقَبَتِي مِنْ اَلنَّارِ﴾.فقالت له: يا ابنَ أخي، وأي رقبة لك؟!![4]

---

[1] المدخل إلى السنن للبيهقي رحمه الله تعالى ص 467 والخطيب رحمه الله تعالى في الفقه والتفقه:(1998)

[2] ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في مفتاح دار السعادة:(119/1).

[3] مثنى زج وهي الحديدة التي تجُعل في أسفل الرمح أو زوجان أي فرخان من الحمام وذلك لبروز منكبيه

[4] رواه الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى في "الفقيه والمتفقه" (141/1) رَقْم (120) ط/ دار ابن حزم.

قال إبراهيم ابن إسحاق الحربي رحمه الله (ت٢٨٥هـ): «**كان عطاء بن أبي رباح المكي مولاهم** رحمه الله (ت١١٤هـ) **عبدًا لامرأة من أهل مكة، وكان عطاء أسود أعور أفطس[1] أشل أعرج ثم عمي وكان ثقة فقيها عالما كثير الحديث، قال وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين هو و ابناه. فجلسوا إليه وهو يصلي. فلما فرغ انتقل إليهم فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج. وقد حول قفاه إليهم ثم قال سليمان لابنيه قوما. فلما قاما قال لهما: ﴿يَا بَنَيَّ لَا تِنْيَا فِي طَلَبِ اَلْعَلَمِ. فَإِنِّي لَا أَنْسَى أَبَدًا ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْ هَذَا اَلْعَبْدِ اَلْأَسْوَدِ﴾.**[2]

[1] مَن انْخَفَضَتْ قَصَبَةُ أَنْفه أَو مَن كان أَنْفه قصيرًا مُسَطَّحًا مُنْبَسِطًا.

[2] رواهالخطيب البغدادي رحمه الله تعالى في "الفقيهوالمتفقه" (31/1)

المقدمة الأولى من الرسالة:

قال المصنف رحمه الله: **بسم الله الرحمن الرحيم**

افتتح المصنف رحمه الله **رسالته بالبسملة:**

- **اقتداءً بكتاب الله عزّوجل المبدوء بالبسملة، وهي آية من القرآن العظيم وقد ابتدأت بها كل سورة منه ما عدا سورة التوبة فقد خلت منها.**
- **و أيضا اقتداءً بالنبي** صلى الله عليه وسلم **لأنه كان يبدأ مراسلاته ومكاتباته إلى الملوك والسلاطين بالبسملة.**

كما جاء في رسالته إلى هرقل ملك الروم. حملها إليه الصحابي الجليل دِحْيَةَ الْكَلْبِيّ رضي الله عنه كما من حديث ابن عباس رضي الله عنه: "**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسلام ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ ، و﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾**[1]

- **و اقتداء وتأسيا بسلفه الصالحين من العلماء الربانيين فقد دأبوا على افتتاح مصنفاتهم وكتبهم بالبسملة، والحمدلة التماسا للنفع والبركة منهما خلافا لأهل البدع فإنهم لا يبدؤون كتبهم بهما. ولكنهم يفتتحونها**

1صحيح البخاري رحمه الله تعالى كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ| بَابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ إِلى الْإِسلام. برقم:(٢٩٤٠)

بالتحدث عن أنفسهم أو عن غيرهم. لذلك تجد كثيرا من كتبهم خالية من البركة منزوعة منها أو أنها عديمة النفع قليلة الفائدة

- قال ابن جرير الطبري رحمه الله (ت ٣١٠ هـ): ﴿قد استقر عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتبهم بالبسملة وكذا الرسائل.﴾[1].
- أما ما ورد بشأن الأحاديث: كحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ كَلَامٍ أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللهِ فَهُوَ أَبْتَرُ - أَوْ قَالَ: أَقْطَعُ -) وقد روي الحديث بألفاظ أخرى نحو هذا .رواه الإمام أحمد رحمه الله في "المسند(14/329) " أو ما شابه ذلك فإن كل الروايات ضعيفة لا تصح كما أشار إلى ذلك أهل علم مصطلح الحديث ومنهم الشيخ الألباني رحمه الله (ت ١٤٢٠هـ)في إرواء الغليل في الحديث رقم ٢.

- بسم الله: الباء هنا للاستعانة وهو القول الصحيح وقد قيل إنها للمصاحبة وهو قول أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (ت٥٣٨هـ)[2] وذلك لنصر مذهبه الفاسد القائم على تقديم العقل على النقل.
- باسم: جار ومجرور متعلقان بمحذوف قدر بفعل مؤخر مناسب للمقام تقديره: "بسم الله أكتب" أو: "بسم الله أصنف". وأُخر هذا الفعل المقدر لفائدتين.

---

[1] ذكره الحافظ رحمه الله تعالى في الفتح (١٤/١).

[2] ينبغي الاحتراز من اعتزالياته أثناء قراءة كتبه.

- أولا: التبرك بالبداءة باسم الله تعالى لأنه كله بركة وخير.
- ثانيا: إفادة القصر والحصر. لأنّ تأخير ما حقه التقديم يفيد الحصـر والقصـر. مثل قولـه تعـالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ الفاتحة ٥.

- الله: اسـم علم على الباري تعالى وهو أشـهر الأعلام على الإطلاق وجميع أسـمائه الحسـنى الأخرى كلها تابعة له. متضـمنة فيه وهو أشـهر الأعلام على الإطلاق، وهو خاص بالرب تعالى ولا يسمي به غيره فإن فرعون عندما ادعى الربوبية على قومه لم يقل: "أنا الله" إنما قال الله تعالى على لسـانه: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾ النازعات ٢٤
  - ومعناه: المألوه والمعبود محبة وتذللا وخضوعا، وهو المقصود بالعبادة وحده دون ما سواه.
  - قـال ابن عبـاس رضـي الله عنـه مـا: ﴿مَعْنَـاهُ ذُو اَلْأُلُوهِيَّـةِ وَالْعُبُودِيَّةِ عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ﴾[1].
- الرحمن: اسم لله تعالى مختص به لا يسمى به غيـره. ومعناه: ذو الرحمة الواسعة. لأنه جاء على وزن «فعلان» وهي صيغة من صيغ المبالغة[2] تفيد السعة والامتلاء. فهو وصف لله تعالى بالرحمة الواسعة.

---

[1] ذكره ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنه.

[2] هناك أوزان يسـتعملها المتكلم بهدف الدلالة على الفاعل الذي يقوم بالفعل بكثرة أو شـدة، تعرّف المبالغة على أنّها أوزانٌ مخصوصةٌ موضوعةٌ لإفادةِ المبالغةِ في الوَصْفِ، ومعنى صيغة مبالغة أنها دالةٌ على الكثرة، وليس المعنى أنه مبالغٌ فيها دون إرادة الحقيقة مثل الرزاق؛ فإن الرزاق من أسـماء الله ﷻ، وجاء بهذه الصيغة للدلالة على كثرة من يرزقه الله ﷻ. فانتبه،كلام الشيخ بن عثيمين رحمه الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ **الإسراء ١١٠.**

- **الرحيم: اسم يطلق على الله وعلى غيره. ومعناه: ذو الرحمة الواصلة إلى من يشاء من عباده.**
- **فالرحمن: اسم يتضمن الصفة القائمة به سبحانه تعالى .**
- **والرحيم: اسم يتضمن الصفة الدالة على تعلقها بالمرحوم. قال الله جل وعلا:** ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ **.الأحزاب 43.**

قال المصنف رحمه الله: اعْلمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَع مَسَائِلَ:

- **المسألة الأُولَى**: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإسلام بالأَدِلَّةِ.
- **المسألة الثَّانِيَةُ:** الْعَمَلُ بِهِ.
- **المسألة الثَّالِثَةُ:** الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.
- **المسألة الرَّابِعَةُ:** الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ **[سورة العصر كاملة].**
- قَالَ الشَّافِعِيُّ ـــ رحمه الله تعالى: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وَقَالَ البُخَارِيُّ .رحمه الله تعالى: بَابُ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: 19]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ (قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ).

اعْلَمْ: فعل أمر من العلم وهو حكم الذهن الجازم المطابق للو اقع أي: كن متهيئا ومتفهما لما يلقى إليك من العلوم وهي كلمة يؤتى بها عند الأشياء المهمة التي يجب على المتعلم أن يصغي إليها فإن لم يطابق الو اقع فهو الجهل وهو قسمان بسيط ومركب.

فالبسيط: عدم المعرفة مطلقا.

والمركب: مركب من أمرين: من عدم مو افقة الو اقع وعدم علمه بأنه جاهل.

رَحِمَكَ اللهُ: جملة خبرية لفظًا إنشائيةٌ معنى تفيد الدعاء من المصنف رحمه الله للقارئ والسامع والمخاطب وكذا طالب العلم يدعو له بالرحمة، ليتمكن من تحصيل مطلوبه وينجو من محذوره وليغفر الله تعالى له ذنوبه المتقدمة ويوفقه ويعصمه من الوقوع في غيرها مستقبلا، وهذا الدعاء فيه تنبيه على أن مبنى هذا العلم قائم على الرحمة والتلطف والرفق والشفقة وقصد الخير للمتعلم، وذلك سبب في رفع همته وشحذ عزيمته وتقوية رغبته في الإقبال على طلب العلم النافع والاشتغال به، وهذا ديدنه في جميع مصنفاته ومؤلفاته فهكذا هم أهل السنة والجماعة أعلم الناس بالحق وأرحم الناس بالخلق.

أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ: أي يتحتم علينا ويلزمنا وقد يكون هذا الوجوب عينيًا أو كفائيًا. لكن بعض العلماء ذهب إلى أن الوجوب

المقصود هنا الوجوب العيني الذي يجب على كل مكلف من الإنس والجن القيام به لأنه يتعلق بأهم أصول دينه ومصيره بعد موته.

تَعَلُّمُ: أي تحصيل العلم النافع بوسائله المعلومة من: تلقّ وحفظ ومدارسة ومذاكرة وتدوين.

- والعلم: هو إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع إدراكا جازمًا دون شك أو ريب.
- والعلم: هو معرفة الهدى بدليله الموصل إليه.
- والعلم: المقصود هنا هو: العلم الشرعي الذي تضمنه الوحي من كتاب وسنة صحيحة. قال شيخ الإسلام ابن القيم[1] رحمه الله:

العلمُ قالَ اللهُ قالَ رسولُهُ ❁❁❁ قال الصَّحابةُ ليسَ بالتَّمويهِ
ما العلمُ نَصْبَك للخلافِ سفاهةً ❁❁❁ بينَ الرَّسولِ وبين رأيِ فقيهِ
كلَّا ولا جَحْدَ الصِّفاتِ ونَفْيَها ❁❁❁ حذَرًا من التَّمثيلِ والتَّشبيهِ

- ودليل وجوب طلب هذا العلم الشرعي: الحديث الذي رواه أنس بن مالك رحمه الله وأخرجه ابن ماجة وأبو يعلى والطبراني وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

قول النبي صلى الله عليه وسلم: "طَلَبُ اَلْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"[2]

---

[1] أَبُو عَبْدِ الله شَمْسُ الدِينِ مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي بَكرِبْنُ أَيُّوبَ بْنُ سَعْدِ بْنُ حُرَيْزِ الزُّرْعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (691هـ - 751هـ/1292م - 1350م) المعروف باسم «اِبْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ» أو «اِبْنِ القَيِّمِ». هُوَ فقيه ومحدّث ومفسّر وعالم مسلم مجتهد، وهو أحد تلاميذ شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى وإحدى حسناته تربى على يديه وتلقى العلم الشرعي عنه ولازمه سبعة عشر سنة.

[2] صحيح الجامع برقم :(4914) أما زيادة لفظ: "مسلمة" في آخرها فإنها لم تثبت.

أَرْبَع مَسَائِلَ: هذه المسائل من مهمات العلم المطلوب معرفتها وتعلمها وهي:

الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإسلام بالأَدِلَّةِ: هذه المسألة الأولى التي هي العلم. مما يجب علينا تعلمه وجوبا عينيا. والعلم إذا أطلق في نصوص الشرع وجرى على لسان السلف الصالح فإنه يقصد به العلم الشرعي وهو قسمان:

- علم ضروري: وهو الذي لا يحتاج إلى استدلال ونظر وتأمل. بل يُدرك ضرورةً. مثل العلم أن النارَ محرقةٌ.
- وعلم نظري: يتطلب الاستدلال والنظر والتساؤل والبحث مثلُ وجوبُ النيةِ في الوضوءِ. فإنه يحتاج إلى البحث في الدليل الموجب للنية كيما يصح الوضوء.

وقد فسر الشيخ رحمه الله العلم المراد في كلامه فقال: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإسلام بالأَدِلَّةِ.

قال ابن القيم رحمه الله في هذا العلم: ﴿هُوَ تَرِكَةُ اَلْأَنْبِيَاءِ وَتُرَاثِهِمْ. وَأَهْلُهُ عُصْبَتَهُمْ وورَاثُهَمْ، وَهُوَ حَيَاةُ اَلْقُلُوبِ، وَنُورُ اَلْبَصَائِرِ، وَشِفَاءُ اَلصُّدُورِ، وَرِيَاضُ اَلْعُقُولِ، وَلَذَّةُ اَلْأَرْوَاحِ، وَ أُنَسُ اَلْمُسْتَوْحِشِينَ، وَدَلِيلُ اَلْمُتَحَيِّرِينَ، وَهُوَ اَلْمِيزَانُ اَلَّذِي بِهِ تُوزَنُ اَلْأَقْوَالُ وَالْأَعْمَالُ وَالْأَحْوَالُ، وَهُوَ اَلْحَاكِمُ اَلْمُفْرِقُ بَيْنَ اَلشَّكِّ وَالْيَقِينِ ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ، بِهِ يُعْرَفُ اَللَّهُ وَيُعْبَدُ، وَيُذْكَرُ وَيُوَحَّدُ ، وَيُمَدَ وَيُمَجَّدُ، وَبِهِ اِهْتَدَى إِلَيْهِ اَلسَّالِكُونَ، وَمِنْ طَرِيقَه وَصَلَ إِلَيْهِ اَلْوَاصِلُونَ . وَمِنْ بَابِهِ دَخَلَ عَلَيْهِ اَلْقَاصِدُونَ﴾.[1]

[1] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين:(439/2)

- **قال الحافظ بن حجر العسقلاني[1] رحمه الله: ﴿وَالْمُرَادَ بِالْعِلْمِ: اَلْعَلَمُ اَلشَّرْعِيُّ اَلَّذِي يُفِيدُ مَا يَجِبُ عَلَى اَلْمُكَلَّفِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ فِي عِبَادَاتِهِ وَمُعَامَلَاتِهِ، وَالْعِلْمُ بِاَللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَمَا يَجِبُ لَهُ مِنْ اَلْقِيَامِ بِأَمْرِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَنْ اَلنَّقَائِصِ وَمَدَارُ ذَلِكَ عَلَى اَلتَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ﴾.[2]**
- **قال ابن القيم رحمه الله: ﴿وَلَا عُبِدَ اَللَّهُ وَحْدَهُ وَحُمِدَ وَ أُثْنَى عَلَيْهِ وَمُجِدَ إِلَّا بِالْعِلْمِ، وَلَا عُرِفَ فَضَّلُ اَلْإِسلام مِنْ غَيْرِهِ إِلَّا بِالْعِلْمِ﴾.[3]**
- **ولا تحصيل لمرضاة الرب وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، ونيل نعيم الجنة إلا بالعلم الشرعي، وبغيابه تزول النعم وتحل النقم، ويطول الغم والهم. فتقطع الرحم وتضيع القيم،ومثل هذا العلم المبين في المسألة الأولى لا ينفع فيه التقليد. فالواجب تحصيله بالدليل وقد اشتهر بين العلماء قولهم: ﴿لا ينفع التقليد في العقائد﴾.[4]**

---

[1] شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن أحمد الكناني العسقلاني ثم المصري الشافعي (شعبان 773 هـ/1371م - ذو الحجة 852 هـ/1449م)، مُحدِّث وعالم مسلم، شافعي المذهب، لُقب بعدة ألقاب منها شيخ الإسلام وأمير المؤمنين في الحديث

[2] فتح الباري بشرح صحيح البخاري:(141/1)

[3] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: (314/1)

[4] اشتهرت هذه المقالة عن الأشعري: أن إيمان المقلد لا يصح وقد أنكر أبو القاسم رحمه الله تعالى ذلك بقوله: ﴿وقد اشتهرت هذه المقالة عن الأشعري: أن إيمان المقلد لا يصح، وقد أنكر أبو القاسم القشيري، والشيخ أبو محمد الجويني، وغيرهما من المحققين صحته عنه، وقيل: لعله أراد به قبول قول الغير بغير حجة، فإن التقليد بهذا المعنى قد يكون ظنا، وقد يكون وهما، فهذا لا يكفي فيالإيمان، أما التقليد بمعنى الاعتقاد الجازم لا الموجب، فلم يقل أحد أنه لا يكفي في الإيمان، إلا أبو هاشم من المعتزلة.﴾

- نقل ابن تـــيمية عن الإمام أحمد﵀ قال: ﴿لَا يَجُوزُ اَلتَّقْلِيدُ فِيمَا يُطْلَبُ فِيهِ اَلْجَزْمُ وَلَا يَثْبُتُ إلَّا بِدَلِيلٍ قَطْعِيٍّ وَيَجُوزُ اَلتَّقْلِيدُ فِيمَا يُطْلَبُ فِيهِ اَلظَّنُّ وَ إثْبَاتُهُ بدَلِيلِ ظَنِّي﴾.[1]
- قال الإمام الاســـفر ايني [2] رحمه الله: ﴿قَالَ عُلَمَاؤُنَا وَغَيْرَهُمْ يُحْرَمُ اَلتَّقْلِيدُ فِي مَعْرِفَةِ اَللَّهِ وَفِي اَلتَّوْحِيدِ وَالرِّسَـــالَةِ وَكَذَا فِي أَرْكَانِ اَلْإِســـلام اَلْخَمْسَـــةِ وَنَحْوهَا بِمَا تَوَ اتَرَوَاشْـــتُهِرَ عِنْدَ اَلْإمام أَحْمَدْ وَالْأَكْثَرِ﴾[3] وذكره أبو الخطاب[4] رحمه الله عن عامة العلماء وذكره غيره أنه قول الجمهور.

وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ عزّ وجل: وتكون المعرفة المحققة بالقلب وتستلزم:

1. قبول شرعه عزّوجل المتضمن في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والإذعان له دون تردد أو معارضة أو معاندة
2. والانقياد له عزّوجل ولأحكامه القدرية والشرعية.
3. وتحكيم شـــرعـه عزّ وجـل في جميع منـاحي الحيـاة قليلهـا وكثيرها.
4. وعـدم الإعراض عن أوامره ونواهيـه أو تركهـا أو إهمـالهـا أو العمل بغيـرها، وكذلك يكون الحال مع ما صح من النبي صلى

[1] انظر المسودة في أصول الفقه لشيخ الإسلام ابن تيمية (408)

[2] أبو حامد الإسفر ايني أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفر ايني الفقيه الشافعي، فقيه، الملقب بركن الدين شيخ العر اقيين في المذهب الشافعي المتكلم الأصولي (ت 418 هـ)

[3] لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية:267/1

[4] أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن حسـن بن حسـن العراقي الكلوذاني البغدادي الأزجي الحنبلي (432 هـ - 510 هـ / 1041 - 1116م) شيخ الحنابلة في عصره، وتلميذ القاضي أبو يعلى بن الفراء.

الله عليه وسلم من الأخبار المتضمنة الأوامر والنواهي واشتملت على الأحكام والآداب والأخلاق.

- وهذه هي المعرفة الشرعية الحقة النافعة وتتحقق بالنظر في آيات الله المسطورة والتدبر في آيات الله المنظورة.
- ونعنى بالنظر في آيات الله المتلوة: فهمها والعمل بما تتضمنه من أوامر ونواهٍ وأحكام وآداب.
- وكذلك النظر في الآيات الكونية: بالتأمل في قدرة الله العظيمة، وبديع صنعه وحسن خلقه وكمال تدبيره والقيام على شؤون خلقه وكونه، وتقديره حق قدره وتعظيمه حق التعظيم.

- **قال الله تعالى:** ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ **الذاريات: (20-22).**
- **وقول الله تعالى:** ﴿أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٩﴾ **.سبأ: 09.**
- **وقول الله تعالى:** ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾ **النحل: (11-12).**

وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم: **أي النبي محمد** صلى الله عليه وسلم.

وهذه المعرفة تستلزم: قبول ما جاء به من الهدى ودين الحق والعمل به.

وتتحقق هذه المعرفة بأربعة أمور:

1. **طاعته فيما أمر.**
2. **وتصديقه فيما أخبر.**
3. **واجتناب ما نهى عنه وزجر.**
4. **وأن يعبد الله بما شرع**

وتثمر هذه المعرفة الصادقة المبنية على علم ورؤية وبصيرة ما يلي:

1. **التأسي به** صلى الله عليه وسلم **في كل ما جاء به**
2. **والاقتداء به** صلى الله عليه وسلم **في أقواله وأعماله وأحواله.**
3. **والرضا بما حكم** صلى الله عليه وسلم **دون تردد أو شعور بحرج في ذلك.**
4. **وعدم تقديم قول وعمل غيره على قوله وحكمه** صلى الله عليه وسلم.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾. سبأ: 65

وقال الله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًاۚ

فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿٦٣﴾ **النور: 63.**

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴿٥١﴾ **النور: 51.**

وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإسلام بالأَدِلَّةِ: **الإسلام له إطلاقان. إطلاق عام وإطلاق خاص ولكل منهما معنى.**

الإسلام بالمعنى العام: معناه عبادة الله وحده وعدم الإشراك به وهو دين جميع الرسل وقد أمروا بتبليغ ذلك. فكل من آمن بالرسول الذي أرسل إليه وصدقه و اتبعه فهو مسلم عابد لله موحد له.

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴿١٢٨﴾.**البقرة: 128.غ**

وقول الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴿٨٣﴾**آل عمران: 83.**

وقول الله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴿٧٢﴾**يونس: 72.**

وقول الله تعالى: ﴿۞رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ١٠١﴾ **يوسف: 101.**

أما المعنى الخاص للإسلام: وهو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وخُتمت به الرسالات والشرائع السابقة وقد تضمن العقائد والعبادات والأحكام والمعاملات على أكمل الوجوه وأتمها وهو الدين المعتبر المعيار عند الله تعالى وأكثر أهل الكتاب اختلفوا فيه وانحرفوا عنه بعد علمهم بحقيقته استجابة لأهوائهم ورغباتهم.

كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ١٩﴾ **آل عمران: 19.**

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ٨٥﴾ **.آل عمران: 85.**

وهو الذي لا يقبل الله تعالى دينا غيره: وكل دين بغير هذا المفهوم يأتي به صاحبه يوم الجزاء يرد عليه ولا يقبل منه.

كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ المائدة: 03.

بالأَدِلَّةِ: جمع دليل، والباء للمصاحبة والمعنى أن تكون معرفة العبد للإسلام مصحوبة بالأدلة الشرعية الصحيحة المستقاة من الكتاب والسنة الثابتة الصحيحة.

- الدليل: وهو ما يرشد إلى المطلوب وهو على وزن فَعِيلٌ بمعنى فَاعِلٌ، أي: دَالٌ من الدلالة والبيان والهداية والمتضمن نصا من كتاب أو سنة وإجماع أو قياس صحيح أو قول وفعل صحابي ما لم يخالف وقد يكون الدليل:
  - سمعيا نقليا: من كتاب أو سنة صحيحة.
  - عقليا نظريا: يثبت بالنظر والتأمل والبحث.

وفي ذلك إشارة إلى عدم نفع التقليد في مثل هذه المسائل الاعتقادية. ومعرفة هذه الأمور الثلاثة في المسألة الأولى يعد جوهر هذه الرسالة ومضمُونها المقصودُ إيضاحه وبيانه.

ثانيا العمل به: أي العمل بما يترتب على هذه المعرفة من اعتقاد صحيح وعبادة سوية وامتثال لأوامره واجتناب لنواهيه في الأحكام الشرعية وملازمة لطاعته تعالى في كل الأحوال والأوقات والهيئات.

- والحق الذي لا مرية فيه: أن العمل لا يكون إلا ثمرة للعلم إن تخلف عنه عُدِمَ النفع منه وجَرَّ الضرر إلى صاحبه.

- والمعلوم أن العلم يطلب العمل: فإن أجابه وإلا أرتحل وهو وسيلة مجدية تحقق ثباته ورسوخه، فإذا لم يرافقه كان العلم حجة على صاحبه، بتحمل تبعاته يوم القيامة يوم الحسرة والندامة

- كما جاء في الحديث الصحيح: الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمان، والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ المِيزانَ، وسُبْحانَ اللهِ والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ -أَوْ تَمْلأُ- ما بيْنَ السَّمَواتِ والأرْضِ، والصَّلاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهانٌ، والصَّبْرُ ضِياءٌ، والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ، أوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها، أوْ مُوبِقُها.[1].

- وقال بعض السلف رحمه الله: ﴿نَسْتَعِينُ عَلَى حِفْظِ اَلْحَدِيثِ بِالْعَمَلِ بِهِ﴾[2].

- قال أيوب السختياني[3] رحمه الله: قال لي أبو قلابة[4]: رحمه الله: ﴿يَا أَيُّوبُ... إِذَا أَحْدَثَ اَللَّهُ لَكَ عِلْمًا فَأَحْدِثْ لَهُ عِبَادَةً، وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ[5]﴾.

---

[1] الراوي: أبو مالك الحارث بن عصام الأشعري رحمه الله تعالى المحدث: مسلم رحمه الله تعالى | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: 223.

[2] رواه ابن عبد البر رحمه الله تعالى في جامع بيان العلم: ص (27). والقائل هو الإمام الشَّعْبِيُّ رحمه الله تعالى

[3] أبوبكر أيوب السختياني العنزي البصري (66 - 131 هـ / 685 - 748 م) سيد من سادات التابعين ثقة، وفقيه.

[4] أبو قِلَابَة عبد الله بن زيد الجرمي البصري، تابعي، وراوي لحديث النبي صلى الله عليه وسلم، ثقة، وفقيه، توفي سنة 104 هـ

[5] أخرجه أبو نعيم في الحلية (282/2).

والذي يكون همه الاســتزادة من العلم دون العمل، مثلُ رجلٍ احتطب حطبا فحزم حزمة فذهب يحملها فعجز عنها، فضــم إليها أخرى، وذلك ســبيل من يتعلم العلم يقصــد من وراء ذلك تحقيق المتعة النفســية والترف العقلي وزيادة الحجج عليه يوم لا يقبل الله عز وجل عُذرًا ولا حجة ولا مراجعة ولا استعتابًا.

- وكان الفضــيل بن عياض[1] رحمه الله يقول: ﴿لَا يَزَالُ اَلْعَالَمُ جَاهِلاً بِمَا عَلِمَ حَتَّى يَعْمَلَ بِهِ، فَإِذَا عَمِلَ بِهِ كَانَ عَالِمًا﴾[2].وجاء عنه رحمه الله: ﴿إِنَّ اَلرَّجُلَ لِيَتَعَلَّمُ اَلْبَابَ مِنْ اَلْعَلَمِ فَيَعْمَلُ بِهِ خَيْرُ مِنْ اَلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا﴾[3]
- وقال الإمام الثوري[4] رحمه الله: ﴿اَلْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ فَإِنَّ أَجَابَهُ وَإِلَّا اِرْتَحَلَ﴾[5].
- وقال رجل لإبــــراهيم بن أدهم[6] رحمه الله: قال الله ســبحانه وتعالى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْــتَجِبْ لَكُمْۚ﴾[غافر: 60]، فما لنا ندعو فلا يُســتجاب لنا؟ فقال إبــراهيم بن أدهم رحمه الله: ﴿مِنْ أَجْلِ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَـالَ: عَرَفْتُمْ اَللَّهَ وَلَمْ تُؤَدُّوا حَقَّـهُ، وَقَرَأْتُمْ اَلْقُرْآنَ وَلَمْ تَعْمَلُوا

---

[1] الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى بن مسعود بن بشر أبو علي التميمي اليــربوعي الخراساني. ولد في سمرقند سنة 107 هـ ونشأ بأبيورد، لقب بـ«عابد الحرمين» (ت 187 هـ).

[2] رواه الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى في كتابه اقتضاء العلم العمل:ص (37)

[3] ذكره ابن عبد البر رحمه الله تعالى في كتابه جامع العلوم والحكم ص (78)

[4] أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري رحمه الله تعالى (97 هــ - 161 هــ / 715م - 778م) فقيه كوفي، وأحد أعلام الزهد عند المسلمين، وإمام من أئمة الحديث النبوي، وواحد من تابعي التابعين.

[5] ذكره ابن عبد البــر رحمه الله تعالى في كتابه جامع بيان العلم وفضله: ص (269)وفي معناه ـ أيضًا ـ ما وَرَد عن عليٍّ رحمه الله تعالى مُختصَـرًا: «هَتَفَ العِلْمُ بالعَمَل، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ». من موقع الشـيخ فركوس حفظه الله تعالى .

[6] أبو إسحاق إبراهيم بن منصور بن زيد بن جابر العجلي ويقال التميمي توفي سنة 162 هـ

بِـهِ،وَقُلْتُمْ: نُحِـبُّ رَسُـولَ اَللَّهِ وَتَرَكْتُمْ سُـنَّتَـهُ،وَقُلْتُمْ: نَلْعَنُ إِبْلِيسَ وَأَطَعْتُمُوهُ، وَالْخَامِسَةُ: وَتَرَكْتُمْ عُيُوبَكُمْ وَأَخَذْتُمْ فِي عُيُوبِ اَلنَّاسِ﴾.[1]

- وقد كانوا يخشون هذه المسألة: يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: ﴿مَنْ يَزْدَدْ عِلْمًا يَزْدَدْ وَجَعًا﴾.[2]
- وكان يقول رضي الله عنه: ﴿إِنَّنِي أَخَافُ أَنْ يُقَالَ لِي يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ: أَعْلِمْتَ أَم جَهِلْتَ؟ فَأَقُولُ: عَلِمْتُ، فَلَا تَبْقَى أَيَّةٌ آمْرَةٌ أَوْ زَاجِرَةٌ إِلَّا جَاءَتْنِي تَسْأَلُنِي فَرْضِيَّتَهَا، فَتَقُولُ اَلْآمِرَةُ: هَلِ ائْتَمَرْتَ؟ وَتَقُولُ اَلزَّاجِرَةُ هَلِ ازْدُجِرْتَ؟﴾[3]
- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ قَالَ: قِيلَ لِابْنِ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ: كَانَ أَبُوكَ يَتَمَثَّلُ مِنَ الشِّعْرِ شَيْئًا؟، قَالَ: كَانَ يَتَمَثَّلُ:

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ نقطعها ❁❁❁ وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ مُجْتَهِدًا ❁❁❁ فَإِنَّمَا الرِّبْحُ وَالْخُسْرَانُ فِي الْعَمَلِ[4]

وقال آخر وقد صدق فيما قال:

يا مَن بِدُنياهُ اِشتَغَل ❁❁❁ وَغَرَّهُ طولُ الأَمَل
المَوتُ يَأتي بَغتَةً ❁❁❁ والقبرُ صندوقُ العَمَل[5]

---

[1] موارد الظمآن لدروس الزمان؛ عبدالعزيز السلمان رحمه الله تعالى ج6 ص(614).

[2] جامع بيان العلم وفضله ج1ص (135).

[3] جامع بيان العلم وفضله ج2 ص (3).

[4] كتاب كلام الليالي والأيام الابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى ص 30 رقم الحديث 37

[5] أقول: وهذا باب مهم جدا لمن فهمه، فانتبه يا طالب العلم فعلم قليل مع العمل به خير من علم كثير ولا عمل فاجتهد وليكن شعارك عَلِمْتَ فَاعْمَلْ

ثالثا (الدعوة إليه): **أي الدعوة إلى ما جاء به الرسول** صلى الله عليه وسلم **إلى شـريعته، كما أمر الله عزّوجل وبين في كتابه الكريم ملتزما نهج الأنبياء والرسل و أتباعهم في دعوتهم إلى الله عزّوجل:**

قال الله عزّوجل: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ **النحل: 125، ولا بد لمن يدعو إلى الله عزّوجل أن يحوز علما صحيحا مبنيا على أدلة الكتاب والسنة الصحيحة. وبفهم سلف الأمة الصالحين المتقدمين، ولا بد أن يكون ذلك على بصيرة وهو قدر زائد على العلم. وهذه البصيرة تكون بحال المدعو وطريقة الدعوة.**

قال الله عزّوجل: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ **يوسف ١٠٨.**

وقد تكون الدعوة إلى الله:

- **واجبة: في حق من توجهت إليه وتعينت عليه من العلماء الأثبات الثقات.**
- **وقد تكون مستحبة: بحسب البيئة التي يعيش فيها المسلم الموحد الداعي إلى الله عزّوجل . والظروف التي يحياها ونوع المدعوين الذين تتوجه إليهم الدعوة، بتعدد مراحلها واختلاف وسائلها وتنوع طرقها.**

- وفي الحديث قال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً[1]، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْـرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)[2]
- وقال صلى الله عليه وسلم: (فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ)[3].

والدعوة إلى الله عزّوجل وظيفة الرسل ومقام الأنبياء عليهم السلام ثم أتباعهم من بعدهم تبع لهم وأعلى مراتب هذه الدعوة دعوة الناس إلى توحيد الله عزّ وجل و إفراده بالعبادة وعدم الإشراك به. وأجر الداعي إلى الله عزّوجل عظيم وثوابه جزيل.

- كما جاء في حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر: " عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ "[4].

وقول الداعي إلى الله عزّوجل أحسن الأقوال و أنفعها وأعلاها درجة وأسماها مرتبة كما أشار إلى ذلك القرآن العظيم

---

[1] سُـقت الحديث بكامله للفائدة وللاعتناء بأحاديث النبي ﷺ وحفظها وشاهده على الكلام ما وضع تحته خط وهذا ما سيجري عليه العمل في جميع الرسالة.

[2] رواه البخاري رحمه الله تعالى برقم: 4/3461

[3] رواه البخاري رحمه الله تعالى في كتاب العلم برقم: 01/67

[4] رواه البخاري رحمه الله تعالى في كتاب الجهاد والسير برقم: 4/2942

في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴿٣٣﴾﴾فصلت٣٣

وروى عن قتادة رحمه الله أنه قرأ هذه الآية ثم قال: ﴿ هَذَا عَبْدُ صَدَّقَ قَوْلَهُ عَمَلَهُ، وَمُولَجَهُ مَخْرَجَهُ، وَسِرَّهُ عَلَانِيَتَهُ ، وَشَاهِدَهُ مَغِيبَهُ ، وَإِنَّ اَلْمُنَافِقَ عَبْدٌ خَالَفَ قَوْلُهُ عَمَلُهُ، وِمُولجُه مُخْرِجُهُ ، وَسِرُّهُ عَلَانِيَتُهُ ، وَشَاهِدُهُ مَغِيبُهُ[1]﴾ .

وأجر الداعي إلى الله عزّوجل متواصل متتابع لا ينقطع بموته بل يصله من الأجر ممن تبعه وعمل بما أرشده إليه من هدى وخير لا ينقص من أجر العامل شيء.

كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: **مَن دعا إلى هُدًى كان له من الأجرِ مِثْلُ أَجْرِ مَنِ اتَّبَعَهُ لم يَنْتَقِصْ من أجورِهم شيئًا ومَن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثمِ مِثْلُ آثامِ مَنِ اتَّبَعَهُ لا يَنْقُصُ من آثامِهم شيئًا[2]**

وعند مسلم رحمه الله **في رو ايته: عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ** رضي الله عنه، **قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ** صلى الله عليه وسلم، **فَقَالَ: إِنِّي أُبْدِعَ بِي[3] فَاحْمِلْنِي. فَقَالَ: "مَا عِنْدِي". فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَدُلُّهُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ** صلى الله عليه وسلم: **مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ.[4]**

---

[1] تفسير الإمام الطبري رحمه الله تعالى ص:480

[2] رواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى برقم :2674

[3] أُبْدِعَ بِي:أي انقطع بي السبيل لهلاك دابتي أو ضعفها.

[4] كتاب الامارة رقم: 6/1893

- قد تكون الدعوة بالقال وقد تكون بالحال والثانية أبلغ و أنفع وأرجى لاستجابة المدعو حيث تلتمس القدوة وتطلب الأسوة، وللدعوة إلى الله تعالى وسائل شتى ومجالات متعددة وضابطها: أن تكون على هدى السلف الصالح بعيدا عن الابتداع ووفق قاعدة: الوسائل لها حكم المقاصد.[1]فكل وسيلة دعوية تنافي نصا شرعيا أو تخالف مبدأ عاما من مبادئ الإسلام فاستعمالها محرم لا يجوزولا عبرة بقول القائل نحن في زمن تطورت فيه الأشياء والوسائل وتغير الناس ولا بد من دعوتهم بما يناسب عصرهم ويو افق ميولاتهم على حد ما جاء في القاعدة الميكافيلية الباطلة لصاحبها الفيلسوف الإيطالي نيكولو مياكافيلي وهي الغاية تبرر الوسيلة، أما عندنا نحن معشر أهل الإسلام القاعدة تقول: الوسيلة لها حكم الغاية.
- ويلزم الداعي إلى الله جل وعلا:

أن يتحلى بجملة من الصفات الحميدة: على رأسها الإخلاص في دعوته لله تعالى والصدق في القول والعلم والعمل ويتبع أحدهما بالآخر أعنى العلم والعمل فيو افق ظاهره باطنه ومظهره مخبره ثم يجتهد في دعوته إلى الله جل وعلا دون كلل ولا ملل ولا ييأس، وأن يبدأ بالأهم فالمهم،وحب الخير للناس والرفق بهم و اتساع الصدر لما

[1]أنَّ الوسائل لها أحكامُ المَقاصِد؛ فـ«مَا لَا يَتِمُّ الوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ»، و«مَا لَا يَتِمُّ المَسْنُونُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ مَسْنُونٌ»، ووسيلةُ الواجبِ قد تكون مأمورًا بها شرعًا: كالسعي للجمعة والطهارةِ للصلاة، وقد تكون مُباحةً لم يَرِدْ فيها أمرٌ مُسْتَقِلٌّ مِنَ الشرع: كإفرازِ المالِ لإخراجِ الزكاة: فالأُولى اجتمع فيها دليلانِ: النصُّ وقاعدةُ: «مَا لَا يَتِمُّ الوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ»، والأخرى ثَبَتَتْ بالقاعدة و انقلب المُباحُ فيها واجبًا، والمُباحُ قد يَصيرُ مندوبًا أو مكروهًا أو حرامًا بحَسَبِ تَعَلُّقِه بغيره، وقد يبقى المُباحُ على حالِه الأصليّ إذا لم يكن وسيلةً إلى أمرٍ آخَرَ. من موقع الشيخ فركوس حفظه الله تعالى .

يتعرض له من مخالفاتهم والحلم على جاهلهم والتواضع لهم وعدم اليأس منهم وغيرها كثير لمن فهم ووعى وعمل جاهدا وصبر.

ويجتنب الصفات الذميمة القادحة في دعوته: كحب الظهور القاسم للظهور والرياء وحب المحمدة وحب الزعامة وطلب السمعة والشهرة والتكلم بلا علم والتفيقه في الدين والتصدر للتعليم والتدريس والفتوى والعجب والغرور وغيرها من الآفات الضارة به وبدعوته.

وقد أحسن القائل حين قال:

تَصْدَّرَ لِلتَّدْرِيسِ كُلُ مَهُووسٍ ❁❁❁ بَلِيدٍ تَسَمَّى بِالْفَقِيهِ اَلْمُدَرِّسِ

فَحُقَّ لِأَهْلِ اَلْعِلْمِ أَنَّ يَتَمَثَّلُوا ❁❁❁ بِبَيْتٍ قَدِيمٍ شَاعَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ

لَقَدْ هَزُلَتْ حَتَّى بَدَا مِنْ هُزَالِهَا ❁❁❁ كُلَاهَا وَحَتَّى سَامَهَا كُلُّ مُفْلِسٍ

الرابعة الصبر على الأذى فيه:

- **الصبر لغة: الحبس والمنع.**

قال الله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ **الكهف ٢٨.يقال صَبَرَ يُصبِرُ نفسه على الشيء أي يَحْبِسُها عليه قال عنترة بن شداد[1]:**

فَصَبَرتُ عارِفَةً لِذَلِكَ حُرَّةً ❁❁❁ تَرسو إِذا نَفسُ الجَبانِ تَطَلَّعُ

- **والصبر: هُوَ ثَبَاتُ اَلْقَلْبِ عِنْدَ مَوَارِدِ اَلِاضْطِرَابِ[2]، والدين كله يحتاج إلى صبر ومصابرة، عند فعل المأمور وترك المحظور والانقياد لأحكام الشرع تنفيذا من غير ضيق ولا حرج.**

[1] هو ابن شداد العبسي فارس من فرسان الجاهلية وهو أحد أصحاب المعلقات مات: (615م)

[2] ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه عدة الصابرين ص: (40)

- والصبـر في الشرع: هو حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والجوارح عن لطم الخـدود وشــق الجيوب.وكـل ذلـك من دعوى الجاهلية.

وقد جاء عن ابن القيم رحمه الله في كتابه عدة الصابـرين وذخيـرة الشــاكرين قولـه: ﴿حَقِيقَةُ اَلصَّــبْرِ هُوَ خُلُقٌ فَـاضِــلٌ مِنْ أَخْلَاقِ اَلنَّفْسِ، يَمْتَنِعَ بِهِ مِنْ فِعْلِ مَـا لَا يُحَسِّــنُ وَلَا يُجَمِّلُ، وَهُوَ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى اَلنَّفْسِ اَلَّتِي بِهَا صَلَاحُ شَـأْنِهَا وَقَوَامُ أَمْرِهَا، وَسُـئِلَ عَنْهُ اَلْجُنَيْدُ بْن مُحَمَّدٍ فَقَالَ: تَجَرُّعُ اَلْمَرَارِ مِنْ غَيْرِ تَعَبُسٍ﴾[1]

فكل من دعا إلى الله تعالى بصــدق وتجرد وإخلاص فإنه ســيؤذى بشــتى أنواع الأذى ومن ثمَّ فإنه سيحتاج إلى الصبـر لأن ذلك يعد ضريبة السيـر على طريق الرسل و أتباعهم وواجبه عندئذ أن يصبــر ويتصبــر على كل ما يلاقيه ويحتسب أجره وثوابه عند الله تعالى وحده ، وتلك هي سنة الله تعالى التــي لا تتغير ولا تتبدل.

- كما قال الله تعالى مبينا طريق الرســل في تعاملهم مع أقوامهم:

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُــبُلَنَاۚ وَلَنَصْــبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴿١٢﴾﴾إبراهيم ١٢.

ولأن الداعي إلى الله يطالب الناس من خلال دعوته بالتخلي عن كثـيـر من شـهواتهم ورغباتهم وعاداتهم السيئة ومعتقداتهم الباطلة وهم لا يحبون ذلك فيتوجهون إليه بالأذى القولي أو البدني أو بكلاهما، وقد تكون هذه الرغبات والعادات التــي اعتادها هؤلاء المدعوون في أكثر الأحيان مخالفة لما جاء به

[1] ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه عدة الصابرين ص: (40)

الشرع ومناقضة له، وقد تعرض أكرم الخلق على الله وهم الأنبياء والمرسلون عليهم السّلام **إلى هذا الأذى بشتى صنوفه فما بالك، أنا و أنت فانتبه! يا رعاك الله.**

- **والصبر ينقسم إلى ثلاثة أقسام:**
- **<u>فإما أن يكون صبـــرا على الطاعة</u>: والدليل على هذا النوع ما قال الله تعالى:** ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ **لقمان ١٧، وقد كان النبي** صلى الله عليه وسلم **يصبـــر على مشـقة قيام الليل فيقوم قياما طويلا حتى تتفطر قدماه وقد لامته عائشـــة** رضـي الله عنه **في ذلك فقال: (أَفلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا).[1] والصبـــر على الطاعة يحتاج إلى بذل جهد ومجاهدة ومصـــابـــرة وتجلد بلوغا للغاية وتحقيقا للمقصود.**
- **<u>أو يكون صبـر عن المعصية</u>: ودليلها قول الله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢﴾. **الأحزاب ٢١.قال ابن كثـيـــر[2] رحمه الله في تفسيـــره للآية: أَيْ: عَنِ الْمَحَارِمِ وَالْمَآثِمِ، فَفَطَمُوا أنفُسَـــهُمْ عَنْ ذَلِكَ لِلَّهِ عزّوجل ؛ ابْتِغَاءَ مَرْضَـــاتِهِ**

---

[1] متفق عليه

[2] عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثـــير بن ضَوْء بن درع القرشي الحَصْلي، البُصروي، الشافعي، ثم الدمشقي، مُحدّث ومفسر وفقيه، ولد سنة 701 هـ، توفي إسماعيل بن كثير يوم الخميس 26 شعبان774 هـ في دمشق عن ثلاث وسبعين سنة. رحمه الله رحمة واسعة

وَجَزِيلِ ثَوَابِهِ.[1]وهذا عده العلماء أشقّ أنواع الصّبـــر على النفس لأن فيه ترك ما تشـتهيه وردعها عما تبتغيه ومنعها مما ترتضـيه ولذلك يتطلب جهدا زائدا لمنع النفس الأمارة بالسـوء من ارتكاب الذنب ومقارفة المعصية وليجعل السني السلفي نصب عينيه أن الصبـر عن محارم الله تعالى أيسر من الصبـر على عذابه فليجاهد نفسه ويستعن بربه.

- <u>أو يكون صبـــراعلى أقدار الله المؤلمة أو المفرحة:</u> ودليلها قول الله تعالى: ﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِـيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَـلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ١٥٧﴾ البقرةالآية156.

وعن أنس بن مالك رضـي الله عنه عن النبيصـلى الله عليه وسـلم: (إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَـا، وَمَنْ سَـخِطَ فَلَهُ السَّـخَطُ).[2]ومعناه أنّ العبد مطلوب منه أن يصبـر على ما نزل به من البلوى. بتقديـر الله تعالى وألا يسخط على ذلك ولا يعترض عليه، وأن يحسـن الأدب مع ربه تعالى ، وألا يشـكوه إلى خلقه. وليس له في هذه المواطن أوسع من الصبر،[3]وأما قبلها فالعافية أوسع له.

---

[1]تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى :(م4/ص84) .

[2]سنن الترمذي رحمه الله تعالى | أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. | بَابٌ:مَاجَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ برقم :4/2396

[3]ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه عدة الصابرين:" الصبر كما تقدم نوعان: اختياري واضطراري والاختـياري أكمل من الاضطراري فإن الاضطرارى يشترك فيه الناس ويتأتى ممن لا يتأتى منه الصبـر الاختياري ولذلك كان صبر يوسف الصديق عليه السلام عن مطاوعة امرأة العزيز وصبره على ما ناله

واســمع إلى هـذا الكلام النفيس من ابن القيم رحمـه الله تعـالى حين قال: والنفس مطية العبد التـي يسيـر عليها إلى الجنة أو النار والصبـر لها بمنزلة الخطام والزمام للمطية فإن لم يكن للمطية خطام ولا زمام شردت في كل مذهب[1].

ولذا فإننا نلتمس في حياة رسول الله الدعوية الأسوة الحسنة.

كما قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ **الأحزاب ٢١.**

فقد أوذي كثـيـرا وصبـر على ذلك وكان قد كُسِرَتْ رباعِيَتُهُ يومَ أُحُدٍ، وَشُجَّ في رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عنْه، ويقولُ: كيفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهو يَدْعُوهُمْ إلى اللهِ؟! فـأنْزَلَ اللَّهُ عزّ وجل: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾**آل عمران: 128[2] وفي رواية: كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأنْبِيَاءِ ضَـرَبَهُ قَوْمُهُ، وَهو يَمْسَـحُ الدَّمَ عن وَجْهِهِ، ويقولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فإنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ. وفي رواية: بهذا الإسْـنَادِ غيـرَ أنَّهُ قالَ: فَهو يَنْضِحُ الدَّمَ عن جَبِينِهِ[3] فكان صلوات ربي عليه وسلم هو الحاكي والمحكي عنه وهو المعني بذلك، فاللهم ارزقه الوسـيلة والفضـيلة والدرجة الرفيعة وجازه**

في ذلك من الحبس والمكروه أعظم من صبره على ما ناله من اخوته لما ألقوه في الجب وفرقوا بينه وبين أبيه وباعوه بيع العبد ومن الصبـر الثاني انشـاء الله سـبحانه له ما أنشـأه من العز والرفعة والملك والتمكين في الأرض."

[1] ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه عدة الصابرين ص: (40)

2 من أفراد مسلم رحمه الله تعالى على البخاري رحمه الله تعالى برقم: 1791

[3] الراوي: عبد الله بن مسعود ﷺ | المحدث: مسلم رحمه الله تعالى | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: 1792 |

عنا خير ما جازيت به نبيا عن أمته وصلّ عليه وسلم تسليما كثيرا،وأمره ربه تعالى أن يصبر كما صبر إخوانه الرسل عليهم السلام الذين من قبله:

- **قال الله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ **الأنعام ٣٤.**
- **قال الله تعالى:** ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ **الأحقاف٣٤.**
- **وقال الله تعالى:** ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ **الطور٤٨.**
- **وقال الله تعالى على لسان لقمان يوصي ابنه:** ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ **لقمان ١٧.**

فائدة: ومن هنا فإن الذي يريد أن يعلم هذه المسائل الأربع ويفقهها ويتمثلها ويعمل بها ويدعو غيره إليها ينبغي أن يصحبه صبر جميل خلال هذه المراحل كلها ليتسنى له الانتفاع المؤكد من هذه المسائل في دنياه وأخراه وليضع نصب عينيه قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ **النحل ١٢٧**

قال الناظم لهذه المسائل:

ولْتختِمُوا بالصَّبْرِ في كُلِّ أذَى ❁❁❁ وَمَنْ أَبَى فَلْيَهنِهِ مُرّ القَذَى
وخُذْ دَليلَ ما مَضَى في (العَصْرِ) ❁❁❁ وآيُها مَختومةٌ بالصَبْرِ

ثم ساق المصنف رحمه الله الدليل على ما سبق من تقريره فيما يتعلق بوجوب تعلم هذه المسائل المتقدمة فقال:

والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [سورة العصر كاملة].

وهذا دأب العلماء الربانيين رحمه الله لا يذكرون مسألة علمية إلا جاءوا بالدليل عليها موضحين وجه الدلالة فيما أرادوا من أدلة وشواهد ومبينين عدم وجود ناسخ أو معارض، لكي تجد قبولا لدى المخاطب بها، وقد أصاب الشيخ رحمه الله وكان موفقا جدا في اختياره هذا الدليل لأن السورة قد تضمنت معنى المسائل الأربعة.

- **<u>فصدرت السورة بقسم الله بالعصر</u>: وهو الدهر والزمن على أرجح الأقوال وهو محل الحوادث من خير وشر، ولله أن يُقسم بما شاء من خلقه وليس لنا نحن ألّا نقسم إلا به سبحانه وتعالى وبأسمائه وصفاته. كما هو مقرر في باب إقرار التوحيد ونفي الشرك.**
- **<u>ثم قررت السورة أن الإنسان</u>: كل جنس الإنسان لأن الألف واللام لاستغراق الجنس في خسران وهلاك ونقصان إلا صنفا واحدا من الناس وهم الذين حققوا هذه الصفات الأربع وهي: الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر التي تضمنتها سورة العصر.**

- الذين ءامنوا: إيمانا قد بُني على علم نافع بأدلته الصحيحة وهو المشار إليه في المسألة الأولى معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله صلى الله عليه وسلم ومعرفة دينه الإسلام بالأدلة، وكما هو معلوم فالإيمان قول وعمل واعتقاد وهذا الاعتقاد هو العلم، فأهل العلم ناجون بإذن الله سبحانه تعالى من الخسران المذكور في الآية المؤكدة في السورة.
- وعملوا الصالحات: وهي ثمرة إيمانهم فكان عملهم خالصا صوابا، وعَطفُ العمل على الإيمان من باب عطف الخاص على العام وذلك للتنبيه على أهميته وشرفه ومزيد الاهتمام به، وأن العمل من أصل الإيمان لا ينفك عنه لذلك يقال إيمان بلا عمل صالح لا يعتد به ولا عبرة به على مذهب المحققين من أهل العلم الصادقين العاملين الأثبات. وهي المسألة الثانية.
- وتواصوا بالحق: أن دعوا إلى هذا الإيمان والعلم النافع وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحث على الخير والترغيب فيه، بمعنى دعا بعضهم بعضا إلى الحق والهدى بعد بيانه بدليله وهذه الدعوة لا تكون دعوة حقة إلا إذا كانت مبنية على الدليل الصحيح الصريح الذي لا يجد المدعو بُدًّا من اتّباعه وقبوله والعمل به وهذه هي المسألة الثالثة.
- وتواصوا بالصبر: أوصى بعضهم بعضا بالصبر على الطاعة والصبر على العمل والصبر على أقدار الله سبحانه وتعالى وعلى أذى المخالف والمعادي والمناوئ، وعلموا أنه لا بد لمن يسلك هذه السبيل من بلاء وامتحان و إيذاء يلقاه في طريقه أثناء دعوته إلى الله سبحانه وتعالى

وزاده في ذلك كله الصـبـــر والتحمل والاســتعانة في ذلك كله بالله سبحانه وتعالى وحده. وهي المسألة الرابعة.

إذن كل الناس في خسـران محقق إلا من آمن وصـدق وعمل صـالحا ودعا الناس إلى ذلك وصبر على أذاهم فيه.

۞ قـال ابن القيم رحمـه الله: ﴿ فـإنَّ السَّــلفَ مُجمِعُونَ على أنَّ العالِمَ لا يسـتحِقُّ أن يُسـمَّى ربَّانِيًّا حتَّى يعرِفَ الحقَّ ويعمَلَ به ويُعلّمَهُ، فمن علِمَ وعمِلَ وعلَّمَ فذاك يُدعى عظِيمًا في مَلكُوتِ السَّمَاوَاتِ[1].﴾

ثم قال المصنف رحمه الله لبيان أهمية هذه السورة التي ساقها دليلا على ما أراد:

قَالَ الشَّـافِعِيُّ[2] ــ رحمه الله: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّـورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وجاءت رواية أخرى تقول: ﴿لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم﴾[3] والإمام الشـافعي رحمه الله لا يـــريد أن السـورة تكفي في معرفة الدين كله، بأصـوله وفروعه وأحكامه وشـرائعه وآدابه ولا يحتاج المسلم إلى غيـــرها إنما أراد أنها قد اشـتملت على أسـباب الفلاح والسـعادة، وكذا أسـباب الهلاك والخسـران، ففيها المبشـرات والمنذرات لمن فقهها وعمل بما فيها هدته إلى صـراط مسـتقيم وكان إلى النجـاة أقرب منه إلى الهلاك،فقد حوت الإيمـان والعمل الصـــالح

[1] زاد المعاد في هدي خير العباد: ٣ / ص٩

[2] أبو عبد الله محمد بن إدريس الشـافعيّ المُطَّلِبِيّ القُرَشِـيّ (150-204هـــ / 767-820م) هو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السـنة والجماعة، وصـاحب المذهب الشـافعي في الفقه الإسـلامي، ومؤسـس علم أصول الفقه، وهو أيضاً إمام في علم التفسير وعلم الحديث، وقد عمل قاضياً فعُرف بالعدل والذكاء.

[3] تفسير ابن كثير رضي الله عنه: (م365/7).

والدعوة الحقة والصبـــروهذه أركانُ الدين وأُسُسُـهُ، الذي قام عليها بنيانه المتين.

ولما ذكر شيخ الإسلام بن تـــيمية قول الإمام الشافعي رحمه الله **قال: وهو كما قال إنّ الله تعالى أَخبـر أنّ جميع الناس خاسرون إلّا من كان في نفسه مؤمنا صالحا، ومع غيره موصيا بالحق، موصيا بالصبر**[1] **."**

والخلاصـة: أن من آمن بالله تعالى وصـدق رسـوله صلى الله عليه وسلم **و اتبعه وعمل عملا صالحا ووصى غيـــره بالحق في دعوته إلى الله تعالى وصـبـــــر على أذية المدعو فإنه يسـلم من المؤاخذة والعقوبة والمعاتبة، ويكون قد أبـــــرأ ذمته مما أوكل إليه وطلب منه أن يؤديه وبذلك يكون قد نجح و أفلح في دنياه وفي آخرته بفضل ربه ومولاه تعالى.**

ثم قال الشيخ رحمه الله بعد ذلك: وَقَالَ البُخَارِيُّ[2] ـــ رحمه الله: بَابُ[3]: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إله إِلاَّ اللَّهُ وَاسْـتَغْفِرْ لِذَنبِكَ) [محمد: 19]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ (قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ)

والمراد أن قول الإنسـان لا اعتباره له في ميزان الشـرع إلا إذا صـدر عن علم صـحيح والمراد به العلم الشـرعي المؤيد بالدليل الصـحيح، فإن ذلك شـرط لصـحة القول والعمل معا فهو متقدم عليه، لأنّه تصـحيح للنية التـــي هي مصححة للعمل بعد ذلك ثم سـاق الإمام البخاري رحمه الله **دليلا على كلامه كعادة السلف** رحمه الله **لا يقولون إلا بدليل شرعي قال:**

---

[1] مجموع الفتاوى :152/28

[2] أَبُو عَبْدِ ٱللَّه مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيْلَ ٱلْبُخَارِيّ رحمه الله تعالى (13 شوال 194 هـ - 1 شوال 256 هـ) / (20 يوليو 810 م - 1 سبتمبـــر 870 م) هو أحد كبار الحفّاظ الفقهاء من أهم علماء الحديث وعلوم الرجال والجرح والتعديل والعلل جبل الحفظ

[3] ذكره في كتاب العلم باب رقم (10)

والدليل قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ محمد ١٩ **وهذا دليل سمعي نقلي تمثل في نص من القرآن العظيم.﴿فبدأ بالعلم قبل القول والعمل﴾ وهذا قول الإمام البخاري** رحمه الله **وهو دليل أثري نظري. ومضمون الآية أن الله تعالى أمر رسوله** صلى الله عليه وسلم **بالعلم قبل أن يقول ويفعل والخطاب له أصالة ولأمته تبعا ولا بد أن يكون هذا العلم المأمور به مأخوذا من الكتاب والسنة الصحيحة المتضمنة للوحي المعصوم الذي يستنبط منه الاعتقاد الصحيح والعبادة السليمة والأحكام القويمة والأخلاق الحميدة.**

- **وكان سفيان بن عيينة[1]** رحمه الله **يستدل على فضل العلم حين يسأل عن ذلك بهذه الآية فإذا قرأها قال: ﴿ألم تسمع إلى قوله حين بدأ به فقال: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ثم أمره بالعمل فقال: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾﴾[2].**
- **قال ابن القيم رحمه الله: في منظومته الماتعة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**

٤٢٥١–وَالجَهْلُ دَاءٌ قَاتِلٌ وَشِفَاؤُهُ ❁❁❁ أمْرَانِ فِي التَّركِيبِ مُتَّفِقَانِ

٤٢٥٢–نَصُّ القُرْآنِ أوْ مِنْ سُنَّةٍ ❁❁❁ وَطَبِيبُ ذَاكَ العَالِمُ الرَّبَّانِي

٤٢٥٣–وَالعِلْمُ أَقْسَامٌ ثَلَاثٌ مَا لَهَا ❁❁❁ مِنْ رَابِعٍ وَالحَقُّ ذُو تِبْيَانِ

٤٢٥٤–عِلْمٌ بأوْصَافِ الإلهِ وَفِعْلِهِ ❁❁❁ وَكَذلكَ الأَسْمَاءُ لِلرَّحْمنِ

---

[1] سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو عمر الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه إمام حجة الا أنه تغير حفظه بآخر حياته وكان ربما دلس لكنه من الثقات ومن رؤوس الحنفية الثمانية (107 هـ - 198 هـ / 725م - 814م) رضي الله عنه.

2حلية الأولياء ج: 07 ص 286

٤٢٥٥–وَالأَمْرُ والـنَّـهْيُ الَّـذِي هُـوَ ❁❁❁ وَجـزَاؤهُ يَـوْمَ المـعَـادِ الـثَّـانِـي

٤٢٥٦–وَالكُلُّ فِي القُرْآنِ والسُّـنَنِ ❁❁❁ جَـاءَتْ عَـنِ المـبْـعُـوثِ بـالـقـرآنِ

٤٢٥٧–وَاللَّهِ مَا قَـالَ امْرُؤٌ مُتَحَذْلِقٌ ❁❁❁ بِسِـوَاهُـمَـا إِلَّا مِـنَ الـهَـذَيَـانِ

فالعلم إذا سبق القول والعمل سلم صاحبه من الزلل ونجا من الخلل وكان على نهج الصحابة الأول رضوان الباري عليهم أجمعين وكان في كلامه البركة ولو كان قليلا. وهذا فيه إشارة قوية إلى أن المسلم لا ينبغي أن يقول أو يعمل إلا بعلم ليطمئن في نفسه وتقوم بقوله حجته على غيره فلا يستطيع لها ردا،لذلك جاء الأمر بالعمل وهو الاستغفار بعد العلم.لينال هذا المستغفر أجره ويحصل على ثوابه نتيجة هذا العمل الصالح المبني على العلم النافع وذلك هو المطلوب من العبد المطيع لربه في جميع أحواله.

المقدمة الثانية من الرسالة:

قال المصنف رحمه الله تعالى: اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاث المَسَائِل، والْعَمَل بِهِنَّ:

الأُولَى: أَنَّاللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل: 15، 16].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: 18].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: 22].

ثم ساق المصنف رحمه الله **ثلاث مسائل عامة أخرى وجعل تعلمها من أوكد الواجبات على كل مسلم ومسلمة ثم العمل بمقتضياتها، لأنها تُعَدُ من مهمات الدين وأصوله التي تتفرع عنها كثير من مسائل العلم الشرعي وهذا القدر لا بد من معرفته ويستوى في ذلك المطالب بمعرفته ذكرا كان أو أنثى حرا أو عبدا إنسيا أو جنيا.**

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْـلِمٍ وَمُسْـلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِالمَسَـائِل الثَّلاثِ، والْعَمَلُ بِهِنَّ:

واشتملت الأولى: على تقرير توحيد الربوبية.

واشتملت الثانية: على تقرير توحيد الألوهية.

واشتملت الثالثة: على عقيدة الولاء والبراء.

الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا: **هذه المسـألة تتعلق بإفراد الله عزّوجل بالربوبية، والخلق منصـفات الله عزّوجل الفعلية المتعلقة بالمشـيئة، فهو الخالقُ والخلاّقُ، فهو الخالق وحده وكلّ ما سـواه مخلوق خلق الخلق من عدم أوجدهم متى شـاء وكيفما شـاء والأدلة على ذلك سمعية عقلية:**

الأدلة السمعية:

قال الله عزّوجل: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ **الزمر 62**

و قال الله عزّوجل: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾ **الرحمن 3-4**

و قال الله عزّوجل: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ١٤﴾ **الرحمن 14.**

و قال الله عزّوجل: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ **الصافات 96.**

و قال الله عزّوجل: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٠﴾ **الروم 40.**

الأدلة العقلية:

قال الله عزّوجل: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾ **الطور35 -36.**

وهذا دليل نقلي عقلي وكما هو متقرر عند أهل العلم أن الدليل العقلي النقلي أقوى في الدلالة من الدليل العقلي الاستنباطي كما ذكر ذلك الشيخ صالح آل الشيخ رحمه الله. **فعند تدبر هذه الآية نجد أن القسمة العقلية تحمل ثلاثة أمور هي:**

- **أننا خُلقنا من غير شيء. وهذا ممتنع محُال بكل الوجوه.**
- **أننا خَلقنا أنفسنا وهذا أيضا محُال لأن العدم لا يخلق وفاقد الشيء لا يعطيه ولأن العدم ليس شيئًا فهو نقص محض، والخلق كمال والناقص لا يُوجد الكمال.**
- **لم يبق إلا احتمال ثالث وهو الحق وهو أن غيرنا خلقنا ولا بد أن يكون أكمل منا و أقدر وأعلم وأحكم ولا يكون ذلك إلا لله** عزّ وجل **الموصوف بصفات الكمال المطلق الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه.**
- **وهذه الآية من سورة الطور لها قصة مع الصحابي الجليل (جبير بن مطعم[1]** رضي الله عنه**) أيام كان مشركا وقد قدم المدينة في فداء أُسارى بدر فسمع النبي** صلى الله عليه وسلم **وهو يصلي المغرب**

[1] هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي، يكنى أبا جليل عارف بالأنساب مات(59هـ).

بأصحابه وهو يقرأ بالطور فلما سمع هذه الآية قال (كاد قلبي أن يطير وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي).[1]

- قال الخطابي[2] رحمه الله: معنى قوله: (كاد قلبي أن يطير) كأنه انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها ومعرفته بما تضمنته، ففهم الحجة واستدركها بلطيف طبعه،وذلك من قوله: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴿٣٥﴾﴾.[3]وكان وعي جبير رضي الله عنه لهذه الآية ومقصدها سبيلا في دخوله الإسلام لأجل أنه كان عربيا فصيحا والقرآن نزل بلغته.

- ورزقنا ولم يتركنا هملا: سبق في علم الله تعالى أن هذا الخلق الذي خلقه محتاج إلى رزق يحفظ له بقاء جنسه في الأرض، وذلك لأداء وظيفته المتعينة عليه وهي عبادة الله وحده تعالى وعدم الإشراك به، فرزقه بما يكفل له بقاءه ويؤمن له أداء مهمته التي لأجلها خلق ويتمثل هذا الرزق في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمركب والمأوى وكل ما يضمن لهذا المخلوق بقاء نوعه وجنسه والرِّزْقُ بكسر الراء هو ما يُرزق به المخلوق أو يُنتفع به كل مَرزوق وقيل هو العطاء، وأما الرَّزْقُ بفتحها فهو مصدر رَزَقَ وهو من صفات الله تعالى الفعلية فهو الرَازِقُ والرَّزَّاقُ، فرِزْقُهُ تعالى مقرون بخلقه، وقد تكفل الله عزّوجل وحده به فمادامت الروح في البدن فإن الرزق مضمون محفوظ كالظل يتبع صاحبه فهما قرينان متلازمان لا يفترقان إلا عند الموت.

---

[1] القصة مذكورة عند البخاري رحمه الله تعالى في كتاب التفسير برقم:(4854).

[2] أبو إسماعيل أحمد بن محمد الخطابي البستي صاحب معالم السنن (ت38هـ)

[3] ذكره ابن حجر في الفتح (م8/ص768).

قال الله عزّوجل: ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ هود ٦.

وقال الله عزّوجل: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٠ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٦١﴾ **لعنكبوت ٦٠-٦١**

قال ابن القيم رحمه الله:

٣٣٤٦ - وكَذَلِكَ الرَّزَّاقُ مِنْ أسْمَائِهِ ❁❁❁ والرِّزْقُ مِنْ أفعالِهِ نَوْعَانِ

٣٣٤٧ - رِزْقٌ عَلَى يدِ عبْدِهِ وَرَسُولِهِ ❁❁❁ نَوْعَانِ أَيْضًا ذَانِ مَعْرُوفَانِ

٣٣٤٨ - رِزْقُ القُلُوبِ العِلْمَ والإيمان ❁❁❁ رِزْقُ المُعَدُّ لِهذِهِ الأبْدَانِ

٣٣٤٩ - هذا هُوَ الرِّزْقُ الحَلَالُ وَرَبُّنَا ❁❁❁ رَزَّاقُهُ والفَضْلُ لِلمَنَّانِ

٣٣٥٠ - والثانِ سَوْقُ القُوتِ للأَعْضَاءِ ❁❁❁ تِلْكَ المجَارِي سَوْقَهُ بِوِزَانِ

وقد ثبت أن الله عزّوجل هو رَازِقُنا من الكتاب وصحيح السنة والعقل.

<u>من الكتاب العظيم:</u>

قال الله عزّوجل: ﴿۞وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ **الاسراء 70.**

قال الله عزّوجل: ﴿۞قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤﴾ **سبأ 22.**

من السنة المطهرة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ؛ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا).[1]

العقل: المعلوم أننا لا يمكن أن يعيش من دون رزق من طعام أو شراب ونحوهما وهذا الذي لا بد لنا منه في حياتنا هو الرزق إنما خلقه الله عزّوجل وحده لم يشاركه فيه أحد من خلقه.

قال الله عزّوجل: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾**الواقعة 63-64.**

قال الله عزّوجل: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾**الملك 21.**

وقال الله عزّوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾**فاطر٣.**

[1] مسند الإمام أحمد برقم: 3624 وخرجه الشيخان والحديث الرابع من الأربعين النووية.

وقد أحسن القائل [1] حين قال:

مَثَلُ الرِّزقِ الَّذي تَطلُبُـــــــــهُ ❁❁❁ مَثَلُ الظِّلِّ الَّذي يَمْشِي مَعَـــــكْ

أَنْـــــــتَ لَا تُدْرِكُـــــــهُ مُتَّبِعًا ❁❁❁ فَإِذا وَلَّيْـــــــتَ عَنْهُ تَبِعَـــــكْ

وقد قال آخر[2]:

مشينـــــاهَا خطًى كُتبتْ علينَـــــا ❁❁❁ ومن كُتبتْ عليه خطًى مَشـــاهَا

وأرزاقٌ لـــنـــا مـــتفـــرِّقـــاتٌ ❁❁❁ فمـــــنْ لم تأتِـــهِ منَّـــا أتـاهَـا

ومـــنْ كـــانتْ منيّتُـــه بـــأرضٍ ❁❁❁ فليسَ يمـــــوتُ في أرضٍ سـواهَا

والرزق يكـــون:

عـامـا يشـــترك فيـه الخلق جميعـا وهو مـا يقوم بـالبـدن ومـا يحُفظ به النوع، وتعلقه بالإنسان:

- **قد يكون من جهة الحلال.**
- **وقد يكون من جهة الحرام.**

خاصا وهو ذلك الذي يمنحه الله تعالى لأهل الإيمان والطاعة.

و أنفع أنواعه: العلم النافع المثمر للعمل الصالح.

(لم يتركنا هملا): الهَمَلُ بالتحريك هو السُـــدَى والمُهْمَلُ هو المتروك ليلاً ونهارًا أي الهَمَلُ والسُـــدَى لا يُعبأ به ولا يُهتم به ولا يُؤمر ولا يُنهى ولا يُكلف ولا يحُاسب على خيـــر ولا على شر،ولم يـــرد لفظ الهمل في القرآن الكريم و إنما ورد لفظ السدى كما:

قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾**القيامة 36.**

ولفظ العبث كما:

---

[1] القائل هو:محمد بن إدريس بن علي بن إبـــراهيم أبو عبد الله المعروف بمرج الكحل. شـاعر، من أهل جزيرة (شقر) بالأندلس، توفي بها سنة 634هـ.

[2] قالها الشاعر أبو العلاء المغربي (ت449هـ).

قـال الله تعـالى: ﴿ أَفَحَسِـبْتُمْ أَنَّمَـا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًـا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَـا لَا تُرْجَعُونَ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴿١١٦﴾ ﴾ المؤمنون 115وهو دليل سـمعي كما ترى،يفيد أنه ليس من الحكمة أن يخلق الله تعالى الخلق ثم يتركهم هملا وسـدى لا يأمرهم ولا ينهاهم ثم لا يحاسبون .

أما الدليل العقلي:

فإن وجود هذه المخلوقات تتمتع بشـتى النعم تُطيع وتعصى وتُصلح وتُفسـد وتحسن وتسيء وتعدل وتظلم ثم تموت إلى عدم من غيـر مؤاخذة ولا حساب ولا جزاء فإن هذا مناقض لحكمة الله تعالى ويعد من العبث الذي نزه الله تعالى عنه نفسه.

(بل أرسـل الينا رسـولا فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار): والرسول هو محمد صلّى الله عليه وسلم. وذلك دليل على أن الله تعالى لم يتركنا هملا لا نُؤمر ولا نُنهي،والحكمة من إرسال الرسل بيان ما:

- يجب علينا تجاه ربنا تعالى ونبينا ودِيننا ودنيانا.
- وما هي وظيفتنا الأسـاسـية التـي خُلقنا من أجلها وهي عبادة الله تعالى وحده.
- وكيف نهتدي إلى الصراط المستقيم ونثبت على ملازمة السير فيه.
- وكيف نفرد ربنا تعالى بالعبادة ولا نشـرك به شـيئا في كل شـؤون حياتنا.

ثم بين المصنف رحمه الله جزاء من أطاع الرسـول صلى الله عليه وسلم وكذا من عصاه فقال فمن أطاع النبي صلى الله عليه وسلم دخل الجنة والأدلة على ذلك كثيرة ثابتة من كتاب والسنة الصحيحة:

من الكتاب العظيم:

قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٣ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ٥٢﴾ **النساء 13.**

قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ٥٢﴾ **النور52.**

من السنة المطهرة:

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى ؟قَالَ: " مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى).[1]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، أَنَّهُ قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ). [2]

ومن عصاه دخل النار: وذلك بعد بلاغ الرسالة وبيانها و إقامة الحجة بالدليل والبرهان قالا وحالا

[1] صحيح البخاري | كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ | بَابُ الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. رقم 7280

[2] صحيح مسلم | كِتَابٌ: الْإِيمان | بَابٌ: وُجُوبُ الْإِيمان بِرِسَالَةِ النَّبِيِّ برقم 153

- **قال الله تعالى:** ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ **النساء 14.**
- **وقال الله تعالى:** ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ **الجن 23**
- **ثم ساق الدليل على ذلك وهو قوله تعالى:** ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ **المزمل 15-16.**

والمراد من الآية تحذير أمة النبي صلى الله عليه وسلم **مما فعل فرعون وقومه بنبيهم موسى** عليه السلام **فيصيبهم ما أصابهم.**

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: 18].

وهذه المسألة تتعلق أساسا بتوحيد الألوهية والعبادة.

مراد الشيخ رحمه الله: المقصود أنه لا يجب أن تصرف العبادة بكل أنواعها لا في قليل ولا كثير إلا إلى الله تعالى وحده،دون ما سواه سواء تعلق الأمر بعبادة القلب أو اللسان أو الجوارح.ولا يُصرف منها شيء لغيره، فإن الله تعالى لا يرضي له شريكا في عبادته ولا يرضى الله تعالى الشريك في العبادة مهما علا شأنه وسمت رتبته وعظمت مكانته وقربه من الله تعالى ولو كان جبريل عليه السلام **من الملائكة وهو المقدم عند الله تعالى على غيره من الملائكة، ولو كان النبي** صلى الله عليه وسلم **وهو خير الخلق عند**

الله تعالى وأحبهم إليه و أقربهم إليه بل هو سيد البشر طُرّا[1] والسبب في ذلك أن هذه العبادة لا تصلح إلا لله تعالى ولا تصلح لغيره. ودليل ذلك ما ساقه المصنف من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾.

- والمساجد: جمع مسجد. لغة: كل مكان يسجد فيه لله تعالى .
- وإصلاحا: هو المكان المعد للعبادة كالصلاة والذكر وقراءة القرآن وغيرها، وقد يراد به كل مكان يسجد فيه لله تعالى

كما في حديث جابر رضي الله عنه في الصحيحين وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رضي الله عنه (أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وجُعلَتْ لي الأَرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، و أَيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتي أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لي الغَنَائِمُ، وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ كَافَّةً، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ)[2].

وقد يراد به أعضاء السجود السبع، فينبغي أن لا تسجد هذه الأعضاء السبعة الا لله تعالى وحده، وهي سبعة أعظم كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أُمِرْتُ أنْ أسْجُدَ علَى سَبْعَةِ أعْظُمٍ علَى الجَبْهَةِ، وأَشَارَ بيَدِهِ علَى أنْفِهِ واليَدَيْنِ والرُّكْبَتَيْنِ، وأَطْرَافِ القَدَمَيْنِ ولَا نَكْفِتَ الثِّيَابَ والشَّعَرَ)[3].

---

[1] طُرًا: بمعنى جميعا

[2] البخاري كتاب الصلاة :(رقم 438)، مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم: (521)

[3] البخاري كتاب الآذان برقم: (812) ومسلم كتاب الصلاة برقم: (490)

- والمقصـــود: أنه يجب على المســـلم أن يخلص عبادته ودعاءه لله تعالى سواء كان دعاء عبادة كالصلاة والنذروالذبح وغيـرها أو كان دعاء مســألة بأن تســأل الله تعالى المغفرة والرحمة والجنة والولد والصحة والرزق وغيرها وجاءت كلمة (أَحَدًا) نكرة في سياق النهي لتدل على العموم، والمعنى: لا تدعو مع الله تعالى أحدا أيّا كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا أو وليا صالحا أو جنيا أو حجرا أو شجرا أو غير ذلك.

المقدمة الثانية من الرسالة:

"الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُـولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُـولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِـيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: 22].

هذه المسألة:

تُقرر أصلا عظيما من أصول معتقد أهل السنة والجماعة وهو الولاء والبراء. أو الموالاة والمعاداة، وذلك خلافا لما يعتقده أهل الأهواء والبدع والضلالات. وهذا لأنه لا يَصِحُّ للعبد دين ولا يستقيم له إسلام إلا بتحقق هذا الأصل العظيم اعتقادا وقولا وعملا، وهو تولي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم **والمؤمنين والبراءة من الشرك والكفر ومن أهله وإعلان ذلك دون تردد ولا ارتياب،وقد أساء كثير من المسلمين فهم هذا الأصل فبعضهم تساهل فيه، جهلا به أو تجاهلا له أو غفلة عنه وعن العلم به وتحقيقه ، وبعضهم أخطأ في إنزال أحكامه وتطبيقه على أهل زمانه،وقد تباينت مو اقف المسلمين بشأن هذا الأصل العقدي العظيم فأصبحنا نرى عند بعض المسلمين تغييبا لمبادئ الولاء والبراء غير مبالين بالضو ابط الشرعية التي يجب أن تحكم علاقتهم وتعاملاتهم مع غير المسلمين ، فلا ترى فرقا بين علاقة بعض المسلمين بغير المسلمين، وعلاقتهم بالمسلمين، بل قد تتميز علاقة بعض المسلمين بالكفار على علاقتهم بالمسلمين من جهة الإحسان**

والتودد والرفق والمحبة والمودة دون الشـعور بخطر ذلك وضـرره وكذلك في مجال معاملة أهل السـنة وأهل البدعة. وهذا خلل واضـح و اقع في هذا الأصل فلزم من ذلك معرفة معنى الولاء والبـراء لان الحكم على الشيء فرع عن تصوره كما يقول الأصوليون

فما هو الولاء والبراء؟؟

- الولاء في لغة العرب: هو المحبة والنصرة والإتباع والقرب من الشيء، وأن تكون مع المحبوب ظاهرا وباطنا، في أقوالك و أفعالك وأحوالك وهو ضد المعاداة.
- أما المعنى الشرعي: يتضمن المعنى اللغوي نفسه وأصل الولاء المحبة فلا يوجد ولاء بدون محبة، لذلك:

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: ﴿الوَلايةُ: ضِدُّ العَداوةِ، وأصلُ الوَلايةِ: المَحَبَّةُ والقُرْبُ، وأصـلُ العَداوةِ: البُغضُ والبُعدُ. وقد قيلَ: إنَّ الوَلِيَّ سُمِّي وليًّا مِن مُوالاتِه للطَّاعاتِ، أي: مُتابَعَتِه لها، والأوَّلُ أصَحُّ. والوَلِيُّ: القَريبُ، يُقالُ: هَذا يَلي هَذا، أي: يَقرُبُ منه﴾[1].وأصـلُ الوَلايةِ: المَحَبَّةُ والقُرْبُ، وأصـلُ العَداوةِ: البُغضُ والبُعدُ: وما ينشـأ عنهما من أقوال و أفعال هي ثمرته تظهر على مسـتوى القلوب والجوارح. مثل الأُنس والنُصرة والمُعاونة والمُهاجرة والهَجر والموادة.

- إذاً الولاء شـرعا: هو التقارب بين القلوب والمحبة وما ينشـأ عن ذلك وهو نوعان:

[1] يُنظر: ((الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)) (ص: 9).

❖ ولاء مشـروع: **وهو مطلوب وواجب وهو محبة الله تعالى ورسـوله** صـلى الله عليه وسـلم **ودين الإسـلام والمؤمنين، ونصـرة شـريعته** صلى الله عليه وسلم **والذب عن سنته والمُنافَحَة عن دينه ومحبة أهل الإيمان ومناصرتهم ومؤازرتهم والذب عن إعراضهم**

❖ ولاء ممنوع محرم: **وهو قسمان:**

- **ولاء كفري: وهو محبة الكفار لأجل دينهم وما ينشأ عن ذلك من الأقوال والأفعـال، وهو نـاقض من نو اقض الإسـلام هـادم للدين مخرج منه إلى ملة الكفر والدليل قوله الله تعالى:** ﴿۞ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ المائدة ٥١ **ألا ترى أنه قال فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ أي من تولى الكفار من أهل الكتاب فهو مثلهم ومنهم.**
- **ولاء فسـقي: وهو محبة الفسـاق والعصـاة من المسـلمين. وكذا محبة الكفار للدنيا لأجل المصـلحة وكسـب الجاه والمال عندهم، مع تحقق بغضهم بالقلب فان ذلك معصية كبيـرة وصـاحبها على خطر كبيـر كما في قصـة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه .**

❁ **أما البراء في لغة العرب: هو التنزه والتباعد من الشيء. وأصل البراءة التخلص مما يكره.**

❁ **والبـراء في الشـرع عند علمائنا: هو بغض ما يبغضـه الله تعالى ومعاداته والتبـرؤ ممن يعادي الله تعالى ورسوله** صلى الله عليه وسلم

والمؤمنين وإظهار العداوة لهم وعدم مقاربتهم إلا فيما إذن فيه الشارع الحكيم.

- ومراد الشيخ رحمه الله:

في المسألة أن من أطاع الرسول صلى الله عليه وسلم وتأسى به وتبعه ونصره قولا وعملا. ووحد الله تعالى توحيداً كاملاً يحرم عليه أن يحب الكفر والشرك وأهله وأن يواليهم ويناصرهم ويوادّهم، فإن فعل ذلك فإنه قد خالف أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم وقد حاد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وعادى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ولو كان هذا المقصود بالمودة والمحبة والنصرة أقرب الناس إليه ابتداء بالآباء والأمهات والأبناء والإخوان والعشيرة والأصدقاء،كما ذكرت ذلك الآية الكريمة التي أوردها المصنف رحمه الله شاهدا على مراده.

- فالواجب: اجتماع موالاة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. ومعاداة الكفر والشرك وأهله في قلب المؤمن، فإن ذلك محض الإيمان الخالص والتوحيد الصادق.
- والممنوع: اجتماع موالاة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. مع موالاة الكفر وأهله في قلب المؤمن، فإنهما نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان في آن واحد في قلب المؤمن.

قال الله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾المجادلة / 22

- **لاَ تَجِدُ: جملة منفية والنفي أبلغ في النهي لأنه يعم جميع الأزمنة ماض وحاضرومستقبل وفيه نهي وزيادة.**
- **ومعنى الآية: لا تجد أناسا يتصفون بصفتي الإيمان بالله تعالى واليوم الآخريحبون من حاد الله تعالى ورسوله** صلى الله عليه وسلم **أي من شاق الله تعالى ورسوله** صلى الله عليه وسلم، **أي من عادى الله تعالى ورسوله** صلى الله عليه وسلم **والمحاداة هي المجانبة والمخالفة والمعاداة المتضمنة لبغض ما أمر الله تعالى ورسوله** صلى الله عليه وسلم به، **أي أن الله تعالى ورسوله** صلى الله عليه وسلم **في حد والمخالف لهما والمشاق لهما في حد آخر مضاد له، ومشاق له في أصوله وفروعه وباطنه وظاهره. وقد ورد هذا المعنى في كتاب الله تعالى في عدة آيات منها:**

- **قول الله تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ **الأنفال 13-14**
- **قول الله تعالى:** ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ **الممتحنة 04.**

قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ **التوبة 23.**

قول الله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ **المائدة 51 .**

والولاء قسمان:

أولا التولي: بمعنى محبة الكفار والشرك وأهله بالقلب ونصرتهم على المسلمين مضاهاتهم وإعانتهم بكل الوسائل المادية والمعنوية ضد المسلمين والفرح بغلبتهم على المسلمين وهو من الكفر الأكبر المخرج من الملة. ودليله من الكتاب:

قول الله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ المائدة ٥١.

قول الله تعالى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠﴾. المائدة ٧٩-٨٠.

وقد ذكر الشيخ رحمه الله هذا النوع في نو اقض الإسلام العشر[1]

ثانيا الموالاة: وهي الموادة والمصادقة وهي ضد العداوة.

[1] انظر: الإمام محمد بن عبد الوهاب الرسائل الشخصية ص .(212-214)

قال شيخ الإسلام ابن تـيمية رحمه الله: ﴿**فَإِنَّ الْوِلَايَةَ ضِدُّ الْعَدَاوَةِ و" الْوِلَايَةُ " تَتَضَـمَّنُ الْمَحَبَّةَ وَالْمُوَافَقَةَ و" الْعَدَاوَةُ " تَتَضَـمَّنُ الْبُغْضَ وَالْمُخَالَفَةَ**﴾[1].

وضـابطها: أن تكون محبة أهل الشـرك لأجل الدنيا والمنفعة والمصـلحة، ولا تكون معها نصـرة لدين الكفر والشـرك ولا عونً على الإسـلام وأهله وهي من كبائر الذنوب أهلها على خطر يوشك أن يهلكوا ودليل هذا النوع من كتاب الله تعالى:

قـال الله عزّ وجـل: ﴿يَٰٓأَيُّهَـا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِـذُواْ عَـدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِى سَبِيلِى وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِىۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١﴾ **الممتحنة: 01**

قال شيخ الإسلام ابن تـيمية رحمه الله: ﴿**وقد تَحْصُلُ للرّجل مُوادّتهم لرحمٍ أو حاجةٍ فتكون ذنباً يَنقُص به إيمانه، ولا يكون به كافراً، كما حصل مِن حاطب بن أبي بلتعة لما كاتب المشركين ببعض أخبار النبي - صلى الله عليه وسلم - و أنزل الله فيه: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ**﴾"[2]

---

[1] مجموع الفتاوى ص 511-512

[2] مجموع الفتاوي 522/7

← وموالاة الكفار ليســت على درجة واحدة، بل تتنوع: قد تكون كفرا أكبــر وقد تكون دون ذلك، فالحكم يدور مع المحبة التــي هي أصل الموالاة، وهاك تفصيله:

- إن كانت محبة الكافر لكفره: فذلك هو الكفر المخرج عن الملة لأن ذلك ينافي الإيمان لأن من شــرطه بغض الكافرين كما جاء في آية المســألة الثالثة.
- أما إن كان حب الكافر لفســقه ومعصــيته: كأن يحبه لكونه مطربا أو ممثلا أو لاعب كرة ونحوها أو لمصــلحة دنيوية كتجارة أو غيــــرها مع بغضه لدينه فإن ذلك ذنب ومعصية فهو يُنقص الإيمان ويضعفه ولا ينقضــه بالكلية، ولكن قد يكون ســببا ووســيلة في نفيه من أصــله والمصير بصاحبه إلى الكفر الأكبر عياذا بالله تعالى.
- وإن كان حب الكافر جبليا غريزيا طبيعيا: لا يترتّب عليه مخالفة الشــرع مع وجود البغض للكفر فهذا لا يتعلق به مدح أو ذم، كحب الأب لابنه في قصــة (نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ) وكحب الابن لوالده كما في قصة (إبــراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ) وكحب الابن لأمه كما في قصة (سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم). وكذلك حب الرجل لزوجته. هذا الحب ليس باختــيار المسلم ولا من كسبه، لكن لابد من توفر الضابطين المتقدمين الذكر وهما:
  - <u>الضابط الأول:</u> ألا يؤدي هذا الحب إلى مخالفة الشرع في قليله أو كثيره.
  - <u>الضابط الثاني:</u> وجود البغض في القلب لدينهم ولهم ما داموا على ملة الكفر والشرك.

- **فإن كانت لأجل دين الكافر: فهي كفر أكبر.**
- **وإن كانت لأجل دنيا أو مصـلحة أو منفعة: فإنها ذنب ومعصـية.**

والدليل: في قصـة حاطب بن أبي بلتعة رضـي الله عنه، **كتب إلى مشركي مكة كتابا يخبـرهم فيه بغزو النبي** صلى الله عليه وسلم **لهم. فلما جيء بالكتاب وقُرئ على رسـول الله** صـلى الله عليه وسـلم. **دعا حاطباً** رضـي الله عنه **وقال له ما هذا؟؟؟ وتوجيه السـؤال إليه يدل على أن في الأمر تفصـيلاً يترتّب الحكم عليه. قال حاطب** رضـي الله عنه: **لا تعجل علي يا رسول الله. إني كنت امرأ ملصقا[1] في قريش. وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهاليهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي**

ثم قال: ولم أفعله كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضـا بالكفر بعد الإسلام.

هذه الجمل تدل على أن الصـحابة كانوا يعلمون أن نصـرة الكفار وإعانتهم تكون كفرا، إذا كانت لأجل دينهم. ولذلك اعتذر حاطب رضـي الله عنه وأظهر بـراءته من الكفر. فقال النبي صـلى الله عليه وسـلم «**صـدق**»[2] **وفي رواية «ولا تقولوا له إلا خيـرا».** [3] **فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق.فقال**صلى الله عليه وسـلم: **(إنه شـهد بدرا، ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال:**

---

[1] أي: كان حليفا ولم يكن منهم

[2] رواية مسلم برقم:(2494)

[3] رواية البخاري برقم:(3983)

اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)لم يكفره و إنما عاتبه ولامه وسأله مستفصلاً عن سبب فعله ذلك.

- إن كانت نصرة الكافر غيـــر المحارب للإسلام والمسلمين على المسلم الظالم المعتدي: لمنع ظلمه والأخذ على يديه أو منع الفساد المتأتـــي من جهته والمســـتشـــري[1] في الأرض فهذا ليس حراما بل هو مطلوب شرعا لان في ذلك نصرة المسلم نفسه

- والضابط في ذلك كما ذكره بعض أهل العلم:

  - ألا تكون هذه النصـرة المطلوبة من قبل المسـلم على حسـاب دين المسلم وشرعه وأخلاقه.
  - أن تدعو الحاجة الملحة والضـرورة المحققة لذلك، وفقا لقاعدة: «الضرورة تقدر بقدرها»[2].

---

[1] أي: تعاظم وتفاقم وزادت حدَّته

[2] قال الشيخ فركوس حفظه الله تعالى :وقيودُ الشرع وضوابطُهُ تتمثَّل فيما يلي:

أوَّلًا: أَنْ تكون الضـرورةُ قائمةً بالفعل لا مُتوهَّمةً ولا مُنْتَظَرةً ولا مُتوقَّعةً؛ لأنَّ التوقُّعَ والتوهُّمَ لا يجوز أَنْ تُبْنى عليهما أحكامُ التخفيف.

ثانيًا: أَنْ تكون الضـرورةُ مُلْجِئَةً بحيث يُخْشـى تَلَفُ نَفْسٍ أو تضـييعُ المَصـالِحِ الضـرورية وهي حِفْظُ الضروريات الخمسِ: وهي الدِّينُ والنفسُ والمالُ والعقلُ والعِرْضُ.

ثالثًا: أَنْ لا تكون للمُضْـطرِّلدَفْعِ الضـررعنه وسـيلةٌ أخرى مِنَ المُباحات إلَّا المُخالَفات الشـرعية مِنَ الأوامروالنواهي.

رابعًا: أَنْ يقتصـر المُضْـطرُّفيما يُباحُ للضـرورة على القَدْرِاللازم لدَفْعِ الضـرر، أي: الحدِّ الأدنى فيه؛ لذلك قُيِّدَتْ قاعدةُ: «الضَّرُورَاتُ تُبِيحُ المَحْظُورَاتِ» بقاعدةٍ مُتفرِّعةٍ: «تُقَدَّرُالضَّرُورَاتُ بِقَدْرِهَا».

خامسًـا: أَنْ يكون وقتُ الترخيصِ للمُضْـطرّمقيَّدًا بزمنِ بقاءِ العُذر، فإذا زالَ العـذرُزَالَ الترخيصُ والإباحةُ؛ جريًا على قاعـدةِ: «إِذَا زَالَ الخَطَرُعَـادَ الحَظْرُ» أو قاعـدةِ: «إِذَا زَالَ المَانِعُ عَـادَ المَمْنُوعُ» أو قاعدةِ: «مَا جَازَلِعُذْرٍبَطَلَ بِزَوَالِهِ».

سادسًا: أَنْ يكون الضـررُفي المحظورالذي يَحِلُّ الإقدامُ عليه أَنْقَصَ مِنْ ضررِحالةِ الضرورة، فإنْ كان الضررُفي حالةِ الضرورةِ أَنْقَصَ أو يُساويهِ فلا يُباحُ له: كالإكراه على القتل أو الزِّنا: فلا يُباحُ واحدٌ منهما؛ لِمَا فيه مِنَ المَفْسدةِ الراجحة؛ إذ ليس نَفْسُ القاتل وعِرْضُه أَوْلى مِنْ نَفْسِ المقتول وعِرْضِه.

- وألا يكون في هذه الاستعانة إظهارلدين الكافر المستعان به
- وأن نأمن خيانته.
- وأن يتحقق بأن ظلم هذا المسلم الباغي لا يمكن رده وإزالته ووقفه إلا بالاستعانة بهذا الكافر.

والحق أن الاصل في هذه المسألة أنه يحرم على المسلم أن يستعين بالكافر على أخيه المسلم: مهما كان ظلمه وطغيانه ولم نجد فيمن تقدمنا من سلفنا الصالحين. من فعل ذلك فيما علمنا.

أما عقد الحلف مع الكافر ضد الكافر في حربه: فذلك جائز بلا كراهة، وقد أجاز الأحناف الاستعانة بالكافر على المسلم الباغي إن كان الإسلام ظاهرا وحكمه ظاهرا.وقد جاء في الحديث: (انصر أخاك ظالما أو مظلوما)[1] وكان في منع الفساد وتحقيق المقصود الشرعي تعينت اعانة الكافر طريقا لذلك وقد علمت فيما مرّ أن الأصل خلاف ذلك.

ومِنْ ذلك لا يجوز نَبْشُ قبرِ الميّت ـ الذي لم يُكفَّن ـ بغَرَض تكفينه؛ لأنَّ مفسدةَ هَتْكِ حُرْمته أَشَدُّ مِنْ مفسدةِ عدمِ تكفينه، الذي قام القبرُ مَقامَه.

سابعًا: أَنْ لا يكون الاضطرارُ سببًا في إسقاطِ حقوق الآدميّين؛ لأنَّ «الضَّرَرَ لَا يُزَالُ بِمِثْلِهِ»؛ إذ «الضَّرَرُ يُزَالُ بِلَا ضَرَرٍ»، و«لَا يَكُونُ الِاضْطِرَارُ مُبْطِلًا لِحَقِّ الغَيْرِ»؛ فما لَحِقَ الغيرَ مِنْ أضرارٍ يَلْزَمُه تعويضُهم عنها.

ثامنًا: أَنْ لا يُخالِفَ المُضْطرُّ مَبادِئَ الشريعةِ الإسلاميةِ وقواعدَها العامَّةَ مِنَ الحِفاظ على أصولِ العقيدة وتحقيقِ العدل وأداءِ الأمانات؛ فكُلُّ ما خالَفَ قواعدَ الشرعِ فإنه لا أَثَرَ فيه للضرورة؛ لأنَّ المُضْطرَّ يُخالِفُ بعضَ الأحكامِ الشرعيةِ لا قواعدَ الشريعةِ العامَّةَ.

وحتَّى يصحَّ الأخذُ بقاعدةِ: «الضَّرُورَاتُ تُبِيحُ المَحْظُورَاتِ» فلا بُدَّ مِنْ مراعاةِ هذه الشروطِ والقيود؛ لتخطِّي أحكام التحريم والإيجاب بسببها. من موقع الشيخ حفظه الله تعالى

[1] رواه البخاري برقم:(2443)

قال بعض العلماء رحمهم الله تصنيف الناس في مسألة الولاء إلى أربعة أقسام:

1. **من والى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعادى الكفر والشرك والمشركين وتبرأ من ذلك كله على مستوى القلب واللسان والجوارح فهو المؤمن.**
2. **من والى المشركين والكفار وأهله باطنا وظاهرا وناصرهم وأعانهم على الإسلام والمسلمين فإن ذلك كفر أكبر مخرج من الملة قولا واحداً.**
3. **من والى أهل الشرك والكفر باطنا وخالفهم ظاهرا. فان ذلك يعد من النفاق الاعتقادي الذي يلحق صاحبه بالكفر الأكبر بل أصحابه يكونون في الدرك الأسفل من النار. كما قال ربنا تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾النساء ١٤٥.
4. **من والى أهل الشرك والكفر ظاهرا وخالفهم باطنا وهو صنفان.**

أ. **يكون صاحبه في حالة إكراه متحقق قائم لا إكراه موهوم أو متوقع فحكمه الجواز. قال الله تعالى:** ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾**النحل 106 وقيل إن هذه الآية نزلت في الصحابي الجليل عمار بن ياسر** رضي الله عنه .

ب. **و افقهم في الظاهر من أجل دنياهم أو رحم أو مصلحة ذاتية وهذا فيه خلاف لكن الراجح من أقوال أهل العلم أن صاحبه لا**

يكفر كفرا أكبـرًا مخرجا من الملة ما لم يحصل موالاتهم بالقلب ونصرتهم ومحبتهم لإظهار دينهم وغلبته.

← ولموالاة المشركين مظاهر وعلامات يستدل بها على ذلك منها:

1. الرضا بكفرهم أو عدم تكفيـرهم أو الشك في كفرهم أو تصحيح مذهبهم وكل ذلك ناقض للإسلام هادم للدين ناف للإيمان مضاد للتوحيد من أصله.
2. التشـبه بهم في لباسـهم وطريقة كلامهم وعاداتهم وتقاليدهم الخاصة بهم.
3. الاسـتعانة بهم والثقة بهم و اتخاذهم أعوانا ومسـتشـارين وأصحاب سر.
4. مشـاركتهم في أعيادهم ومناسـباتهم المتصـلة بدينهم وتهنئتهم ومعاونتهم على إقامتها وإظهارها.
5. الاستغفار لهم والترحم عليهم.
6. التسمي بأسمائهم والاقتداء بعظمائهم وقادتهم والتأسي بهم.
7. اسـتعارة قوانينهم ومبادئهم وتطبيقها على المسـلمين في مجالات حياتهم.
8. مجاملتهم ومداهنتهم والسـكوت على مناكرهم على حسـاب الإسلام.
9. مدحهم والإشـادة بهم وبأخلاقهم ونظمهم وقوانينهم وما هم عليه من المدنية دون النظر إلى معتقداتهم الباطنة ودينهم المحرف.

تنبيه هام: هذه المظاهر المتعددة لمولاة أهل الكفر منها ما هو كفر أكبر مخرج عن الملة ومنها ما هو دون ذلك وحكم هذا يرجع فيه إلا حال الموالي اعتقادا وحالا وما وقر في قلبه أو أعلن عنه كل بحسبه

فالمؤمنون تتقارب قلوبهم وإن تباعدت أبدانهم وديارهم وأوطانهم وأزمنتهم وموالاة المؤمنين كذلك له درجات:

- **منهم من له الولاء المطلق والمحبة الخالصة: وعلى رأسهم الأنبياء والرسل** عليهم السلام **وفي مقدمتهم رسولنا** ﷺ**، وكذلك الصحابة** رضوان الله عليهم**، والتابعون لهم بإحسان من أئمة السنة، في أي مكان أو زمان وجدوا.**
- **ومنهم من يحب من وجه ويبغض من وجه آخر: فيجتمع فيه الولاء والبراء أي تجتمع فيه المحبة والبغض يحب لأجل طاعته و إيمانه ويبغضه لأجل فسقه وعصيانه وهؤلاء هم عصاة الموحدين وقد يغلب أحدهما فيه على الآخر ومعاملتهم تكون من جهتين:**
  1. **النظر إلى الأغلب فيه من جهة الحب أو البغض**
  2. **النظر إلى المصلحة الشرعية المحققة بإظهار الحب أو البغض.**

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم **أنه قال: (مَنْ أحبَّ للهِ، وبغَضَ للهِ، وأَعْطَى للهِ، ومَنَعَ للهِ؛ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإيمان)[1].**

[1] **الراوي: أبو إمامة الباهلي | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترغيب الصفحة أو الرقم: 3029 | خلاصة حكم المحدث: حسن صحيح | التخريج: أخرجه أبو داود (4681)، والطبراني (159/8) (7613)، و ابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (314/6)**

وقال صلى الله عليه وسلم أيضا: أَوْثَقُ عُرَى الإيمان المُوَالاةُ في اللهِ،والمُعادَاةُ في اللهِ،والحُبُّ في اللهِ،والبغضُ في اللهِ[1]

❖ والقاعدة كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: ﴿المؤمن عليه أن يعادي في الله ويحب في الله﴾[2]

فلا يفعل ذلك لأجل عصبية جنسية أو عرقية أو قبلية أو حزبية أو طائفية.

۞ فالقاعدة من كلام شيخ الإسلام رحمه الله: ﴿فَلْيَتَدَبَّرْ الْمُؤْمِنُ الْفَرْقَ بَيْنَ هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ فَمَا أَكْثَرَ مَا يَلْتَبِسُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْمُؤْمِنَ تَجِبُ مُوَالَاتُهُ وَإِنْ ظَلَمَك وَاعْتَدَى عَلَيْك وَالْكَافِرُ تَجِبُ مُعَادَاتُهُ وَإِنْ أَعْطَاك وَأَحْسَنَ إلَيْك.﴾إلى أن قال: ﴿وَإِذَا اجْتَمَعَ فِي الرَّجُلِ الْوَاحِدِ خَيْرٌ وَشَرٌّ وَفُجُورٌ وَطَاعَةٌ وَمَعْصِيَةٌ وَسُنَّةٌ وَبِدْعَةٌ: اسْتَحَقَّ مِنْ الْمُوَالَاةِ وَالثَّوَابِ بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْ الْخَيْرِ وَاسْتَحَقَّ مِنْ المعاداة وَالْعِقَابِ بِحَسَبِ مَا فِيهِ مِنْ الشَّرِّ فَيَجْتَمِعُ فِي الشَّخْصِ الْوَاحِدِ مُوجِبَاتُ الْإِكْرَامِ وَالْإِهَانَةِ فَيَجْتَمِعُ لَهُ مِنْ هَذَا وَهَذَا كَاللِّصِّ الْفَقِيرِ تُقْطَعُ يَدُهُ لِسَرِقَتِهِ وَيُعْطَى مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مَا يَكْفِيهِ لِحَاجَتِهِ.[3].﴾

وهذا الأصل اتفق عليه أهل السنة والجماعة وخالفهم فيه من كان على عقيدة الاعتزال والخروج ونحوهم.

---

[1] الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: الألباني | المصدر: السلسلة الصحيحة الصفحة أو الرقم|998 : خلاصة حكم المحدث: قوي بالطرق. وذكر الشيخ الشارح:الحديث بهذا الاسناد ضعيف لكن له شواهد من حديث ابن مسعود عن الطيالسي والطبري وكذا حديث البراء بن عازب عن احمد بمجموع طرقه يرتقي بهما إلى درجة الحسن لغيره.

[2] مجموع الفتاوى :209/28

[3] مجموع الفتاوى :209/28

- وهناك صنف ثالث يبغض فعله ولا يبغض شخصه لوجود مانع من ذلك: كأن يكون مجتهدا يتقى الله تعالى ما اســتطاع ويبذل قصــارى جهده في إصابة الحق لكنه أخطأ فإننا لا نقره على خطئه ونتبــرأ من الخطإ ولا نبغض المخطئ
- والدليل على ذلك: (أن النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بَعَثَ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ إلى بَنِي جَذِيمَةَ، فَلَمْ يُحْسِـنُوا أنْ يقولوا أسْـلَمْنَا، فَقالوا: صَـبَأْنَا صَـبَأْنَا، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ ويَأْسِـرُ، ودَفَعَ إلى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أسِيــرَهُ، فأمَرَكُلَّ رَجُلٍ مِنّ أنْ يَقْتُلَ أسِيــرَهُ، فَقُلتُ: واللَّهِ لا أقْتُلُ أسِيــرِي، ولَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِن أصْحَابِي أسِيــرَهُ، فَذَكَرْنَا ذلكَ للنبيِّ صَـلَّى اللهُ عليه وسـلَّمَ فَقالَ: اللَّهُمَّ إنِّي أبْرَأُ إلَيْكَ ممَّا صَـنَعَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ مَرَّتَيْنِ)[1].
- فائدة: ومع إقرار الإسلام بالتبــرؤ من الشرك وأهله والكفر وأهله وعدم موالاتهم ومحبتهم ونصــرتهم إلا أنه لا يجوز إيذاء أحد منهم بقتل أو اعتداء أو دون ذلك من الأمور لمن عُصِم دمه بإحدى ثلاث: أن يكون ذمياً أو معاهدًا أو مستأمنًا.
- ضوابط تعامل المسلم مع غير المسلم:

1. المتقرر في الشــرع أن الكفار غيــــر المحاربين يعاملون من قبل المسلمين بالبــر والمعروف والإحسان وعدم الإساءة بل ينبغي أن يــراعى في معاملاتهم العدل والإنصاف كما أشار إلى ذلك القرآن العظيم في

[1] رواه البخاري برقم :7189

- **قول الله تعالى:** ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾**الممتحنة 8-9.لأنّ البر والإحسان لا يستلزم المحبة بالقلب والموادة المنهي عنهما. وبعض الناس أخطأ عندما اعتبر الإحسان إلى الكافر وعدم ظلمه هو من باب الموالاة التي هي المحبة والمواداة، التي مُنطلقها القلب، ولذلك أُمر المسلم أن يعدل مع الكافر وغيره**

- **كما قال الله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨﴾المائدة ٨.

2. **ويجوز للمسلم أن يخالطهم ويزورهم ويأكل طعامهم ويتعامل معهم بشرطين هما:**
   - **أمن الفتنة على نفسه.**
   - **عدم الموادة والمحبة بالقلب المنهي عنه.**

والواجب عليه تجاههم دعوتهم إلى الإسلام وبيان الحق لهم وترغيبهم فيه وفي المقابل بيان ما عندهم من الباطل وما هم عليه من الضلال بالحجة والبرهان.

3. **تبادل المنافع المباحة مع الكفار مباح وليس حرام كالبيع والشراء منهم**

4. جواز إظهار الولاء للكافر وهو غيـــر المتعلق بالقلب من جهة المحبـة والموادة والنصــرة لكن يكون اتقـاء لشــره أو طلبـا للمصلحة العامة التــي تعود بنفعها على جميع المسلمين وذلك عند الضرورة إذا كان قلبه مطمئنا بالإيمان.
5. من ثبت إســلامه بيقين لا يـــرتفع عنه إلا بيقين فان كان الأمر محتملا فانه يحمل على الإسلام، وهو الأصل ولا ينتقل عن هذا الأصل إلى غيره إلا بدليل شرعي صحيح.

المقدمة الثالثة من الرسالة:

قال الشيخ المصنف رحمه الله: اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ، أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: 56]. وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ. وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى ﴿۞وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾. (النساء: 35):

- هذه هي المقدمة الثالثة: بدأها الشيخ رحمه الله بالدعاء لطالب العلم تلطفا منه وترفقا به ورحمة به. ومضمون الجملة الدعائية طلب الرشاد للطاعة أي الاهتداء إليها والإقبال عليها والرغبة فيها، طلب اللأجر والثواب من الله تعالى ،الذي أمر بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم. حيث قال الله تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾محمد ٣٣.

← والرشاد: هو الدلالة على الخير والنفع والإعانة عليه. قال الله تعالى على لسانه مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾غافر38-39

← والمراد بالطاعة هنا: فعل الأوامر واجتناب النواهي، والوقوف عند حدود الله ابتغاء مرضاته تعالى .

قوله: أن الحنيفية ملة إبراهيم:

الحنيفية: لغة من الحنف وهو الميل في الساقين أحدهما إلى الأخرى من جهة الداخل يقال فلان أحنف أي مائل ساقه.

وأما الحنيف: فهو المائل عن الشرك إلى التوحيد قصدا.

وكانت العرب تسمى كل تابع لإبراهيمعليه السلام **حنيفا.**

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾ النحل ١٢٣

وقَدْ بيَّن شيخُ الإسلام ابْنُ تيميَّة رحمه الله **في «المجموع» (9/319) معْنَى الحَنِيفِيَّة فقال: ﴿الْحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ إبْرَاهِيمَ عليه السلام؛ فَإِنَّ الْحَنَفَ هُوَ إقْبَالُ الْقَدَمِ، وَمَيْلُهَا إلى أُخْتِهَا؛ فَالْحَنَفُ: الْمَيْلُ عَنِ الشَّيْءِ بِالإِقْبَالِ عَلَى آخَرَ؛ فَالدِّينُ الْحَنِيفُ هُوَ الإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَالإِعْرَاضُ عَمَّا سِوَاهُ﴾ اهـ.**

وأما الملة: فهي الدين والطريقة والشريعة أي طريقة إبراهيمعليه السلام **وشريعته التي جاء بها.ونُسبتْ إليه لأنه كان وحده على التوحيد بين قومه وفي زمانه، ودعا إلى هذه الملة أباه وقومه وناله من الاذى الشديد منهم فقد هدده أبوه بالرجم والطرد والإبعاد كما جاء في القرآن المجيد**

قول الله تعالى على لساني آزر أبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ

ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴿٤٦﴾ مريم ٤٤-٤٦

ثم شرح الشيخ رحمه الله **هذه الحنيفية ملة ابراهيم** عليه السلام**وبين معناها فقال: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وهذه الجملة التفسيرية هي خبر (أَنَّ) وتقدير الكلام: (أَنَّ الحنيفية ملة ابراهيم** عليه السلام**عبادة الله وحده لا شريك له).**

والحق أنَّ الحنيفية ليست ملة خاصة بإبراهيم عليه السلام **بل هي ملة جميع الانبياء والمرسلين** عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

- **ولأن الله تعالى قال فيها:** ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴿١٢٣﴾﴾ **النحل 123.**
- **لكن يمكن القول بأن خليل الله إبراهيم** عليه السلام **يعد إمام الحنفاء بدليل قول الله تعالى:** ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴿١٢٠﴾ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴿١٢١﴾﴾ **النحل ١٢٠-١٢١، فهو أبو الأنبياء والرسل جميعا، وجملة: مِلَّةَ إِبۡرَاهِيمَ هي بدل أو عطف بيان وهي تفسير الحنيفية وقد نسبت إليه: لأنه هو الذي جعلها كلمة ماضية في عقبه.**
- **قال الله تعالى:** ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴿٢٨﴾﴾ الزخرف ٢٨

- **وجوهر هذه الحنيفية: التـــي هي الإســلام إفراد الله تعالى بالعبادة. وحده وعدم الإشــراك به وإخلاص العبادة له وحده اعتقادا وقولا وعملا في قليل العبادة وكثيرها.**
- **والإخلاص: معناه التصفية والتنقية من كل شائبة**

كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ **النحل 66.**

مُفردا له القصــد أثناء أداء العبادة له. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾﴾ **الزمر ١١-١٤.**

ولفظ العبادة عند العلماء له معنيان:

1. **معنى لغوي: يقال هذا طريق معبد إذا كان مذللا من كثرة وطأ الأقدام له، والمراد إنها تتضــمن معنى الذل والخضــوع واللين ونحو ذلك.**
2. **ومعنى اصــطلاحي: وهو اســم جمع نهاية كمال الذل. مع كمال الحب تجاه الرب تعالى . وذلك أثناء عبادته.**

واجمع ما قيل فيه تعريف العبادة قول شــيخ الإســلام ابن تــيمية رحمه الله رحمه الله: ﴿هو اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضها من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة﴾.[1]

[1] العبودية ص:44

أما الفقهاء فيقولون: ﴿هي ما أمر به شـرعا من غيـــر اطراد عرفي ولا اقتضـــاء عقلي﴾. والمعنيـان متلازمـان متـداخلان متكاملان يحققان الغرض المطلوب.

← والخلاصة: أن العبادة المأمور بها التـــي تتضمن نهاية كمال الذل مع نهاية كمال الحب من خلال ما يمارســـه العبد من عبادات قولية أو قلبية أو عملية.

❖ وَقَالَ شَـيْخُ الْإسـلام رحمه الله فَصْـلٌ: ﴿الْعِبَادَاتُ مَبْنَاهَا عَلَى الشَّـرْعِ وَالِاتِّبَاعِ لَا عَلَى الْهَوَى وَالِابْتِدَاعِ.﴾ [1]

❖ قال ابن القيم رحمه الله فينونيته:

- وَعِـبَـادَةُ الـرَّحْـمـن غَـايَـةُ حُـبِّـهِ ❁❁❁ مَـعَ ذُلِّ عَـابِـدِه هُـمَـا قُـطْـبَـانِ
- وَعَـلَـيْـهِـمَـا فَـلَـكُ الـعِـبَـادَةِ دائـرٌ ❁❁❁ مَـا دَارَ حَـتَّى قـامَـتِ الـقُـطْـبَـانِ
- ومَـدَارُهُ بـالأَمْـرِ أمْـرِ رسُـــولِـهِ ❁❁❁ لَا بـالـهَـوَى والـنَّـفْسِ والشَّـــيـطَـانِ

قوله: وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها: الناس هنا لفظ عام يطلق على كل مكلف من الإنس والجن. وفيه إشـــارة لتعيين الغاية المقصـــودة من خلق الإنس والجن وهي عبادة الله وحده لا شـــريك له كما

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾ الذاريات 56-57 .

[1] مجموع الفتاوى ص 80

فجميع الناس أمرهم الله جل وعلا بأن يخلصوا العبادة له سبحانه وتعالى ولا يشركوا به شيئا، وتلك وظيفتهم وعملهم الموكل إليهم المطلوب منهم القيام به على أكمل وجه.

لذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴿٥٦﴾﴾ الذاريات ٥٦

ثم شرحها بقوله: ومعنى يعبدون أي يوحّدون: أي يفردونه بكل أنواع العبادة ولا يشركون به شيئا. وهاك بعضا من تفسير السلف لكلمة يعبدون:

قال مجاهد[1] رحمه الله: ﴿مَعْنَى يَعْبُدُون أَيْ يَعْرِفُوْنِي.﴾

وقال ابن كثير رحمه الله: ﴿في مَعْنى يَعْبُدُون إِنَّما خَلَقْتُهُم لآمُرَهُم بِعِبَادَتِي لَا لاحْتِيَاجِي إِلَيْهِم﴾.[2]

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنه وغيره: ﴿أَنَّ كُلَّ أَمْرٍ جَاءَ فِي الْعِبَادَةِ فَمَعْنَاهُ اَلْأَمْر بِالتَّوْحِيدِ وَجَاءَ عَنْهُ أَيْضًا أَيُّ لِيُقِرُّوا بِعِبَادَتِي طَوْعًا وَكَرْهًا وَهَذَا اِخْتِيَارُ اِبْنْ جَرِيرْ وَالطَّبَرِي﴾[3]

[1] مُجاهِد بْن جَبْر بن عبدالله بن نفيل بن هلال بن كنانة بن حماد بن عباد بن قصعة بن تغلب التغلبيوُيقال: جُبير ت 104 هـ مولى السائب بن أبي السائب المخزومي القرشي. ويعرف اختصاراً في المصادر والكتب التراثية بمجاهد. وهو تابعي وإمام وفقيه وعالمُ ثقة وكثير الحديث، وكان بارعاً في تفسير وقراءة القرآن الكريم والحديث النبوي.

[2] تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى : م 465/6

[3] ذكره ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره (م456/6)

وقال عبد الرحمن بن سـعدي[1] رحمه الله: ﴿هَذِهِ اَلْغَايَةُ اَلَّتِي خَلَقَ اَللَّهُ لَهَا اَلْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَبَعَثَ جَمِيعَ اَلرُّسُـلِ يَدْعُونَ إِلَيْهَا اَلْمُتَضَـمِّنَةِ مَعْرِفَتَـهُ وَمَحَبَّتَـهُ وَالْإِنَـابَـةَ إِلَيْـهِ وَالْإِقْبَـالَ عَلَيْـهِ وَالْأَعْرَاضَ عَمَّنْ سِوَاهُ.﴾

فأما المؤمن بالله وحده المؤمن فإنه يوحد الله تعالى في الشدة والرخاء وأما الكافر فإنه يوحده في الشدة والبلاء ويكفر به في النعمة والرخاء.

كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِـيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ لقمان ٣٢

قولـه رحمـه الله: وَأَعْظَمُ مَـا أَمَرَ اللهُ بِـهِ التَّوْحِيـدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.: أعظم أمر صـدر من الله تعالى تجاه خلقه في كتبه التـي أنزلها على رسـله جميعا وأمرهم بتبليغه هو توحيده تعالى وعدم الإشراك به.

وقد عرف الشيخ رحمه الله هذا الأمر العظيم: بقوله هو إفراد الله بالعبادة أي أن يكون الله تعالى هو المعبود الحق الذي يستحق أن تصرف إليه كل أنواع العبادة دون غيره. وهو المراد من كلام الشيخ رحمه الله.

قال ابن القيم رحمه الله:

فلِوَاحِدٍ كُنْ وَاحِداً في وَاحِدٍ ❁❁❁ أَعْنِي سَبِيلَ الحَقِ والإيمان.

[1] عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر السعدي الناصري التميمي رحمه الله تعالى (1889-1957م / 1307 - 1376 هـ) ويعرف اختصاراً السعدي ولد في بلدة عنيزة في القصيم شيخ الشيخ بن عثيمين رحمه الله تعالى وغيره صاحب التفسير المعروف تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

وتوحيد العبادة هو موطن النزاع بين الرسل و أقوامهم، لذلك اهتم المصنف ببيانه في كتابه (كتاب التوحيد)، وركز عليه أكثر من غيـــره بما حشـد له من الأدلة الشرعية المتنوعة وهو مضمون كلمة لا إله إلا الله.

📚 **وقوله** رحمه الله: **وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّــركُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْــرِكُواْ بِهِ شَــيْئًا): وجاء ذلك مســطرا في جميع الكتب المنزلة وعلى جميع رســله و أنبيائه، ينهون أقوامهم عنه ويحذرونهم عاقبته ومصير أهله**

- **والـدليـل قـول الله تعـالى:** ﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾**النساء 36.**
- **وقوله الله تعالى:** ﴿۞ ۞وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥﴾**الأعراف ٦٥**

فهو أي الشرك:

- **أكبر ذنب عصي الله تعالى به.**
- **وهو أعظم الذنوب على الإطلاق**
- **و أقبح القبح و أفسد الفساد**
- **وأظلم الظلم. كما قال الله تعالى:** ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ **لقمان ١٣.**
- **وهو تنقص لمقام الربوبية.**
- **وهضم لحق الألوهية.**
- **وسوء ظن برب البرية.**

وهو صرف خالص حق الله تعالى إلى غيـره وعدل غيـره من مخلوقاته به وفيه معاندة لله تعالى واستكبار عن طاعته كما قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ **الأنعام ١**

والشـرك نجاسـة معنوية مذمومة: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٢٨﴾ **التوبة ٢٨.**

قال القيم رحمه الله في نونيته.

والشـرك فاحذره فشـرك ظَاهر ❁❁❁ ذَا قسـم لَيْسَ بقابل الغفران
وَهُوَ اتِّخَاذ النـد للرحمن أيًّا كَا ❁❁❁ نَ من حَجَرٍ وَمن انْسَانِ
يَدعُوهُ اَوْ يـرجوه ثمَّ يخافه ❁❁❁ وَيُحِبهُ كمحبة الديَّان

وقال غيره:[1]

واحذر شراك الشرك فهي كثيرة ❁❁❁ شتى المظاهر جمة الأنواع
كم واقع فيها ويحسب أنه ❁❁❁ في الدين حر العقد رحب الباع
الشرك داء في البرية كامن ❁❁❁ مستفحل الأضرار والأوجاع
الشرك ستر حيك من نسج الهوى ❁❁❁ غطى على الأبصار والأسماع
فاقبس من التوحيد أعظم جذوة ❁❁❁ وتمش تحت ضيائها اللماع

[1] **القائل هو محمد العيد آل خليفة** رحمه الله تعالى **أديب وشاعر جزائري. ولد سنة 1904م، في بلدية عين البيضاء بولاية أم البواقيثم التحق بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها وكان شعره أداة من أدواتها وسجلا لمواقفها وكتابا لتاريخها، وأطلق عليه الشيخ عبد الحميد بن باديس** رحمه الله تعالى **لقب: أمير شعراء الجزائر**

❁ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ﴿وَبِالْجُمْلَةِ فَالشِّرْكُ وَالدَّعْوَةُ إلى غَيْرِ اللَّهِ وَ إِقَامَةُ مَعْبُودٍ غَيْرِهِ وَمُطَاعٍ مُتَّبِعٍ غَيْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: هُوَ أَعْظَمُ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَلَا صَلَاحَ لَهَا وَلَا لِأَهْلِهَا إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الْمَعْبُودَ، وَالدَّعْوَةُ لَهُ لَا لِغَيْرِهِ، وَالطَّاعَةُ وَالْإِتْبَاعُ لِرَسُولِهِ لَيْسَ إِلَّا، وَغَيْرُهُ إِنَّمَا تَجِبُ طَاعَتُهُ إِذَا أَمَرَ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ﴾[1] اهـ

❁ وقال أيضا رحمه الله في الصفحة: 25 مجلد 15: ﴿مَنْ تَدَبَّرَ أَحْوَالَ الْعَالَمِ وَجَدَ كُلَّ صَلَاحٍ فِي الْأَرْضِ فَسَبَبُهُ تَوْحِيدُ اللَّهِ وَعِبَادَتُهُ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ وَكُلُّ شَرٍّ فِي الْعَالَمِ وَفِتْنَةٍ وَبَلَا وَقَحْطٍ وَتَسْلِيطِ عَدُوٍّ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَسَبَبُهُ مُخَالَفَةُ رَسُولِهِ وَالدَّعْوَةُ إلى غَيْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ تَدَبَّرَ هَذَا حَقَّ التَّدَبُّرِ وَتَأَمَّلْ أَحْوَالَ الْعَالَمِ مُنْذُ قَامَ إلى الْآنِ وَإِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ وَجَدَ هَذَا الْأَمْرَ كَذَلِكَ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ وَفِي حَقِّ غَيْرِهِ عُمُومًا وَخُصُوصًا وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ﴾ اهـ

❁ قال أحدهم:

٢٠ – وأتْبَعَ التَّميميْ كُلَّ سَائلِ ❁❁❁ بذي الثلاثِ جُملةِ المسائلِ

٢١ – فأوَّلاً نقُولُ: إنَّ ربَّنَا ❁❁❁ أتمَّ فينَا خَلْقَنَا ورِزقَنَا

٢٢ – ولمْ يَدَعْنَا يا ذَوي العقولِ ❁❁❁ بلا نبيٍّ داعٍ أوْ رَسُولِ

٢٣ – فَمؤْمِنٌ بالرُّسْلِ في سَعَادَةِ ❁❁❁ ومَنْ عَصى ففي لَظىً وَقَّادَةِ

٢٤ - بسورةِ (المُزَّمِّلِ) الدَّليلُ ❁❁❁ وأخْذُهُ إلهُنا وبيلُ

٢٥ – وثانياً فقدْ نَهى العِبَادَا ❁❁❁ أن يُشْركوا بربِّنا الأنْدَادَا

[1] (م ف/15/24-26)

٢٦ – لا مَـلَـكٌ مُـقَـرَّبٌ يـجـوزُ ❁❁❁ ولا نـبـيٌ مُـرْسـلٌ يـحـوزُ

٢٧ – دليلُـهُ مِنْ آيـةِ (الجِنّ) أتى ❁❁❁ فَـافْهَمْ هُـدِيـتَ مـا أقولُ يـا فَتى

٢٨ - وثـالِـثـا أنَّ الَّـذي أطَـاعـا ❁❁❁ الـربَّ والـرَّسـولَ ثـم انْصَـاعَـا

٢٩ – مُـحَـرَّمُ عـلـيـه أن يُـوَالي ❁❁❁ مُـعَـانِـداً ولـوْ مِـنْ الـعِـيـالِ

٣٠ – دليـلُـهُ أوَاخِـرُ (المُجـادِلَـهْ) ❁❁❁ فَـاسْـمَعْ كُفيتَ واشْـكُرَنَّ بَاذِلَـهْ

٣١ – وبعـد ذا فـاعْلَمْ أخِيفيـاللهِ ❁❁❁ واحْـذَر بِـأَنْ تُـلَـقَّـبَنْ بـالّـلاهي

٣٢ – أنَّ الحَـنِـفـيَّـةَ في اعْـتِـقَـادِ ❁❁❁ أنْ تَـعـبُـدَ اللهَ بـلا عِـنَـادِ

٣٣ – وشـرطُهُ الإخلاصُ مِنْ أسـاسِ ❁❁❁ مِـنْ جِـنَّـةٍ مَـخْـلُـوقـةٍ أوْ نَـاسِ

٣٤ – دَليلُـهُ في (الـذاريـاتِ) يُقْرا ❁❁❁ فَـاعْـمَـلْ بـه مُـجـاهِـدًا لـتَـبْـرَا

٣٥ – وَأعْـظَـمُ الَّـذي أرادَ اللهُ ❁❁❁ تـوحـيـدُه فَـمَـنْ أبَـى قَـلاَهُ

٣٦ – وَوَصْـفُـهُ الإفْرَادُ بـالعِبـادَهْ ❁❁❁ فَـقُـمْ بِـهِ لِـتُـكْـرَمَ الـزِّيَـادَهْ

٣٧ – وضِـــدُّهُ الشـــركُ بلا تَـرَدُّدِ ❁❁❁ ومَنْ وَعَى مَقَـالتـــي فَقَـدْ هُـدِي

٣٨ – دليلُـهُ بسـورةِ (النِّسَـاءِ) ❁❁❁ وخَـلِّ حـتْـمـاً مَـكْـمَـنَ الـبَـلاءِ [1]

[1] إسراج الخيول بنظم القواعد الأربع وثلاثة الأصول

الأصل الأول:

قال المصـنف رحمه الله: فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُـولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَـانِ مَعْرِفَتُهَا؟فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.:

بدأ الشـيخ رحمه الله في بيان مراد رسـالته وهي الأصـول الثلاثة التـي أشـار إليها في المقدمة الأولى في المسـألة الاولى بقوله العلم: وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسـلام بالأدلة معتمداً في ذلك على أسـلوب المُسَـاءَلَة: أي السـؤال والجواب ويسـمى عند أهل التعليم بالأسلوب الحواري وهو نافع جدا. ويعتبـر وسيلة لشد انتباه طالب العلم وترغيبه في أخذ العلم والاقبال عليه بجد وحزم، ورغبة كما ييسـر عليه فهم ما يُلقى عليه ووعيه وتخزينه في حافظته، وبعض الناس ينسب هذه الطريقة إلى علماء الغرب، وهي في الحقيقة أصلها من الإسلام ابتداء:

وقد جاء ذلك مبثوثا في كثـيـر من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم. وهو يعلم أصحابه رضي الله عنهم

بقوله صـلى الله عليه وسـلم: أتدري ما حَقُّ اللهِ على العِبادِ، وما حَقُّ العِبادِ على اللهِ؟[1]قال ذلك لمعاذ ابن جبل رضـي الله عنه.

---

[1]الراوي: معاذ بن جبل| رضي الله عنه المحدث: محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى | المصـدر: الرسـائل الشخصية لابن عبد الوهاب | الصفحة أو الرقم 46ونصه: كنتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على حمارٍ، فقال لي: يا مُعاذُ، أتدري ما حَقُّ اللهِ على العِبادِ، وما حَقُّ العِبادِ على اللهِ؟ قُلتُ: اللهُ ورَسـولُه أعلَمُ، قال: حَقُّ اللهِ على العِبادِ أن يَعبُدوه ولا يُشـرِكوا به شَـيئًا، وحَقُّ العِبادِ على اللهِ ألَّا يُعَذِّبَ مَن لا يُشرِكُ به شيئًا.

وقوله صلى الله عليه وسلم للصحابة رضوان الله عليهم: أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟[1] وغيرها.

واعتماد المصنف في بيان مضمون الأصول الثلاثة على أسلوب المُسَاءَلَة: تذكير للعبد بحاله وهو في قبره. وهو يسأله الملكان هذه الأسئلة الثلاثة التي تتضمنها الأصول الثلاثة، والمراد في ذلك حثه على إعداد الإجابة الصائبة لهذه الأسئلة الثلاثة التي لا مناص منها لكل عبد مكلف من التعرض لها ولا يتأتى للعبد الإجابة الصحيحة إلا بالإعداد والاستعداد، ما دام في الحياة الدنيا وذلك بمعرفة هذه الأصول الثلاثة وفهمها حق الفهم. والعمل بمقتضاها والثبات على ذلك حتى يفارق الدنيا.

قال المصنف رحمه الله التي يجب على الإنسان معرفتها: والمقصود بالوجوب هنا وجوبا عينيا بمعنى يجب على كل مكلف من الإنس والجن معرفة هذه الأصول الثلاثة، وهذه المعرفة ينبغي أن تتبع بالعمل المو افق لمضمونها. وإلا فلا فائدة ترجى ولا نجاة تؤمل.

ومن هنا يجب على كل مسلم ومسلمة وجوبا عينيا: أن يعلم هذه الأصول ويفقهها ويعمل بمضمونها ويحرص على ذلك ويصدق الله تعالى فيه، وهذا الفاعل نرجو له أن يثبت عند مسألة الملكين في قبره.

---

[1] الراوي: أبو هريرة ﷺ|المحدث: مسلم رحمه الله تعالى | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: | 2581 خلاصة حكم المحدث :صحيح ونصه: أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ قالوا: المُفْلِسُ فِينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ: إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتي يَأْتي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويَأْتي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ.

- فإذا أجاب العبد المسؤول جوابا صحيحا. كان من الفائزين السعداء.
- وإن تلعثم وتردد وتاه ولم يحسن الجواب كان من الهالكين الأشقياء.

وقد اهتم الناس بل المسلم بأمور شتى لا نفع فيها. بل تضره في دينه وآخرته ويعمى عن أسباب نجاته من النار وفلاحه بالجنة وهاك بعض أصناف الناس في التعامل مع هذه الأصول العظيمة:

- فبعض المسلمين يقول: هذه الأصول بسيطة وسهلة لا تحتاج إلى علم كبير.
- وبعض المسلمين يقول قرأناها وعلمناها وتجاوزنا مستواها ولا حاجة إلى الرجوع إليها.
- بعض المسلمين يقول: هناك أمور أهم منها مثل الحديث عن أحوال العالم وما يجري فيه وغيرها.
- بعض المسلمين يقول: نبدأ بالكلام عن أخطاء الحكام والمسؤولين والأحزاب والسياسة

الأصول[1]: جمع أصل وهو ما بني عليه غيره كالأساس للبنيان

---

[1] يُطلق الأصل ويُراد به الدليل: الأصل في تحريم الربا الكتاب والسنة والإجماع، أي دليل تحريم الربا الكتاب والسنة والإجماع، هنا عُبِر بالأصل وأُريد به الدليل

يُطلق الأصل ويُراد به الرجحان، فيُقال الأصل في الكلام الحقيقة دون المجاز، يعني الراجح عند السامع حمل الكلام على حقيقته دون مجازه.

يُطلق ويراد به القاعدة المستمرة: يُقال: إباحة أكل الميتة للمضطر على خلاف الأصل يعني على خلاف القاعدة المستمرة.

يُطلق ويراد به المقيس عليه: فيُقال الخمر أصل للنبيذ في الحرمة الخمر أصل يعني مقيس عليه للنبيذ فقيس النبيذ على الخمر بجمع ماذا الإسكار فسحب الحكم من الأصل وهو الخمر إلى النبيذ وهو الفرع.

قـال الله تعـالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴿٢٤﴾﴾إبـراهيم ٢٤

والمقصـود هنا بالأصـول المسـائل التـي تتعلق بدين المرء. ويتوقف على معرفتها سعادته أو شقاؤه.

قوله رحمه الله: **التـي يجب على الإنسـان معرفتها: الوجوب المراد هنا هو الوجوب العيني على كل إنسـان مكلف إنسـانا كان أو جنيا ذكرا أو أنثى حرا أو عبدا حاكما أو محكوما.والمعرفة المقصـودة هنا هي تلك المتبوعة بالعمل، وإلا فلا فائدة ترجى. ولا نجاة تؤمل.**

قوله رحمه الله: فقل معرفة العبد ربه ودينه ونبيه. محمد صـلى الله عليه وسـلم: فقل أي أجب بيقين ثبات وعلم مصـحوب بالدليل الشرعي من الكتاب والسنة والإجماع.

معرفة العبد ربه تعالى: هذا أصـل من أصـول الدين. وأهم ركائزه الذي لا يذكر له وجود إلا به ولا يصـح إسـلام المرء إلا بتحقيقه ابتداء، وهذه المعرفة تقتضي العلم بالله تعالى وبأسمائه وبصفاته و أفعاله على يقين وبصيـرة وذلك من خلال ما تعرف به سبحانه إلى عباده أمرا ونهيا وإذنا ومنعا وشـريعة مما جاء في كتابه أو في سـنة رسـوله صلى الله عليه وسلم، **ليعبدوه حق عبادته ويوحدوه حق توحيده.**

قـال: ربـه تعـالى: ولم يقـل إلهـه لأن المراد هنـا بـالرب المعبود لان الربوبية في هـذا المقـام يقصـد بهـا الألوهية والعبودية. لم؟ لأن

ويطلق على المسـتصـحب أي اسـتصـحاب الحال: كقولنافيمن كان متـيقنا:الأصـل الطهارة أي استصحاب الطهارة

الابتلاء للأنبيـاء والرسـل لم يقع في مطـالبـة أقوامهم بـالإقرار بـالربوبيـة بـل وقع ذلـك في مطـالبتهم بـالاعتراف بـألوهيتـه تعـالى و إفراده بالعبادة دون غيـره مما كان يعبد هؤلاء مع الله تعالى من أوثان وأصنام ونحوها

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ﴿وَلِهَذَا لَمْ يَرِدِ التَّكْلِيفُ بِمَعْرِفَةِ وُجُودِ الصَّـانِعِ[1]، وَ إِنَّمَا وَرَدَ بِمَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ وَنَفْيِ الشِّـرْكِ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾[2]

وقد مر بنا أن ذلك هو محل النزاع والخصام بين الرسل و أقوامهم.

انظر لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّـمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّـمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴿٣١﴾﴾ **يونس 31.**

ومعلوم أن المشـركين في كل زمان لم ينازعوا في توحيد الربوبية. ولهذا فسـر العلماء سـؤال الملكين للمقبور من ربك؟ أي من معبودك؟ وقال الإمام ابن

---

[1] **قال الشيخ بن عثيمين رحمه الله تعالى في تفسيره: جواز إضافة الصنع إلى الله** ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾.

ولكن هل يؤخذ منه إثبات اسم الصانع لله أو لا؟ لا يؤخذ منه، ولكنه يُخبـر به عن الله، فيقال: إن الله تعالى صانع كل شيء، على سبيل الخبرية، وأما إثبات اسم الصانع فلا.

على أنه يوجد في كلام شـيخ الإسـلام ابن تـيمية رحمه الله تعالى وكلام ابن القيم رحمه الله تعالى دائمًا كلمة (الصـانع)، والظاهر أنهم أرادوا بهذا مخاطَبة الكلام بمثلما يتكلمون به، ولذلك يقولون مثلًا: إثبات الصـانع يدل عليه كذا وكذا.مع أننا نرى أن الأولى والأفضـل ألا يثبت حتى بهذا اللفظ، بل يقال: إثبات الخالق دل عليه كذا وكذا، والخالق جاءت في القرآن، وهو أبلغ من الصانع.

إنما على كل حال، الإخبار عن الله بأنه صانع مضافًا إلى التعميم مثل: صانع كل شيء، هذا جائز لا بأس به، والناس يقولون في عباراتهم العامية: (صانع كل مصنوع)، هذا خبـر صحيح، أما أن تجعله اسمًا من أسماء الله، فلا؛ لأنه يُفرّق بين الاسم وبين الخبر.

[2] **مجموع الفتاوى ص: 129-130 / 03**

عبد الوهاب رحمه الله في الدرر السنية. يقول الملكان للرجل في القبر من ربك؟ معناه من إلهك؟ لان الربوبية التي أقربها المشركون لا يمتحن أحد بها.

بعض علماء السنة قرر: أَنَّهُ إِذَا أفردت كَلِمَةُ الرُّبُوبِيَّةِ وَأُطْلِقَتْ فَإِنَّهُ يَدْخُلُ فِيهَا مَعْنَى الْأُلُوهِيَّةِ. لَأَنَ الْحَقِيقَةَ أنَ الرُّبُوبِيَّةَ تَسْتَلْزِمُ الْأُلُوهِيَّةَ. وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ يَسْتَلْزِمُ تَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ. لَأَنَ الْمُوَحَّدَ إذا وَحَّدَ الله تعالى فِي أُلُوهِيَّتِهِ فَإِنْهُ ضِمِنَا قَدْ أَقَرَّ بِتَوْحِيدِ رُبُوبِيَّتِهِ وَلِذَا كَانَ أسلوب الْقُرْآنِ أَنْ يُقِيمُ الْحُجَّةَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الْمُقِرِّينَ بِالرُّبُوبِيَّةِ بِعَدَمِ إقرارهم بِتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ انظر: إلى قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴿٣٨﴾﴾ الزمر38 .فإن ما قبل الفاء توحيد ربوبية. وما بعدها توحيد الألوهية. وقد تسمى الآلهة المعبودة من دون الله تعالى أربابا. ولذلك قال بعض العلماء رحمه الله: ﴿إِنَ لَفْظَ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ يَدْخُلُ فِي بَابِ الألفاظ الَّتِي إِذَا اجْتَمَعَتِ افْتَرَقَتْ وإذا افْتَرَقَتِ اجْتَمَعَتْ﴾مثل الإسلام والإيمان والفقير والمسكين ونحو ذلك.

والمعرفة المرادة هنا هي: التي تُرادف العلم في حق المخلوق. أما في حق الخالق فان الله تعالى يوصف بالعلم ولا يوصف بالمعرفة. وذلك لأن العلم قد لا يسبقه جهل، أما المعرفة فإنها حتما يسبقها جهل. والله تعالى منزه

عن الاتصاف بصفة الجهل ولأنها صفة نقص والله تعالى ينبغي له أن يتصف بكل صفات الكمال المطلق.

- وقوله رحمه الله: (ودينه): أي الإسلام بالمعنى الخاص الذي تعبدنا الله تعالى به المتضمن للأوامر والنواهي والأحكام والتكاليف. فيجب الانقياد له والاستجابة لشريعته من غير رد ولا معارضة.
- وقوله رحمه الله: (ونبيه محمد الله عليه وسلم): ذلك لأنه الواسطة بيننا وبين ربنا المعبود في تبليغ شريعته وبيان مراده من خلقه وذلك بمعرفة نسبه ودعوته وجهاده وسيرته وأخلاقه.
- ثم شرع الشيخ رحمه الله في بيان المقصود تحقيقا للفائدة: وهو تفصيل هذه الأصول بأدلتها وقد ذكرت هذه الأصول في حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم وكنيته أبو الفضل. خرج مع قريش في بدر فأسره المسلمون فافتدي نفسه،وقيل أسلم قبل خيبر وأخفى ذلك عن قومه. وكان يراسل النبي صلى الله عليه وسلم بأخبار قريش. وقد ثبت في حنين حين فرَّ أكثر المسلمين، وكانت له السقاية والعمارة لبيت الله الحرام، مات (٣٢) هـ رضي الله عنه وحديثه عند مسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على من رضي بالله ربا: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- يقول: رضي الله عنه (ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمان مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسلام دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا)[1]

[1] رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان برقم 34

قال: بعض العلماء رحمه الله: ﴿الرِّضَـا بِهَذِهِ الأُصُـولِ الثَّلَاثَةِ. قُطْبُ الدِّينِ وَعَلَيْهِ تَقُومُ حَقَائِقُ الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ، وَهَذَا الرِّضَـا مَحَلُّهُ الْقَلْبُ وَثَمَرَتُـهُ تَظْهَرُ فِي أَقْوَالِ الْعَبْـدِ وَأَعْمَـالِـهِ بِفِعْـلِ الطَّـاعَـاتِ وَتَرْكِ الْمَعَاصِي﴾.

قوله: (فإذا قيل لك من ربك)؟أي إذا سُـئِلت من خالقك؟من رازقك؟ من مدبرك؟ من مربيك؟ من معبودك؟

الجواب قُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِـوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: » الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَـالَمِينَ»[الفاتحة: 2]. وَكُلُّ مَنْ سِـوَى اللهِ عَـالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

وقد وجه النبي صـلى الله عليه وسـلم هذا السـؤال إلى جارية: رضـي الله عنه يُخبِرُ الشَّـريدُ بنُ سُـوَيْدٍ الثَّقَفيُّ رضـي الله عنه: "أنَّ أمَّه أوصَتْه"، أي: طلَبَتْ مِن ابنِها الشَّريدِ إنْ هيَ ماتَت، "أنْ يُعتِقَ عنها رقبَةً مؤمِنَةً"، أي: يُحرِّرَ عبدًا مؤمِنًا أو أمَةً مؤمِنَةً مِن العبوديَّةِ، "فأتَى" الشَّـريدُ رضـي الله عنه إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، "فقال: يا رسولَ اللهِ، إنَّ أمِّي أوصَتْ أنْ أُعتِقَ عنها رقَبةً مؤمنَةً، وعندي جاريَةٌ سَـوْداءُ نوبيَّةٌ"، أي: مِن بِلادِ النُّوبَةِ وهي بِلادٌ واسِـعةٌ تقَعُ جَنوبَ مِصـرَ فسـأل رسـولَ اللهِ صلى الله عليه وسـلم الجارِيةَ: (فقال من ربك؟ قالت الله. فقال "أيْن اللهُ؟"؛ وذلك حتَّى يعلَمَ إن كانت مِن عبَدَةِ الأوْثانِ أم مِن أهْلِ الإيمان، "قالَت: في السَّـماءِ"، أي: مُسـتَوٍ على عَرْشِـه فوْقَ سـمَواتِه، "قال: مَن أنا؟، قالت: أنتَ رسـولُ اللهِ، قال: أعتِقْها؛

فإنَّها مؤمنَةٌ"، أي: ظاهِرُها الإيمان).[1]وكذلك صـح من حديث معاوية ابن الحكم السـلمي أن له جارية أراد أن يعتقها فجاء بها النبيصلى الله عليه وسلم (فسألها أين الله؟ قالت: في السماء قال: من أنا؟ قالت أنت رسـول الله صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعتقها فإنها مؤمنة).[2]

الرب: في لغة العرب يطلق على معان عدة منها السـيد والمتصـرف والمالك والمصلح والقائم بالأمروالمنعم. وإذا أطلقت وصدرت بـ (أل) فيقصد بها الله عزّوجل. وإذا نكرت وأضيفت قصد بها غيـره. مثل رب الداررورب الأسرة ورب الإبل.والمعنى صاحب كما ورد في سيـرة النبي صلى الله عليه وسلم على لسان عبد المطلب عندما كلمه أبرهة الحبشي وهو يريد هدم الكعبة وقد أخذ إبله فقال له: ﴿إني أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه...﴾ [3]

- قال ابن القيم رحمه الله: ﴿اسمُ «الرَّبِّ» له الجَمعُ الجامِعُ لجميعِ المخلوقاتِ؛ فهو رَبُّ كُلِّ شَيءٍ وخالِقُه، والقادِرُعليه لا يخرُجُ شيءٌ عن ربوبيَّتِه، وكُلُّ من في السَّـمَواتِ والأرضِ عبدٌ له في قَبْضَـتِه، وتحت قَهْرِه﴾.[4]
- وقالابن تـيمية رحمه الله: ﴿و"الرَّبُّ" هُوَ الْمُرَبِّي الْخَالِقُ الرَّازِقُ النَّاصِرُ الْهَادِي. وَهَذَا الِاسْمُ أَحَقُّ بِاسْمِ الِاسْتِعَانَةِ وَالْمَسْأَلَةِ. وَلِهَذَا يُقَالُ: رَبِّ اغْفِرْلِي وَلِوَالِدَيَّ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ

[1]والحديث اخرجه ابو داود والنسـائي والدارمي وأحمد رحمه الله. وصـححه الشـيخ الألباني رحمه الله تعالى برقم: (3161)

[2]حديث رواه ابو داوود وصححه الشيخ الألباني رحمه الله برقم:(3282)

[3]السيرة النبوية لابن هشام رحمه الله تعالى :(م 52/1)

[4]ينظر مدارج السالكين: 1/85

لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْلِي رَبَّنَا اغْفِرْلَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا؛ فَعَامَّةُ الْمَسْأَلَةِ وَالِاسْتِعَانَةُ الْمَشْرُوعَةُ بِاسْمِ الرَّبِّ[1]﴾ .

- وفي معنى الرب: التربية وهي تنشـئة الشـيء ورعايته حالا فحالا على مدارج الكمال وهو المعنى الذي قصده الشيخ رحمه الله وتربية الله عزّ وجل لمخلوقاته نوعان:
- التربية العامة: تشمل كل بروفاجرومؤمن وكافروطائع وعاص وناطق وصامت ويتمثل ذلك في الخلق والرزق والإمداد بكل مقومات الحياة من مأكل ومشرب وغيرهما.
- والتربية الخاصة: تربية الله عزّوجل لأوليائه وعباده المتقين بهدايتهم وتثبيتهم وتأييدهم وتيسير الطاعة لهم وعصمتهم من الشيطان وأعوانه ولعل هذا المعنى هو السرفي كون أكثرأدعية الأنبياء والرسل وردت بلفظ الرب.

- قال الله عزّوجل: عن لسان آدم وزوجهعليهم السلام: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴿٢٣﴾﴾. الأعراف 23
- قال الله عزّوجل: وعلى لسان نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴿٢٨﴾﴾ نوح 28.

[1] مجموع الفتاوى" (14/ 13).

قال الله عزّوجل: وعلى لسان إبـراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠﴾ **إبراهيم 38-40.**

قال الله عزّوجل: وعلى لسان يوسف عليه السلام: ﴿۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ **يوسف 101.**

واعلم رحمني الله و إياك: أن من أعظم أنواع التربية التي ربى الله عزّ وجل بها خلقه هو إرسال رسل إليهم و إنزال الكتب عليهم.

قال الله عزّوجل: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ **يونس 58.وذلك لبيان الحق وهداية الخلق و إقامة الحجج عليهم وقطع العذر عنهم.**

قوله رحمه الله: **(بنعمه) قد تكون النعم مادية محسوسة، يشترك فيها كل المخلوقات وقد تكون معنوية مختصة بأهل الإيمان، من راحة النفس وطمأنينة القلب وهدوء البال والرضا على كل حال.**

قال الله عزّوجل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾. **النحل 53.**

قال الله عزّوجل: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾. **النحل 18.**

قال الله عزّوجل: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ **لقمان 20.**

وقد ذكرت سورة النحل كثيرا من النعم. لذلك بعضهم سماها سورة النعم

قوله رحمه الله: **(وهو معبودي ليس لي معبود سواه.): وهو تفسير لمعنى الرب في إجابته: فقل ربي الله. فالرب هنا فسره بالمعبود الحق الذي لا يستحق أن يفرد بالعبادة إلا هو سبحانه وتعالى. ومعناه: هو الذي أعبده وحده وأذل له وأخضع و أنقاد له ولا أصرف شيئا من العبادة لغيره أبدا.**

قوله رحمه الله: **والدليل قوله تعالى: (الحمد لله رب العالمين):**

ثم ساق الدليل الشرعي من على صحة إجابته على السؤال الأول: من ربك؟ بأول آية في كتاب الله عزّوجل بعد البسملة وهي الآية الأولى من سورة الفاتحة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾.

الحمد: هو الثناء بذكر أوصاف المحمود على جهة الكمال والجلال والجمال مع المحبة والتعظيم و"أل" في كلمة الحمد تفيد الاستغراق والشمول أي هو المستحق عزّوجل لجميع المحامد دون غيره واللام في الله هي للاختصاص. أي أخصه عزّ وجل بجميع المحامد قالا وحالا.

رب العالمين: تتضمن إقرارا بربوبيته على كل العوالم. من الإنس والجن والملائكة وغيرها ممن خلق الله عزّوجل في العالم العلوي

وفي العالم السفلي، وهو خالقهم ورازقهم وهو مدبرهم وإليه يرجعون، وعنده يجمعون وعلى أعمالهم يحاسبون أعنى المكلفين من خلقه من الجن والإنس.

قال ابن القيم رحمه الله في نونيته:

٣٢٥١ - وَهُوَ الحَمِيدُ فَكُلُّ حَمْدٍ ❁❁❁ أَوْ كَانَ مَفرُوضًا مَدَى الأَزْمَانِ

٣٢٥٢ - مَلأَ الوُجُودَ جَمِيعَهُ ونَظِيرَهُ ❁❁❁ مِنْ غَيْرِ مَا عَدٍّ وَلَا حُسْبَانِ

٣٢٥٣ - هُوَ أَهْلُهُ سُبْحَانَهُ وَبِحمدِهِ ❁❁❁ كُلُّ المحَامِدِ وَصْفُ ذِي الإِحْسَانِ

وفي الآية دليل على أن الله عزّوجل وحده المستحق للعبادة لكونه رب العالمين

قوله رحمه الله: **(وكل ما سوى الله عالم و أنا واحد من ذلك العالم): أي ما خلق الله عزّ وجل من أجناس هذه المخلوقات: الطير والحوت والنبات والوحوش وغيرها و أنا واحد من هذه المخلوقات**

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ **الأنعام 164**.

ومن ثمة فما يوجد إلا خالق ومخلوق ورب ومربوب ووجب على المخلوق المكلف أن يعبد هذا الرب الخالق العظيم

كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ **الأنعام١٠٢**.

قوله رحمه الله: **(فإذا قيل لك بما عرفت ربك): أي إذا سُئلت ما الدليل الذي عرفت به ربك؟ كان الجواب: بآياته ومخلوقاته، وهذا**

فيه إشـــارة إلى اعتماد الأدلة الشـــرعية الصـــحيحة في إثبات معتقد المسلم ولا يجوز فيه التقليد العاري عن الدليل.

قوله رحمه الله: **(بآياته ومخلوقاته)**

الآيات: **هي البـــــراهين والأدلة التـــــي أوجدها الله تعالى في الكون للـدلالـة عليـه لأنـه الرب الحق الخـالق المـدبـــــر العليم الحكيم، والمستحق وحده أن تصرف إليه العبادة.**

ومخلوقاته: أي ما خلقه الله تعالى ودل عليه بديع صـــنعه وعظمة قدرته وســـعة علمه وحكمته ثم ذكر أمثلة على هذه الآيات الباهرة العظيمة.

فقال رحمه الله: **وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّـــمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا:**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّـــمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّـــمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّـــحَابِ ٱلْمُسَـــخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّـــمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ **البقرة 164.**

وســـاق الدليل في قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّـــمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْـــجُدُوا۟ لِلشَّـــمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْـــجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ **فصلت 37 .**

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّـمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْـتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّـــمْسَ

وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَـخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ الأعراف 54

- **فمعرفة الله تتحقق: بالنظر والتدبر في آياته المنظورة وفي آياته المسطورة وذلك من خلال تدبر الوحي من كتاب وسنة وما يتضمنان من علم وحكمة وهداية تحفظ مصالح العباد في معاشهم وفي معادهم وتبين لهم سبيل الهداية والسعادة في الدارين وتحذرهم من سبل الضلال والغواية وحال مآلهم يوم القيامة.**
- **قوله** رحمه الله: **(والرب هو المعبود): والدليل قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ البقرة 21-22.
- **معناه: كما في الآية أنّ هذا الرب تعالى الذي من أوصافه الخلق والرزق وجعلُ الأرض فراشا والسماء بناء و أنزل الماء من السماء لحياة الناس والبناء و إنبات النبات وإخراج الثمرات هذا الذي فعل هذا كله ويفعل غيره كثير، هو الذي يجب أن يفرد بكل أنواع العبادة، وأن لا يجعل له أندادا ولا شركاء في عبادته و أنتم تعلمون أنه لا ند له ولا ظهير له ولا شبيه ولا مثيل له، و أنتم تعلمون أن الله تعالى هو الذي فعل ذلك كله وحده وغيره لم يفعل شيئا، وهذه الآية هي أحد البراهين التي أبطل الله تعالى بها اعتقاد المشركين في**

آلهتهم، فإنها لا تقدر على شيء من أمرها ولا أن تنفع غيـــرها ممن يعبدونها.

يقول الشاعر معروف الرصافي في قدرة الله تعالى في إنبات النبات:

نـظـر لـتـلـك الشـــجـرة ❁❁❁ ذات الـغصـــون الـنضـــرة
كـيـف نـمـت مـن حـبـة ❁❁❁ وكـيـف صـــارت شـــجـرة
فـانـظـر وقـل مـن ذا الـذي ❁❁❁ يـخـرج مـنـهـا الـثـمـرة
ذاك هـــو الله الـــذي ❁❁❁ أنـــعـــمـــه مـــنـهـــمـــرة
ذو حـكـمـة بـالـغـة ❁❁❁ وقـــدرة مـــقـــتـــدرة

وفي أبيات في وصف النرجس لأبي نواس (ت 196هـ)يقول:

تـأمـل في نـبـات الأرض وانـظـر ❁❁❁ إلى آثـار مـا صـــنـع المـلـيـكُ
عـيـونٌ من لجين[1] شـــاخصـــات ❁❁❁ بأبصـــار هي الذهب السـبيكُ[2]
على قضـب الزبـــرجد[3] شـاهدات ❁❁❁ بـأن الله لـيـس لـه شـــريـكُ

قـــــوله رحمه الله: **(قال ابن كثير: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة): ابن كثير هو إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء توفي ٧٧٤ هجري وهو أحد تلامذة شيخ الإسلام ابن تـيمية، فقد أصاب في كلمته فإن الخالق لهذه الأشـياء المذكورة في آية البقرة هو الذي يسـتحق أن يعبد وحده لا شريك له، لكونه اتصف بصفات الكمال المطلق من كل وجه مبـــرئ من كل نقص وعيب وخلل. ثم ناسـب أن يبين ما هي هذه**

---

[1] أي من الفضة

[2] والسـبيك: المسـبوك أي المذاب. والمعنى أن النرجس بأوراقه البيض المسـتديـــرة وما في وسـطه من الكرات الذهبية يشبه عيوناً من ذهب محيط بها إطار من فضة.

[3] على قوائم خضر مثل الزبـــرجد وهو حجر كريم يشبه الزُّمُرُّد، وهو ذو أَلوان كثـيـــرة أَشهرها الأَخضر المصري والأَصفر القبرصي.

العبادة الواجب صـرفها إلى الله تعالى دونما سـواه.قال أحدهم في منظومته على الأصول الثلاثة:

الأصل الأول: معرفة العبد ربه

٣٩– وإنْ تَسَـلْ يا صاحِما الثلاثَهْ؟ ❁❁❁ وأقصـدُ الأُصُـولَ بـالـوِرَاثَـهْ

٤٠ – فـأولاً أنْ تَعْرِفَ الرحمـانَـا ❁❁❁ أجِـبْ كـذا ولا تَـكُـنْ جَـبَـانـا

٤١ - وإنْ نَقُـلْ: مَنْ رَبُّـكَ المَتِيْنُ؟ ❁❁❁ فَـقُـلْ مُـجِـيـبـاً وبِـهِ تَـدِيْـنُ

٤٢ – الرَّبُّ مَنْ رَبَّى جَميع العَـالَمِ ❁❁❁ دليلُـهُ في (الحَمْـدِ) يـا ذَا قَـدْ نُمِي

٤٣ – عَـرَفْـتُـهُ بـالآيِ والمَخْـلُـوقِ ❁❁❁ كـالـلـيـلِ والسـمـاءِ والـبُـرُوْقِ

٤٤ – دليلُـهُ مِنْ سـورةِ (الأعرافِ) ❁❁❁ و (فُصِّـلَـتْ) بـهـا دلـيـلٌ وَافِي

٤٥ – ورَبُّـكَ المـعـبـودُ فـلـتُـوَقِّـرَهْ ❁❁❁ دلـيـلُـه مِـنْ آيـةٍ فِي (الـبـقـرهْ)

٤٦ – وابنُ كَثـيـرٍأكَّـدَ المَقَـالا ❁❁❁ بـذِكْـرِ حـقِّ ربِّـنـا تـعـالى

فقـال رحمـه الله: **وَأَنْوَاعُ الْعِبَـادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَـا مِثْـلُ: الإسـلام، وَالإيمـان، وَالإِحْسَـانِ، وَمِنْـهُ: الـدُّعَـاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَـاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُـوعُ، وَالْخَشْـيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْـتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَاللهُ بِهَا. كُلُّهَا لله تعالى .**

والمراد بأنواع العبادة أي إقرارها فمنها ما يختص بالقلب ومنها ما يختص باللسان ومنها ما يختص بالجوارح.

(التـي أمر الله بها): أي التـي بينها الله تعالى على لسان رسوله محمد صـلى الله عليه وسـلم، **فيما أنزل عليه من الوحي، من حيث معناها وشـروطها وأركانها وواجباتها ونو اقضـها، فخرج بذلك كل عبادة لم يأمر بها الله تعالى ولا رسوله** صلى الله عليه وسلم، **وأحسن ما عرفت به العبادة،**

فَقَالَ شَيْخُ الْإِسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ﴿الْعِبَادَةُ: هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ الله تعالى وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ. فَالصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصِّيَامُ وَالْحَجُّ وَصِدْقُ الْحَدِيثِ وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةُ الْأَرْحَامِ وَالْوَفَاءُ بِالْعُهُودِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْجِهَادُ لِلْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْإِحْسَانُ إلى الْجَارِ وَالْيَتِيمِ وَالْمِسْكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَالْمَمْلُوكِ مِنَ الْآدَمِيِّينَ وَالْبَهَائِمِ وَالدُّعَاءُ وَالذِّكْرُ وَالْقِرَاءَةُ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَادَةِ-يَعْنِي الظَّاهِرَةَ- وَكَذَلِكَ حَبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَخَشْيَتُهُ وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ وَإِخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ وَالصَّبْرُ لِحُكْمِهِ وَالشُّكْرُ لِنِعَمِهِ وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ وَالرَّجَاءُ لِرَحْمَتِهِ وَالْخَوْفُ لِعَذَابِهِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ هِيَ مِنَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ-يَعْنِي الْبَاطِنَةَ- وَجُمَّاعُ الْعِبَادَةِ كَمَالُ الْحُبِّ مَعَ كَمَالِ الذُّلِّ﴾[1]

قال المصنف رحمه الله: (وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإسلام، وَالإيمان، وَالإِحْسَانِ): وهذه الثلاثة التي استدل بها الشيخ رحمه الله لأنواع العبادة مراتب ثلاث تشمل الدين كله وهي أصول العبادات التي تبنى عليها غيرها كما جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صحيح مسلم رحمه الله لما سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ على مراتب الدين كله وأهم أنواع العبادة. والعبادة التي أمر الله تعالى بها هي التي بينها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من حيث صفتها وأركانها وواجباتها وزمانها وشروط صحتها وأسباب بطلانها وغير ذلك، فتخرج بذلك:

[1] رسالة العبودية ص ٣٨ لشيخ الإسلام بن تيمية - رحمه الله تعالى -

كل عبادة أمر بها غير الله تعالى وغير رسوله ﷺ، وكانت صادرة عن هوى وهذر وهذيان وخلت من الحجة والبـــرهان.وعرف العلماء العبادة بتعريفات مختلفة منها:

- العبادة: كل ما كان طاعة لله أو قربة إليه أو امتثال لأمره أو انتهاء عن نهيه.
- العبادة: هي فعل المكلف على خلاف نفسه.
- العبادة: ما أُمر به شرعا من غير اطراد عرفي[1] ولا اقتضاء عقلي[2]
- وأحسـن التعاريف الجامعة المانعة هو تعريف شـيخ الإسـلام رحمه الله: الْعِبَادَةُ: هِيَ اسْـمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ الله تعالى وَيَرْضَـاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة.المذكور مصدره سابقا .
- قال ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته:

٥١٤ - وَعِبَادَةُ الرَّحْمن غَايَةُ حُبِّهِ ❁❁❁ مَعَ ذُلِّ عَابِدِه هُمَا قُطْبَانِ

٥١٥ - وَعَلَيْهِمَا فَلَكُ العِبَادَةِ دائرٌ ❁❁❁ مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ القُطْبَانِ

٥١٦ - ومَدَارُهُ بالأَمْرِ أمْرِ رسُولِهِ ❁❁❁ لَا بالهَوَى والنَّفْسِ والشَّيطَانِ

وقد حصـر بعض جهلة المسـلمين مسـمى العبادة في ممارسـة الشـعائر التعبدية. كالصـلاة والصـيام والحج وغيـرها، واكتفوا بذلك فإذا باشـروا مجالات حياتهم الأخرى يتصـرفون كأنهم لا صـلة لهم بالدين أصـلا ولا فرعا، وبعضهم يقصرها على القلب ويعطل منها الجوارح كقول القائل: «الإيمان في القلب». وذلك من تلبيسـات ومخادعات الشـيطان لهم.وبعضـهم يجعلها

[1] مصدر اضْطَرَّوهي الحاجَةُ والضَّرُورَةُ. لعادة جمهور قوم من الناس في قولهم أو عملهم أو نقول: هو ما تتابع الناس على فعله أو تركه حتى صار عُرفاً لهم.

2 هو ما يلزم بدلالة العقل فعله أو تركه؛ كاجتناب ما يخشى ضرره

علاقة بين العبد وربه فيقول إنما الدين في المسجد فقط فإذا خرج خلع حلية الدين من عنقه ولا علاقة لها ببقية شـــؤون الحياة الأخرى، كاعتقاد أهل الأديان المنحرفة مثل النصارى وغيرهم.

- والحق الذي لا مرية فيه هو أن العبادة تستغرق حياة المسلم كلها أينما حل و أينما ارتحل و أينما وُجد وعلى أي حال كان وفي أي مكان وفي أي زمان كما قال الديان: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ الحجر 99 وكما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه ابن داود رحمه الله عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اتق الله حيثما كنت)[1]
- قـــــــــوله رحمه الله: (وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُـــوعُ، وَالْخَشْـــيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْـــتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَاللهُ بِهَا. كُلُّهَا لله تعالى وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تعالى: »وَأَنَّ الْمَسَـــاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا»الجن 18:

قال(ومنه): الصواب ومنها الدعاء رجوعا على أنواع العبادة، وبدء به لعظيم شـــأنه وعلو مرتبته وأهمية مكانته في الدين ويظهروالله تعالى أعلم أن الشيخ رحمه الله أراد بالدعاء هنا دعاء المسألة والطلب ولأنه متضمن لدعاء العبادة وذكره أولا:

- ❖ لأن الشرك أكثرما يقع من الناس فيه أي في دعاء المسألة.
- ❖ واستقراء لآيات القرآن نجد التحذيـرأكثرما يـرد في التحذيـر من الشرك في الدعاء.

[1] الترمذي الحديث 18 من الأربعين النووية

❖ لأنه أعظم أنواع العبادة.

❖ ولأنه تجتمع فيه من أنواع التعبد ما لا تجتمع في غيـــره. فهو من العبادات القلبية لتوجه القلب إلى الله تعالى وهو كذلك من العبادات اللســانية تمجيدا أو تحميدا أو تقديســا، وفيه مسألة وتضرع و افتقاروبكاء وهي أمورتتعلق بعمل الجوارح.

📚 والدعاء شرعا له معنيان:

📖 هو امتثال خطاب الشرع المقترن بالحب والذل وهو ما لم يكن فيه صيغة سؤال أو طلب فيشمل جميع أفراد العبادة، ويسمى: دعاء العبادة وهو دعاء الله تعالى بأي نوع من أنواع العبادة وسميت العبادة دعاء لأن العبد طالب للثواب فيها،فكل عمل يتعبد به المسلم لربه فإنه يقصد من ورائه طلب رضا الله تعالى ودخول جنته والنجاة من ناره.

📖 أما المعنى الخاص هو طلب العبد من ربه تعالى حصول ما ينفعه أو دفع ما يضره ويسمى: دعاء الطلب والمسألة. وهو الغالب في تسمية المسلمين بالدعاء.

وقد يأتي الدعاء في القرآن بمعنى العبادة. قد يأتي بمعنى المسألة ويراد به مجموعهما.

✵ فكل دعاء عبادة يستلزم دعاء المسألة وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة.

📚 وأن المعبود الحق لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر حقيقة:

📚 فهو يدعوه تحصيلا للنفع ودفعا للضر دعاء مسألة.

- ويدعوه خوفا ورجاء دعاء عبادة. فعلم أن النوعين متلازمان.فالذي يدعو مع الله تعالى غيره مهما كان هذا الغير. ومهما كانت صورة هذه العبادة فقد جعله ندا لله تعالى وأعطاه شيئا من خصائص الله تعالى لا يستحقها قال ابن تيمية رحمه الله: ﴿وَأَصْلُ الشِّرْكِ أَنْ تَعْدِلَ بِاللَّهِ مَخْلُوقَاتِهِ فِي بَعْضِ مَا يَسْتَحِقُّهُ﴾[1]

- ثم ذكر الشيخ رحمه الله بعد عبادة الدعاء ثلاثة عشر نوعا من العبادة. مدارها إخلاص النية والقصد لله تعالى . وهي عبادات قلبية ثم قال وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ الجن: 18.

- والحاصل أن كل قول وعمل ثبت:
  - أنه مأمور به في الشرع.
  - أو مدحه الشارع.
  - أو أثنى عليه.
  - أو أثني على من قام به.

  فهو عبادة وقرب وطاعة إلى الله جل وعلا

- وكل امر ثبت:
  - النهي عنه من الشارع.
  - أو ذمه الشارع.
  - أو ذم من قام به.

  فإن تركه عبادة والبعد عنه عبادة أيضا وقربة وطاعة لله عزوجل، أما فعله فإنه يكون طاعة للشيطان ومعصية للديان

[1] يُنظر: ((الاستقامة)) (344/1).

وفي كل ذلك توحيد و إيمان وعبادة.

ثم ذكر بعض العبادات التي مدارها القلب والإخلاص والتي يجب ان يحذر المسلم من أن يشرك فيها مع الله غيره

ثم قال رحمه الله: **(فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛) وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تعالى:** ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧ ﴾ **المؤمنون: 117:**

أي من صرف شيئامن هذه العبادات التي ذكرها الشيخ رحمه الله **أو غيرها إذا صرفها العبد لغير الله تعالى فإنه بذلك يكفر ويشرك بالله تعالى شركا أكبر، وهذه العبادات لا تنفعه لجعله مع المعبود الحق ندا في عبادته ، وهو كافر لجحوده ما أوجب الله تعالى عليه من التوحيد الذي لا يتحقق إلا بإفراده تعالى بالعبادة.**

والمعنى من تعبد لغير الله تعالى بشيء من هذه العبادات أو غيرها فإنه كافر بالله تعالى مشرك به شركا أكبر.

و انظر إلى لفظة شيئا. التي وردت في كلام المصنف رحمه الله. **جاءت نكرة فدلت على معنى العموم تبعا لكلمة إلًها في الآية التي ساقها المصنف دليلاً على مراده فإنها دالة على العموم أيضا، بمعنى إذا دعا إلى عبادة آلهة أخرى مهما كانت هذه الأخرى ملكًا مقربًا أو نبياً مرسلاً أو ولياً صالحاً أو جنياً أو حجراً أو شجراً أو نحو ذلك فانه بذلك يكفر كفر أكبر ويشرك بالله شركا أكبر.**

- وكل نوع من الأنواع التي تدخل في مسمى العبادة صرفها لغير الله تعالى شرك أكبر مخرج من الملة. وصاحبه مشرك كافر إما الكفر الظاهر وإما الكفر الباطن، وإما بهما معا.
- والكفر لغة يطلق على الجحود والستر والتغطية وهو قسمان: وهو كفر أكبر كمن أنكر أحد أركان الإسلام أو أنكر معلوما من الدين بالضرورة وأصغر كقتل النفس ونحوها.
- والأكبر منه خمسة أقسام: وقال ابن القيم رحمه الله: ﴿وأما الكفر الأكبر، فخمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق﴾[1]
- بينما الشرك يطلق على التسوية. فالمشرك يعبد الله تعالى ويعبد معه غيره. والكافر لا يعبد الله تعالى أصلا كالملحد والمنكر لجود الله تعالى وقد يعبد غير الله مع الله تعالى مثل مشركي قريش عبدوا الله تعالى وعبدوا معه الأصنام والأوثان
- والدليل على ذلك ما روى عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رحمه الله ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِأَبِي: (يَا حُصَيْنُ، كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا؟) قَالَ أَبِي: سَبْعَةً سِتَّةً فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، قَالَ:" فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ " قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ: " يَا حُصَيْنُ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ "، قَالَ: فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ، قَالَ: يَا

[1] مدارج السالكين: (1/346)

رَسُــولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِيَ الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي، فَقَالَ: (قُلِ اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي)[1]

- وقد لا يعبد شيئا: كالشيوعي والدهري، وهو أيضا قسمان أكبر كالسجود لقبر ونحوه وأصغر كالحلف بغير الله تعالى وكلاهما قسمان خفي كخوف السر للأكبر والرياء للأصغر وجلي كالذبح لغير الله تعالى في الأكبر وتعليق التمائم وقد ينتقل بين المراتب على حسب الاعتقاد والقصد.

فالشرك يقابله التوحيد، أما الكفر فهو نقيض الإيمان.

- فكل من جحد الرب أو أنكر ذاته أو أفعاله أو أسماءه أو صفاته. و أنكر الرسالة أو أصلا من أصول الإيمان. فهو كافر كالملحدين. ومن ساوى بين الله تعالى وبين المخلوق في شيء من خصائص الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات. فهو مشرك كمشركي قريش. وقد يجمع الشخص بين الكفر والشرك. أو قد يجتمع الكفر والشرك في شخص أو في طائفة من وجه عام أو خاص. كحال أهل الكتاب فقد جمعوا بين الكفر بجحودهم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم. وبعبادة عيسى عليه السلام. وإذا أطلق أحد اللفظين دخل في معناه اللفظ الآخر.

فهما لفظان: إذا افترقا اجتمعا وإذا اجتمعا افترقا.

---

[1] الراوي: عمران بن الحصين | المحدث: البزار | المصدر: البحر الزخار الصفحة أو الرقم: | 9/53 خلاصة حكم المحدث: اختلفوا في إسناده، وهذا أصوبالتخريج: أخرجه الترمذي (3483)، والبزار (3580) واللفظ له، والطبراني (174/18 (396)

ومن تلبس بأحداهما أو بهما معا فلا فرق بينهما في الأحكام والآثار المترتبة عليهما من البراءة والهجران والمناكحة والولاية وغير ذلك من الأحكام، إلا أن الله تعالى خص أهل الكتاب اليهود والنصارى بشيء من الأحكام دون غيرهم من الكفار في إباحة طعامهم ونسائهم ورد السلام وغير ذلك لما معهم من أصل الكتاب وإن كان محرفا[1]

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ﴿أصل الشرك أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده، فإنه لم يعدل بالله أحد من المخلوقات في جميع الأمور، فمن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك﴾.[2]
- قال ابن القيم رحمه الله: ﴿أن يجعَلَ للهِ عَدلًا بغيرِهِ في اللَّفظِ أو القَصدِ أو الاعتِقادِ﴾.[3]
- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ﴿فمَن عَدَل باللهِ غيرَه في شيءٍ مِن خصائِصِه سبحانَه، فهو مُشرِكٌ﴾.[4]
- قال ابن السعدي رحمه الله: ﴿حقيقةُ الشِّرْكِ باللهِ: أن يُعبدَ المخلوقُ كما يُعبَدُ اللهُ، أو يُعظَّمَ كما يُعظَّمُ اللهُ، أو يُصرَفَ له نوعٌ مِن خصائِصِ الرُّبوبيَّةِ والإلهيَّةِ﴾[5]

---

[1] كلام الشيخ بن باز رحمه الله تعالى في حوار مع الخوارج بتصرف يسير

[2] يُنظر: الاستقامة .(1/ 344)

[3] يُنظر: ((إعلام الموقعين))(3/94)

[4] يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) .(13/19)

5 يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 279).

قال عنه المصنف رحمه الله: فهو مشرك كافر. وهذا حكم مطلق على من صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله عزوجل. وهنا نقطة مهمة زاغ فيها الكثير من الناس وهي:

الفرق بين التكفير المطلق وتكفير المعين: ففي الأول يُطلق القول بتكفير صاحبه الذي تلبس بالكفر فتقول من فعل كذا أو قال كذا فهو كافر بالعموم لا التخصيص والتحديد والتعيين.

وأما من قاله أو فعله فإنه لا يحكم بكفره بالإطلاق. حتى تجتمع فيه الشروط وتنتفي عنه الموانع[1]. فعند ذلك تقوم عليه الحجة التي يكفر بها. فالحكم على الفعل الظاهر بأنه كفر. هذا متعلق ببيان الحكم الشرعي. وهو حكم على الفعل دون الفاعل.وهو حكم خاص بالعلماء لا لعامة الناس فانتبه لهذا جيدا واحذر من المنزلقات، والتكفير المطلق لا يستلزم تكفيرا معينًا. فالكفر من

[1] أولًا: شروط الحكم على المسلم المعين بالكفر:

1. أن يكون عالمًا بتحريم هذا الشيء المكفر.
2. أن يكون متعمدًا لفعله.
3. أن يكون مختارًا.
4. أن تقوم عليه الحجة التي من عارضها يكفر

ثانيًا: موانع الحكم على المسلم المعّين بالكفر:

1. الجهل
2. التأويل.
3. الإكراه.

زاد بعضهم في موانع التكفير:

4. الخطأ
5. التقليد

ولكل من هذه الشروط والموانع أقسام وشروط وتفصيلات الا أني نقلتها من باب التصور الأولي للطلاب المبتدئ وتُبين وتوضح أكثر في متون ومستويات آخرى

الوعيد الذي يطلق القول به. ولا يحكم لمعين بدخوله في ذلك المطلق. حتى يقوم عليه المقتضى الذي لا معارض له.

واستدل بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ المؤمنون: 117: فالذي دعا غير الله تعالى من الأموات والغائبين أو رجاهم أو توكل عليهم أو خافهم أو سألهم قضاء الحاجات التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى فانه بذلك يكفر ويشرك بالله تعالى شركا أكبر.

- قوله تعالى: «لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ» أي لا حجة له ولا بينة عنده على ألوهية ذلك المدعو من دون الله. وهذا قيد مهمّ ملازم لكل من دعا غير الله تعالى . لأنه لا حجة لأحد في دعوى الشرك فكل دعوة لغير الله تعالى هي دعوة بغير برهان ومن فعل ذلك، بمعنى دعا غير الله تعالى بغير حجة ولا برهان.
- فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ: يوم القيامة بخلوده في النار إن مات على ذلك فهذا فيه تهديد عظيم ووعيد شديد لكل من دعا غير الله تعالى .
- إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ سمى المشرك كافرا، ووصفه بعدم الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة.
- قال عنه المصنف رحمه الله: وَفِي الْحَدِيثِ: (الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ). وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)غافر: 6: وهذا الحديث رواه الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه وهو ضعيف لعلتين:

- **في سـنده الوليد بن مسـلم القرشـي مولاهم أبو العباس الدمشـقي** رحمه الله **ثقة ولكنه كثير التدليس والتسوية.**[1]**(119هـ/195هـ)**
- **وفي سـنده عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضـرمي كنيته أبو عبد الرحمن المصـري القـاضـي** رحمـه الله **اختلط بعـد حرق كتبـه (93هـ/174هـ) قـال عنـه ابن حجر العسـقلاني** رحمـه الله: **في تقريب التهذيب: صـدوق خلط بعد احتراق كتبه، وقد ضـعف الحديث الحافظ المنذري** رحمه الله **صـاحب كتاب الترغيب والترهيب. وكذا الشـيخ العلامة شـامة الشـام الشـيخ الألباني** رحمه الله **في ضـعيف الجامع. برقم 3013.**

لكن ورد معناه في الحديث الصحيح باللفظ"الدعاء هو العبادة". فيسنن أبي داود رحمه الله **بـرقم 1479 والترمذي** رحمه الله **بـرقم 2969، عن النعمان بن بشر بن سعد الأنصاري أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي (02هـ/65هـ)** رضي الله عنه **.وقرأ النبي بعده قوله تعالى:** ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴿٦٠﴾ **غافر ٦٠وصححه الشيخ الألباني** رحمه الله **في صـحيح الجامع بـرقم: 3407. وقد قرر أهل العلم أن الدعاء نوعان: دعاء عبادة ودعاء مسألة.**

والآية تضـمنت: أمر الله تعالى عباده بأن يدعوه وينزلوا الحوائج به ووعدهم أن يسـتجيب لهم فدل على أن الدعاء عبادة. بل هو من أجل العبادات. وهو أمر يحبه الله رحمه الله **ويغضب على من لم يدعه** رحمه الله.

[1] قالها عند ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى في تقريب التهذيب.

كما في الحديث: (مَن لم يَسألِ اللَّهَ يغضبْ عليْهِ)[1]

كما قال أبو الفضل بن النحوي (ت 513هـ)[2]

لبستُ ثوبَ الرَّجا والنّاسُ قد رقدُوا ❁❁❁ وبتُّ أشكو إلى مولايَ ما أجدُ

وقلتُ: يا أملي في كلِّ نائبةٍ ❁❁❁ ومَنْ عليه لكشفِ الضُرِّ أَعتمدُ

أشكو إليكَ أمورًا أنتَ تعلمُها ❁❁❁ ما لي على حِمْلها صبرٌ ولا جلدُ

وقد مددتُ يدي بالذّلِّ مبتهلاً ❁❁❁ إليكَ يا خيرَ من مُدّتْ إليه يدُ

فلا تَرُدَّنَّها يا ربِّ خائبةً ❁❁❁ فبحر جودِكِ يروي كلَّ من يَرِدُ

والحاصل: **دعاء غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى شرك أكبر كدعاء الميت أو الغائب أو الحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى . فإذا كان دعاء غير الله في شيء من الأمور بـ "يا" النداء أو غيرها من أدوات النداء وكان يشتمل على رغبة ورهبة فهذا هو الدعاء الذي صرفه لغير الله تعالى شرك أكبر.**

قوله رحمه الله: **وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تعالى:** ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ **آل عمران: 175.**

الخوف:

لغة: هو الفزع والهلع والذعر والوجل والرعب.

---

[1] الراوي: **أبو هريرة** | ﷺ المحدث: **الألباني** رحمه الله تعالى | المصدر: **هداية الرواة** الصفحة أو الرقم: **2178** | خلاصة حكم المحدث: **صحيح** التخريج: **أخرجه الترمذي** رحمه الله تعالى **(3373)** واللفظ له، و **ابن ماجه** رحمه الله تعالى **(3827)**، وأحمد رحمه الله تعالى **((9719)**

2 **يعد أبو الفضل بن النحوي أحد أعلام المغرب الأوسط، ساهم في البناء الحضاري بالقلعة، ونشر فكره بها، وبالمدن المرابطية، وامتد تأثيره إلى الجانب السياسي عندما انتصر لكتاب الاحياء للغزالي في عهد علي بن يوسف بن تاشفين**

- اصـــطلاحا: فرار القلب إلى الله تعالى ذعرا وفزعا،وقيل هو انفعال يحصـــل بتوقع ما فيه هلال أو ضـــرر، وهو هرب القلب من حلول مكروه عند استشعاره وضده الأمن.
- والخوف المقصـــود في كلام الشـــيخ: هو الخوف من الله تعالى وهو عبودية خاصـــة بالقلب وتظهر ثمارها على الجوارح في الأقوال والأعمال فيجب أن يصـــاحب الخوف من الله تعالى محبته وتعظيمه لأنه عبادة من أجل العبادات القلبية. فلا يصـــلح أن يكون الا لله تعالى وحده.
- والدليل على أن الخوف عبادة: ما ساقه الشيخ رحمه الله من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴿١٧٥﴾﴾ آل عمران: 175.تضـــمنت هذه الآية الكريمة النهي عن الخوف من غيـــر الله تعالى دل ذلك على أن الخوف من الله تعالى مأموربه. ذلك في قوله: «وخافوني» ولا يأمر الله تعالى إلا بشيء وهو يحبه. ويكون عبادة له وأمرا مرضـــيا ومحبوبا لـه، مأمورا بـه. والواجب إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة. ولـذلـك علق وجود الإيمـان بشـــرط وجود الخوف من الله تعـالى . فقـال: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فخـافوني ولا تخافوهم وهذا يدل على وجوب إفراد الله تعالى بالخوف.
- المراد في الآية: فإذا خاف الإنســـان غيـــر الله تعالى خوف تعبد ومسـألة مسـتقرا بالقلب تحصـل به الطاعة والبعد عن المعصـية فان هذا من أنواع الشرك. وليس كل أنواع الخوف عبادة لغير الله تعالى . بل لا بد أن يكون مصـحوبا بالخضـوع والمحبة والتعظيم. والخوف أنواع منها:

1. **الخوف من الله تعالى في السر والعلانية: وهذا بفعل المأمور وترك المحظور تقربا إليه وهو المطلوب. وهو على قسمين خوف محمود وخوف مذموم**

- **كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: ﴿**اَلْخَوْفُ اَلْمَحْمُودُ هُوَ مَا حَجزَكَ عَنْ مَحَارِمِ اَللَّهِ**﴾**اهـ،أما إذا زاد الخوف بحيث يؤدي إلى القنوط واليأس، فهو خوف مذموم؛ لذلك لا بد أن تتوازن عبادةُ الخوف مع عبادة الرجاء.**

2. **ضده الخوف من غير الله تعبدا وتألها مع الخضوع والمحبة والتعظيم: كخوف السر يخاف من صاحب قبر أو ولي أو غائب وهو الممنوع وهو <u>شرك أكبر</u>.**
3. **والخوف المحرم: يخاف الناس أو أي شيء فيترك لأجله واجبا أو يرتكب محرما أو يسكت عن منكر**
4. **الخوف الفطري الطبيعي: قال الله تعالى:** ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴿٢١﴾﴾**القصص 21وهو خوف لا يلام عليه صاحبه إلا إذا تحول إلى القسمين الأولين فانتبه.**
5. **الخوف الوهمي المرضي: وهو خوف مما لا يُخاف منه وهو الخوفُ المُفرطُ والمبالغ فيه تجاه موضوع أو شيء أو موقفٍ معيّن كالخوف من الظل والقطط وغيره، ووجب على المكلف محاربته ودفعه وتناسيه وعدم الاسترسال معه.**

قوله رحمه الله: **وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تعالى:** ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴿١١٠﴾﴾ **الكهف: 110**

الرجـــاء:

- **لغة: الأمل وهو نقيض اليأس.**
- **اصطلاحا: طمع الإنسان في حصول خير قريب المنال**
- **والرجاء عبادة قلبية: تنعكس معانيها على جوارح العبد وهو أحد أركان العبودية القلبية التـــي هي: الخوف والرجاء والمحبة. فكل إنسان يرجو رحمة ربه وعفوه. ويخاف من ذنوبه ويحبه.**
- **ورجاء الله شـرعا: أمل العبد بـــربه في حصـول المقصـود مع بذل الجهد وحسـن التوكل. وذكر الشـيخ الرجاء بعد الخوف لأنه قرينه وصاحبه ملازم له.**
- **الرجاء الذي قصده الشيخ: هو طمع الإنسان في تحصيل شيء مما لا يملكه إلا الله تعالى كغفران الذنوب ودخول الجنة وشـفاء المريض والتوفيق للطاعة.**
- **قال الشـيخ بن العثـــيمين رحمه الله: ﴿الرجاء المتضـمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله تعالى وصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر أو أصغر بحسب ما يقوم بقلب الراجي﴾.[1]**
- **ثم ذكر الدليل: قوله تعالى:** ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ **الكهف: 110: وجه الاستدلال من الآية على أن الرجاء عبادة لا يجوز صـرفها لغيـــر الله، أن الله امتدح من قام بقلبه الرجاء وهو يرجو لقاءه سبحانه وتعالى وجعل طريق ذلك العمل الصـالح وترك الإشـراك به سـبحانه، فدل على**

[1] شرح الثلاثة أصول للشيخ بن عثيمين ص 58

أن هذا النوع من الرجاء محبوب له مرضي عنده وبذلك يكون عبادة وطاعة.

وأما الرجاء لشيء ممن يملك ذلك الشيء فهو رجاء فطري جبلي ولا يتعلق بالعبادة.

وقد ينقسم الرجاء إلى نوعين (محمود، مذموم):

1. **محمود وهو على قسمين:**

- رجاء رجل يعمل بطاعة الله: لينال ثوابه، قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ الزمر 9 وهذا هو النوع المشار إليه في الآية التي أوردها الشيخ في الرجاء «مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ»
- رجاء رجل عمل ذنوبا وتاب منها فهو يرجو أن يغفرها الله له: قال الله تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ المائدة 39.

2. **والرجاء المذموم:**

- رجاء رجل عمل ذنوبا وتمادى فيها أو قصر في الطاعة وتمنى من الله تعالى أن يغفرها له ولكنه لم يتب منها، أو تمنى أن يدخله الله تعالى الجنة بلا عمل.

قال الحسن البصري رحمه الله: ﴿ليس الإيمان بالتمنّي،ولا بالتحلي ولكن ما وقَر في القلب وصدّقه العمل، وإن قومًا

خرجوا من الدُّنيا ولا عمل لهم وقالوا: نحن نحسـن الظَّنَّ بالله وكَذَبُوا، لو أحسنوا الظَّنّ لأحسنوا العمل[1].﴾

قـال المصنف رحمه الله: **وَدَلِيلُ التَّوَكُلِ: قَوْلُهُ تعالى:** ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴿٢٣﴾﴾ [المـائـدة: 23]. **وقولـه:** ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: 3].

التـــوكل:

- **لغة: إظهار العجز والاعتماد على الغير[2].**
- **شـرعا: الاعتماد على الله عزّوجل كفاية وحبا في حصـول المرغوب ودفع المرهوب مع الثقة بالله عزّوجل . وفعل الأسـباب المأذون بها شرعا وقدرا.**
- **وحقيقة التوكل: تتضمن أمرين هما.**

أولا تفويض الأمر إلى الله عزّوجل وحده دون ما سواه.

ثانيا: عدم رؤية السبب والتعلق به بعد فعله.

- **فالتوكل هو: اعتقاد واعتماد وعمل.**

فمن ألغي السبب فقد طعن في الشريعة.

ومن اعتمد على السبب فقد أشرك بالله عزّ وجل.

- **والتوكل على الله عزّوجـل من أعظم العبـادات مـدارهـا القلـب وثمرتها الجوارح.وهي من أعلى مقامات التوحيد ولا تصلح إلا لله عزّ وجل وحده.**

---

[1] رواه الديلمي رحمه الله تعالى في مسند الفردوس برقم 5232

[2] الفيروزآبادي ت (871 هـ) في القاموس المحيط

❁ قال الإمام ابن القيم رحمه الله :﴿ التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة، ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها، ولا تزال معمورة بالنازلين لسعة متعلق التوكل، وكثرة حوائج العالمين، وعموم التوكل[1].﴾

ما هي حقيقة التوكل؟ لا يتحقق التوكل إلا بأمرين مهمين لا ينفك أحدهما عن الآخر وهما:

- صدق التفويض والاعتماد على الله عزّوجل في جميع الأمور وتفويض الأمر إلى الله عزّ وجل والعلم بأنه لا أمر إلا أمره ولا يكون شيء إلا بما قدره كونا. فانه لا حول ولا قوة إلا بالله عزّ وجل فالأمر أمره والمشيئة مشيئته والحكم حكمه
- فعل الأسباب المشروعة وعدم الالتفات إليها وربط النتيجة بها حتما لأن بذل السبب من تمام التوكل ولا يحصل به المراد وحده بل قد يحصل به وقد لا يحصل به.

والدليل على أنها عبادة ما جاء في الآية قوله الله عزّ وجل: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾. ويكون الاستدلال بالآية من وجهين هما:

- أولا: أن الله أمر بالتوكل عليه بل وجعله محصورا ومقصورا على الله عزّوجل لأن الآية تقدم فيها المعمول على العامل (وعلى الله)[2] أفاد ذلك

[1] في مدارج السالكين (م 113/3)

[2] فالأصل في لغة العرب تأخر الجار والمجرور وهو المعمول والعامل هو الفعل وحقه التقدم والأصل خارج القرآن: توكلوا على الله

الحصر والاختصاص وكل ما أمر الله عزّوجل به فانه يحبه ويرضاه ويكون عبادة له.

- ثانيا: تعليق وجود الإيمان وكماله بوجود التوكل على الله عزّ وجل وحده. فمن صرف هذه العبادة لغير الله عزّوجل فقد وقع في الشرك الأكبر كحال أولئك الذين يتوكلون على أصحاب القبور والأولياء. ويعتمدون عليهم في جلب المنافع ودفع المكاره.
- وما دام قد تقرر أنه ينبغي أن يُتوكل على الله عزّ وجل فإن بعض العلماء أجابوا على من يسأل هل يجوز أن يُقال توكلت على الله ثم عليك؟: قالوا لا يجوز ذلك لان التوكل عبادة قلبية محضة. لا يجوز إشراك غير الله عزّ وجل فيها.
- وساق الشيخ رحمه الله الآية الثانية لبيان جزاء المتوكل على الله عزّ وجل وحده ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي فهو كافيه وهذا الجزاء لا يكون إلا على ممارسة طاعة وعبادة لله عزّوجل .
- ومن توكل على غير الله عزّ وجل فيما أقدره الله عزّوجل عليه فذلك هو الشرك الخفي الأصغر، وأما إنابة الإنسان لغيره في بعض الأمور التي يقدر عليها فذلك جائز وسمي توكيلا لا توكلًا. فيقال وُكّلْتُ فُلانًا. لا توكّلتُ على فلان وهو باب خاص في الفقه يسمى الوكالة عند الفقهاء.
- وتعريفها: وهي الاعتماد على الغير في فعل ما يقدر عليه، والتوكيل إقامة الغير مقام نفسه في تصرف يملكه وهذا لا علاقة له بالعبادة.

فقد روى الإمام أحمد و أبو يعلى في مسنديهما وغيرُهما بسند صحيح من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في حجة الوداع وفيه: وكان جماعة الهدي الذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم والذي أتي به عَلِيٌّ رضي الله عنه مائةً، فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثلاثة وستين، وأعطى عليا رضي الله عنه فنحر ما غبر وأشركه في هديه فوكله رسول الله صلى الله عليه وسلم في إكمال نحر باقي الهدي.

خلاصة التوكل: صدق التفويض والاعتماد على الله في جميع الأمور مع الأخذ بالأسباب وعدم الالتفات إليها.

الرّغبة والرّهبة والخشوع.

قال المصنف رحمه الله: وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴿٩٠﴾﴾ الأنبياء: 90.

الرغبة: من رَغِبَ يَرْغَبُ رَغْبًا ورَغْبَةً وهو الميل إلى الشيء أو إرادته له بالحرص عليه وفيه معنى الضراعة والسؤال.

فالرغبة معناها: التضرع والسؤال والابتهال مع محبة الوصول إلى الشيء المحبوب. فاذا كان يدعو وعنده قوة لحصول مطلوبه فهذه رغبة.

فالرغبة: هي الرجاء المؤكد الذي معه حب وخضوع لمن يرجوه ولا بد منه في جميع العبادات فالرغبة هي رجاء متضمن للذل والخضوع الذي معه التعظيم.

- والفرق بين الرغبة والرجاء: إن الرجاء طمع والرغبة طلب، فالرجاء طمع فإذا قوي الطمع صار رغبة والرغبة إلى الله تعالى شرعا هي إرادة مرضاة الله تعالى في الوصول إلى المقصود محبة له ورجاء، وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرغب إليه وحده فقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَبۡ ۝٨﴾ الشرح 08.
- أما الرهبة: من رَهِبَ يَرْهَبُ رَهْبًا وَرَهْبَةً وهي: الخوف وهي ثمرة للهرب من الشيء المَخُوف منه. فهي خوف مقرون بعمل. ولذلك فهي أخص من الخوف.
- قال ابن القيم رحمه الله: ﴿وَأمّا الرَّهْبَةُ فَهي الإمْعانُ في الهَرَبِ مِنَ المَكْرُوهِ، وهي ضِدُّ الرَّغْبَةِ الَّتِي هي سَفَرُ القَلْبِ في طَلَبِ المَرْغُوبِ فِيهِ. وَبَيْنَ الرَّهَبِ والهَرَبِ تَناسُبٌ في اللَّفْظِ والمَعْنى، يَجْمَعُهُما الاِشْتِقاقُ الأوْسَطُ الَّذِي هو عَقْدُ تَقالِيبِ الكَلِمَةِ عَلى مَعْنًى جامِعٍ.وَأمّا الوَجَلُ فَرَجَفانُ القَلْبِ، و انْصِداعُهُ لِذِكْرِ مَن يُخافُ سُلْطانُهُ وعُقُوبَتُهُ، أوْ لِرُؤْيَتِهِ.وَأمّا الهَيْبَةُ فَخَوْفٌ مُقارِنٌ لِلتَّعْظِيمِ والإجْلالِ، وأكْثَرُ ما يَكُونُ مَعَ المَحَبَّةِ والمَعْرِفَةِ. والإجْلالُ: تَعْظِيمٌ مَقْرُونٌ بِالحُبِّ، فالخَوْفُ لِعامَّةِ المُؤْمِنِينَ، والخَشْيَةُ لِلْعُلَماءِ العارِفِينَ، والهَيْبَةُ لِلْمُحِبِّينَ، والإجْلالُ لِلْمُقَرَّبِينَ، وعَلى قَدْرِ العِلْمِ والمَعْرِفَةِ يَكُونُ الخَوْفُ والخَشْيَةُ﴾[1]

والناس صنفان. بين راغب وراهب.

أ. راغب فيما عند الله من الثواب والنعيم.

[1] مدارج السالكين (512/1)

ب. وراهب من عذاب الله وعقابه.

- وكثيرما يقرن القرآن بين الرغبة والرغبة. كما في الآية المتقدمة وكما في الحديث المتفق عليه في الصحيحين قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا فُلانُ إذا أوَيْتَ إلى فِراشِـكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ أسْـلَمْتُ نَفْسِـي إلَيْكَ، ووَجَّهْتُ وجْهِي إلَيْكَ، وفَوَّضْـتُ أمْرِي إلَيْكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إلَيْكَ، رَغْبَةً ورَهْبَةً إلَيْكَ، لا مَلْجَأَ ولا مَنْجا مِنْكَ إلَّا إلَيْكَ، آمَنْتُ بكِتابِكَ الذي أنْزَلْتَ، وبِنَبِيِّكَ الذي أرْسَـلْتَ، فإنَّكَ إنْ مُتَّ في لَيْلَتِكَ مُتَّ علَى الفِطْرَةِ، وإنْ أصْبَحْتَ أصَبْتَ أجْرًا[1]) .

- والرهبة من الله تعالى شرعا: فرار القلب إليه ذُعرا وفَزعًا منه مع عمل ما يرغب فيه ويجبه تعالى في الطاعات.

- والفرق بين الرغبة والرهبة: هو أن الرغبة رجاء خاص. وأما الرهبة فهي خوف خاص. فالرغبة نوع من الرجاء وهي أعلاه. والرهبة نوع من الخوف وهي منتهاه.

- الخشـــوع:

  - لغة: الذُّلُ والخُضُوعُ والتَطَامُنُ والتَواضُعُ.

  - فالخشوع: سكون فيه ذل وخضوع لأن الخضوع يغلب أن يختص بالبدن، وأمّا الخشوع تشمل البدن والبصر والسّمع والصوت.

  - قال ابن القيم رحمه الله: ﴿وَالْخُشُـــوعُ: قِيَامُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ بِـالْخُضُـــوعِ وَالـذُّلِّ، وَالْجَمْعِيَّةِ عَلَيْهِ وَقِيلَ: الْخُشُـــوعُ الِانْقِيَادُ لِلْحَقِّ، وَهَذَا مِنْ مُوجِبَاتِ الْخُشُـــوعِ، فَمِنْ عَلَامَاتِهِ أَنَّ

[1] الراوي: البراء بن عازب | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: 7488

الْعَبْدَ إِذَا خُولِفَ وَرُدَّ عَلَيْهِ بِالْحَقِّ اسْتَقْبَلَ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ وَالِانْقِيَادِ، وَقِيلَ: الْخُشُوعُ خُمُودُ نِيرَانِ الشَّهْوَةِ، وَسُكُونُ دُخَانِ الصُّدُورُ، وَإِشْرَاقُ نُورِ التَّعْظِيمِ فِي الْقَلْبِ، وَقَالَ الْجُنَيْدُ: الْخُشُوعُ تَذَلُّلُ الْقُلُوبِ لِعَلَّامِ الْغُيُوبِ﴾ والخشوع أبلغ من الخوف لأنّه يكون:

- **في القلب وهو محل الخشوع: والدليل من السنة: عنْ عَليّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه ، أنَّه سُئلَ عنْ قولِهِ عزّوجل: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: 2] قالَ: الخشوعُ في القلبِ، وأنْ تُلينَ كتفَكَ للمرءِ المسلمِ، وأنْ لا تلتفتَ في صلاتِكَ[1].**
- **ويكون في البصر فتذرف العين وتدمع:**

قد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبكي في صلاته كما روى عنه: قال عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو يصلِّي ولجوفِه أَزيزٌكأزيزِ الْمِرْجَلِ يعني يبكي[2]

وكان الأخيار الخشع الأتقياء يبكون في صلاتهم.

وكان الصّديق رضي الله عنه إذا صلى بالناس لا يسمع صوته من البكاء، كما قالت عنه ابنته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه: (... ثُمَّ بَدَا لأبِي بَكْرٍ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بفِنَاءِ دَارِهِ وَبَرَزَ، فَكانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ القُرْآنَ، فَيَتَقَصَّفُ عليه نِسَاءُ المُشْرِكِينَ

---

[1] الراوي: عبيد الله بن أبي رافع ﷺ| المحدث: الحاكم رحمه الله تعالى | المصدر: المستدرك على الصحيحين الصفحة أو الرقم:| 3528 خلاصة حكم المحدث: صحيح الإسناد

[2] الراوي: عبد الله بن الشخير رحمه الله تعالى | المحدث: الألباني رحمه الله تعالى | المصدر: صلاة التراويح الصفحة أو الرقم: | 119 خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح على شرط مسلم

وَ أَبْنَاؤُهُمْ، يَعْجَبُونَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لا يَمْلِكُ دَمْعَهُ حِينَ يَقْرَأُ القُرْآنَ...)[1]

وكان يسمع لعمر رضي الله عنه **نشيج البكاء وهو يصلي بالناس رضي الله عنه ، وكان مرة يقرأ في صلاة الصبح من سورة يوسف فلما وصل إلى قول الله تعالى:** ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ٨٦﴾ **يوسف ٨٦ بكى رضي الله عنه واشتد بكاؤه حتى انقطعت قراءته.**[2]

ويكون في السمع فتخشع.

كما قال الله تعالى: ﴿**يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا**﴾ طه ١٠٨[. **ومعناه سكنت جميع أصوات الخلق فلا تسمع إلا همس الأقدام أي وطئها على الأرض وهي تسعى إلى أرض المحشر للعرض على الله تعالى لانتظار الحساب والجزاء.**

ويكون في البصر:

كما قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ٤٣ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ٤٤﴾]**المعارج ٤٣-٤٤[. ومعنى خاشعة أبصارهم أي خاضعة أبصارهم لما هم فيه من الحزن والهوان ولا يستطيعون رفعها وتحريكها.**

---

[1] **رواه البخاري** رحمه الله تعالى **1297 والبيهقي** رحمه الله تعالى **في شعب اليمان.**

[2] **ذكره البخاري** رحمه الله تعالى **في صحيحه معلقا ووصله ابن أبي شيبة** رحمه الله تعالى **في مصنفه وكذا عبد الزراف** رحمه الله تعالى

وقال الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴿٤٥﴾﴾ **] الشورى ٤٥ [والمعنى قد أذلهم الخوف الذي نزل بهم وخشعوا له انتظارا لمعرفة مصيرهم ومآلهم.**

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴿٩﴾﴾ **] النازعات ٦-٩. [أي أن أبصارهم ذليلة خاضعة من شدة الخوف والفزع مما يرون ويسمعون وكذلك مما ينتظرون من الحساب والمآل.**

- **والخشوع لله شرعا: هو فرار القلب إلى الله ذعرا وفزعا مع الخضوع له.**
- **قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ﴿والخشوع في أصل اللغة الانخفاض، والذل، والسكون، قال تعالى وخشعت الأصوات للرحمن أي سكنت، وذلت، وخضعت، ومنه وصف الأرض بالخشوع، وهو يبسها، و انخفاضها، وعدم ارتفاعها بالري والنبات، قال تعالى ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت .والخشوع: قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل، والجمعية عليه**

وقيل: الخشـــوع الانقياد للحق، وهذا من موجبات الخشـــوع [1].﴾ فمن علاماته: أن العبد إذا خولف ورد عليه بالحق اســـتقبل ذلك بالقبول والانقياد.

- وقيل: ﴿الخشوع خمود نيـران الشهوة، وسكون دخان الصدور، وإشراق نور التعظيم في القلب﴾[2].
- وقال الجنيد: ﴿الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب[3].﴾
- وأجمع العـارفون على أن ﴿الخشـــوع محله القلب، وثمرته على الجوارح، وهي تظهره، ورأى النبي صـــلى الله عليـه وســـلم رجلا يعبث بلحيته في الصـــلاة، فقال: لو خشـــع قلب هذا لخشـــعت جوارحه قال النبي صلى الله عليه وسلم التقوى هاهنا وأشار إلى صدره ثلاث مرات [4].﴾
- وقـال بعـض العـارفين: ﴿حســـن أدب الظـاهـر عـنـوان أدب الباطن.﴾
- ورأى بعضـــهم رجلا خاشـــع المنكبين والبدن، فقال: ﴿يا فلان، الخشوع هاهنا، وأشار إلى صدره، لا هاهنا، وأشار إلى منكبيه[5].﴾
- وَكَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنه مْ وَهُوَ حُذَيْفَةُ، يَقُولُ: إِيَّاكُمْ وَخُشُـــوعَ النِّفَاقِ، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا خُشُـــوعُ النِّفَاقِ؟ قَالَ: أَنْ تَرَى الْجَسَـدَ خَاشِـعًا وَالْقَلْبُ لَيْسَ بِخَاشِـعٍ، وَرَأَى عُمَرُبْنُ الْخَطَّابِ -

[1] مدارج السالكين: (م1/521)
[2] نفس المصدر السابق
[3] نفس المصدر السابق
[4] نفس المصدر السابق
[5] نفس المصدر السابق

رضـي الله عنه - رَجُلًا طَأْطَأَ رَقَبَتَهُ فِي الصَّـلَاةِ، فَقَالَ: يَا صَـاحِبَ الرَّقَبَةِ، ارْفَعْ رَقَبَتَكَ، لَيْسَ الْخُشُـوعُ فِي الرِّقَابِ، إِنَّمَا الْخُشُـوعُ فِي الْقُلُوبِ، وَرَأَتْ عَائِشَـةُ رضي الله عنه ا شَـبَابًا يَمْشُـونَ وَيَتَمَارَوْنَ فِي مِشْـيَتِهِمْ، فَقَـالَتْ لِأَصْـحَابِهَا: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَـالُوا: نُسَّـاكٌ، فَقَالَتْ: كَانَ عُمَرُبْنُ الْخَطَّابِ إِذَا مَشَـى أَسْـرَعَ، وَإِذَا قَالَ أَسْـمَعَ، وَإِذَا ضَرَبَ أَوْجَعَ، وَإِذَا أَطْعَمَ أَشْبَعَ، وَكَانَ هُوَ النَّاسِكَ حَقًّا، وَقَالَ الْفُضَـيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: كَانَ يُكْرَهُ أَنْ يُرِيَ الرَّجُلُ مِنَ الْخُشُـوعِ أَكْثَرَ مِمَّا فِي قَلْبِهِ، وَقَـالَ حُذَيْفَةُ رضـي الله عنه: أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْخُشُوعُ، وَآخِرُمَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الصَّلَاةُ، وَرُبَّ مُصَلٍّ لَا خَيْرَفِيهِ، وَيُوشِـكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْـجِدَ الْجَمَاعَةِ فَلَا تَرَى فِيهِمْ خَاشِعًا، وَقَالَ سَهْلٌ: مَنْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَمْ يَقْرَبْ مِنْهُ الشَّيْطَانُ﴾ . انتهى[1].

ثم استدل الشيخ رحمه الله على أن الرغبة والرهبة والخشوع على أنها من العبادات بقوله الله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾الأنبياء: 90. ووجه الاستدلال أن الله تعالى أثنى على الأنبياء والمرسلين الذين ذكرهم في سياق سورة الأنبياء وذلك بأنهم يدعون الله تعالى راغبين راهبين ويكون مع الدعاء خشوع القلب والأبصاروالسمع وهذا الدعاء يتضمن نوعي الدعاء فأثنى الله عليهم بأنهم أصحاب رغبة ورهبة وخشوع لله تعالى . فدل ذلك على أن هذه الأفعال التي اتصفوا بها

[1] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين (م521/1)

محبوبة لديه تعالى قد رضيها فهي تدخل في تعريف العبادة لذلك وجب اخلاصها لله تعالى فإذا صرف منها شيء لغيره كان الشرك الأكبر.

- وتلك حال المشركين مع آلهتهم وعباد القبوروالأولياء مع معبوديهم من المقبورين، وذلك عند ذهابهم إلى المشاهد والأضرحة والقبور، فيظهرون التذلل والخشوع والبكاء عند أعتابهم ويتمسحون بجدرانها و أبوابها وستائرها التماسا لما يعتقدون فيها من البركة والنفع والخير، وهذه صورة مكرّرة لما كان عليه حال مشركي العرب قديما مع معبوداتهم وآلهتهم من الأصنام والأوثان.
- فالخشوع الشركي: خشوع العبد لغير الله تعالى تقربا إليه ورجاء لما عنده وخوفا منه وقد ورد أن أول ما يرفع من دين الله هو الخشوع حتى أنك تدخل مسجد الجماعة فلا ترى خاشعا.

دليلها ما رُوي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: كنَّا معَ رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فشخصَ ببصرِهِ إلى السَّماءِ ثمَّ قالَ: رضي الله عنه (هذا أوانٌ يُختَلَسُ العِلمُ منَ النَّاسِ حتَّى لا يقدِروا منهُ علَى شيءٍ) فقالَ: زيادُ بنُ لَبيدٍ الأنصاريُّ رضي الله عنه كيفَ يُختَلَسُ العِلمُ منَّا وقد قَرأنا القرآنَ فواللَّهِ لنَقرأنَّهُ ولنُقرِئنَّهُ نساءَنا و أبناءَنا فقالَ صلى الله عليه وسلم: (ثَكِلَتكَ أمُّكَ يا زيادُ إن كُنتُ لأعدُّكَ مِن فُقَهاءِ أهلِ المدينةِ هذهِ التَّوراةُ والإنجيلُ عندَ اليَهودِ والنَّصارَى فَماذا تُغني عَنهم) قالَ جُبَيرٌفلَقيتُ عُبادةَ بنَ الصَّامتِ قلتُ ألا تسمَعُ إلى ما يقولُ أخوكَ أبو الدَّرداءِ فأخبَرتُهُ بالَّذي قالَه أبو الدَّرداءِ رضي الله عنه قالَ صدقَ أبو الدَّرداءِ رضي الله عنه إن شئتَ لأحدِّثنَّكَ بأوَّلِ عِلمٍ

يُرفَعُ منَ النَّاسِ الخشــوعُ يوشِــكُ أن تدخُلَ مسـجدَ جماعةٍ فلا ترَى فيهِ رجلًا خاشعًا.[1]

والخشــوع في الصــلاة علامة فلاح ونجاح، وســبب لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات وتكثير الحسنات.

قــال الله تعــالى: ﴿قَـدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَــلَاتِهِمۡ خَٰشِــعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُــونَ ۝٣﴾ **المؤمنون ١-٣. وفي صــحيح مســلم** رحمه الله: **كُنْتُ عِنْدَ عُثْمانَ فَدَعا بطَهُورٍ فقالَ سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ** صلى الله عليه وسلم: **(رضي الله عنه يقولُ ما مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاةٌ مَكْتُوبَةٌ فيُحْسِنُ وُضُوءَها وخُشُوعَها ورُكُوعَها، إلَّا كانَتْ كَفَّارَةً لِما قَبْلَها مِنَ الذُّنُوبِ ما لَمْ يُؤْتِ كَبِيــرَةً وذلكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ.)[2]**

وقد عاتب القرآن المؤمنين على تأخرهم في الخشــوع فقال الله تعالى ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَــعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝١٦﴾ **الحديد** ١٦

قال ابن مسـعود رضـي الله عنه كما عند مسـلم رحمه الله[3] ما كانَ بيْنَ إسْــلَامِنَا وبيْنَ أنْ عَاتَبَنَا اللَّهُ بهذِهِ الآيَةِ ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ

---

[1] **الراوي:** أبو الدرداء | **المحدث:** الألباني | **المصـدر:** صحيح الترمذي **الصـفحة أو الرقم:** | 2653 **خلاصـة حكم المحدث:** صحيح

[2] **الراوي: عثمان بن عفان** | رضي الله عنه **المحدث: مسـلم** | **المصـدر: صحيح مسـلم الصـفحة أو الرقم:** 228

[3] **رقم الحديث 3027**

لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ **إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ. أي: ألم يحن الوقت الذي تلين فيه قلوبهم وتخشع لذكر الله تعالى ، الذي هو القرآن العظيم، وتنقاد لأوامره وزواجره، وما نزل من الحق الذي جاء به محمد** صلى الله عليه وسلم؟ **وهذا فيه الحث على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى ، ولما أنزله من الكتاب والحكمة**[1]

قال المصنف رحمه الله تعالى: وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي...﴾ الآية -البقرة: 150-

الخشيـــة:

- **لغة: الخوف لكن أخص منه وتفارقه بأنها خوف مشوب بتعظيم و أكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه.**
- فالخشية: **هي الخوف الخاص المبني على علم بعظمة من يخشاه، وكمال سلطانه لذا خص الله بها العلماء وحصرها فيهم. كما قال تعالى:** ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ﴿٢٨﴾﴾ **فاطر٢٨. والمعنى أن أكثر الناس خشية لله تعالى مخبرا ومظهرا باطنا وظاهرا. قالا وحالا هم العلماء الربانيون. لأنهم أعرف الخلق بربهم و أكثرهم تعظيما وإجلالا له. حيث يقدرونه حق قدره في كل زمان وفي كل أوان. وعلى كل حال.**
- والخشية لله تعالى شرعا: **فرار القلب إلى الله تعالى ذعرا وفزعا مع العلم به وبأمره. فعلى قدر العلم بالله تعالى ومعرفته تكون الخشية**

[1] تفسير السعدي رحمه الله (1376هـ)

منه وتعظيمه ومحبته وعبوديته وتوقيـــره وإجلاله. ومن ثم كان مناسبا أن يكون أخشى الخلق لله تعالى الأنبياء والرسل وأخشاهم له نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

كما في حديث أنس عند الشـــيخين[1]: (جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النَّبِيِّ صـلَّى اللهُ عليه وسـلَّم، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقالوا: و أَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؟! قدْ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قالَ أحَدُهُمْ: أمَّا أنَا فإنِّي أُصَـلِّي اللَّيْلَ أبَدًا، وقالَ آخَرُ: أنَا أصُـومُ الدَّهْرَ ولَا أُفْطِرُ، وقالَ آخَرُ: أنَا أعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أتَزَوَّجُ أبَدًا، فَجَاءَ رَسولُ اللَّهِ صـلَّى اللهُ عليه وسـلَّم إليهِم، فَقالَ: أنْتُمُ الَّذِينَ قُلتُمْ كَذَا وكَذَا؟! أَمَا واللَّهِ إنِّي لَأَخْشَـاكُمْ لِلَّهِ و أَتْقَاكُمْ له، لَكِنِّي أصُـومُ و أُفْطِرُ، وأُصَلِّي وأَرْقُدُ، و أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي).

واســتدل الشــيخ رحمه الله على أن الخشــية عبادة بقوله تعالى: ﴿فَلاَ تَخْشَــوْهُمْ وَاخْشَــوْنِي...﴾. ووجه الاســتدلال من الآية أن الله تعالى نهى المؤمنين أن يخشوا غيره وأمرهم بخشيته تعالى . والمأمور به محبوب لديه مرضـي عنه. فهو يدخل في تعريف العبادة ولذلك يجب أن تكون الخشية منه وحده لا من غيــره وإذا صرفت لغيــره كان الشرك الأكبر.

[1] البخاري رحمه الله برقم 5063

- والخشية متضمنة للرجاء: ولولا ذلك لكانت قنوطا.
- كما أن الرجاء مستلزم للخوف والخشية: ولولا ذلك لكان أمنا.

قال ابن تـيمية رحمه الله: ﴿وَذَلِكَ لِأَنَّ الَّذِي يَخْشَى اللَّهَ لَا بُدَّ أَنْ يَرْجُوَهُ وَيَطْمَعَ فِي رَحْمَتِهِ فَيُنِيبَ إلَيْهِ وَيُحِبَّهُ وَيُحِبَّ عِبَادَتَهُ وَطَاعَتَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي يُنَجِّيهِ مِمَّا يَخْشَاهُ وَيَحْصُلُ بِهِ مَا يُحِبُّهُ﴾.[1]

- وإذا اقترن الخوف بالعمل فهو رهبة. خوف +عمل =رهبة
- وإذا اقترن الخوف بالعلم فهو خشية. خوف+ علم=خشية
- وإذا اقترن الخوف بالخضوع والذل فهو خشوع. خوف +ذل وخضوع=خشوع
- وهي مراتب: أعلاها الخشية ثم الرهبة ثم الخوف.

- أما الخشية الشركية: هي خشية غير الله تعالى مع التعظيم والعبادة والطاعة. أو هي خشية غير الله تعالى وقال تعالى في هذا الصنف: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ النساء ٧٧ فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى .
- وثمرات الخشية من الله تعالى كثيرة: هي أن الذي يخشى الله تعالى وحده يرزق النعم الكثيرة والتذكر والاعتبار والهداية والمغفرة والأجر الجزيل.

[1] مجموع الفتاوى 176/19

- **قال الله تعالى:** ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴿١٠﴾﴾] **الأعلى 10** [.
- **وقال الله تعالى:** ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴿٢٦﴾ ﴾] **النازعات 26**[.
- **وقال الله تعالى:** ﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ﴿٩﴾ ﴾] **عبس 8-9**[.
- **وقال الله تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴿١٢﴾ ﴾]**الملك 12** [.

قال الشيخ رحمه الله: وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ...﴾ الآية [الزمر: 54].

والإنابـــــة:

في اللغة من أَنَابَ يُنِيبُ إِنَابَةً فهو مُنِيبٌ. أي: رجع و أقبل وتاب.

- **قال الله تعالى على لسان نبيه شعيب عليه السلام:** ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴿٨٨﴾ هود ٨٨ **قال ابن جرير الطبري رحمه الله ت(310هـ) وقوله: ﴿وإليه أنيب﴾، وإليه أقبل بالطاعة، وأرجع بالتوبة مرة بعد مرة.**
- **وقال الله تعالى:** ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴿١٨﴾﴾ **الزمر١٧-١٨. قال ابن جرير الطبري رحمه الله ت(310هـ) وقوله:** ﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى

ٱللَّهِ﴾: وتابوا إلى الله ورجعوا إلى الإقرار بتوحيده، والعمل بطاعته، والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد والشركاء.

- أصـــل الإنابة الرجوع إلى مكان اعتاد الرجوع إليه. والنَوبُ رجوع الشيء مرة بعد مرة.
- الإنابة إلى الله تعالى شرعا: رجوع القلب عما سوى الله تعالى إلى الله تعالى . محبة وخوفا ورجاء فهي رجوع مع العمل الذي يتضـــمن الذل والتعظيم. ومن جميل الترتـــيب ذكر الإنابة بعد الخشية. لأن الذي يخشـــى الله تعالى لا بد أن يخاف عقابه. فينيب إليه والإنابة بمعنى التوبة ولكنها آكد منها.
- لأنها: توبة مع إقبال على الله تعالى والتوبة إقلاع وندم وعزم على عـدم العودة والإنـابـة تتضـــمن هـذه الثلاثـة وتزيـد عليهـا معنى: <u>الإقبال على الله بالعبادات والطاعات</u>. فإذا حصـل له الإقبال بعد التوبة فهو منيب إلى الله لذلك اقتصر المصنف على ذكر الإنابة ولم يذكر التوبة. ولأنها أعم منها.

📚 واســـتدل المصـــنف رحمه الله على كونها عبادة بقوله: وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ...﴾الآية [الزمر: 54].

📚 ووجه الاستدلال من الآية:

- أنّ الله تعالى أمر بالإنابة إليه. والله تعالى لا يأمر إلا بما يحبه ويـــرضـــاه ومن هنا فإن الإنابة تدخل في تعريف العبادة ومن ثم وجب صرفها لله تعالى خالصة فإذا صرفت لغيـــره كان صاحبها مشركا كافرا.

- والمؤمن لكي يكون منيبا إلى الله تعالى لا بد أن تجتمع فيه أربعة أمور:
  - أولا: محبته لربه جل وعلا: ومعنى هذا أن يحب الله تعالى بكل قلبه، محبة لا يعادلها شيء، يكون الله تعالى أحب إليه من كل ما سواه، محبة صادقة تقتضي العمل بطاعته وترك معصيته، وحب أوليائه ورسله، وكراهة أعدائه وبغضهم في الله تعالى .[1]
  - ثانيا: خضوعه له.
  - ثالثا: إقباله عليه بالطاعة.
  - رابعا: الإعراض عما سواه.
- الإنابة الشركية: الإنابة إلى غير الله تعالى فيما هو من أمور الشرع والدين كما يفعله كثير من مريدي[2] الشيوخ الذين إذا ارتكبوا ذنوبا جاؤوا إلى شيوخهم واعتذروا واعترفوا عندهم وذلوا وتابوا إليهم فإذا قبل الشيخ توبتهم و إنابتهم رفعها إلى الله فتاب عليهم بزعمهم. وكذبوا في زعمهم فهذه شبهة اعتقاد النصارى في نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام وما يسمى عندهم بـ: صكوك الغفران وهو كذب و افتراء على الله تعالى على دينه. فهم يبيعون أوهاما زائفة لاتباعهم ويخدعونهم ويلبسون عليهم بما يعرضون عليهم من الشبهات الباطلة في عيسى وأمه عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ بعد أن حرّفوا دين

---

[1] من فتوى للشيخ بن بازرحمه الله في حده لمعنى المحبة.

[2] مُريد وجمعها المُريدُون هو المتعلِّم على شيخ طريقة وفق منهاج، والمُريد رتبة من رتب الصّوفيَّة وللمريد درجات وعليه أن يقرأ أورادا في اليوم والليلة يكلفها بها شيخه ليسير على طريقته في التصوف وذلك ضمن تربيته للمريد..

النصرانية الحقة الذي بينه الله تعالى في كتابه الإنجيل الصحيح الثابت قبل أن تمد إليه يد التحريف من قبل رهبانهم وعلمائهم.

- وحقيقة الإنابة: كما ذكرها ابن القيم رحمه الله: ﴿فَائِدَة الْإِنَابَة هِيَ عكوف الْقلب على الله عزوَجل كاعتكاف الْبدن فِي الْمَسْجِد، لَا يُفَارِقهُ وَحَقِيقَة ذَلِك عكوف الْقلب على محبّته وَذكره بالإجلال والتعظيم وعكوف الْجَوَارِح على طَاعَته بالإخلاص لَهُ والمتابعة لرَسُوله وَمن لم يعكف قلبه على الله وَحده عكف على التماثيل المتنوعة[1].﴾

- والإنابة نوعان:

- أولا: إنابة إلى ربوبيته تعالى: وهذه يشترك فيها كل الناس. وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ الروم ٣٣-٣٥

- ثانيا: إنابة لألوهيته تعالى: هذه خاصة بأوليائه المتقين وعباده الموحدين. قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾ سبأ ٩ وجاء في دعاء انَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يَدْعُو مِنَ اللَّيْلِ: اللَّهُمّ لك الحَمْدُ، أنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ، لكَ الحَمْدُ أنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ومَن فِيهِنَّ، لكَ الحَمْدُ أنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ، قَوْلُكَ الحَقُّ، ووَعْدُكَ الحَقُّ،

[1] في كتاب الفوائد ص 196

ولِقَـاؤُكَ حَقٌّ، والجَنَّـةُ حَقٌّ، والنَّـارُ حَقٌّ، والسَّـــاعَـةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لـكَ أسْـــلَمْتُ، وبِكَ آمَنْتُ، وعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وإلَيْكَ أنَبْتُ، وبِكَ خَاصَـمْتُ، وإلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْلي ما قَدَّمْتُ وما أخَّرْتُ، وأَسْـرَرْتُ وأَعْلَنْتُ، أنْتَ إلَهِي لا إلَهَ لي غَيْرُكَ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ بنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بهذا، وقالَ: أنْتَ الحَقُّ وقَوْلُكَ الحَقُّ[1]. وفي حديث ابن عباس عند الترمذي و ابن ماجة وصححه الشيخ الألباني برقم 648 قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: في دعائِهِ ربِّ أعنِّي ولا تُعِنْ عليَّ، و انصُرني ولا تنصُرْعليَّ، وامكُرلي ولا تَمكُرعليَّ، واهدِني ويسِّرِ الهدى لي، و انصُرني على من بغَى عليَّ، ربِّ اجعَلني لَكَ شَـــكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مُطيعًا، إليكَ مُخبتًا، إليكَ أوَّاهًا مُنيبًا، ربِّ تقبَّل تَوبَتـــي، واغسِل حَوبَتـــي، وأجِب دعوَتي، واهدِ قلبي، وسدِّد لساني، وثبِّت حجَّتي واسلُلْ سَخيمةَ قلبي.[2]

قال المصنف رحمه الله: وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْـتَعِينُ۝٥﴾ [الفاتحة: 5]. وَفِي الْحَدِيثِ: (... وإِذَا اسْـتَعَنْتَ فَاسْـتَعِنْ بِاللهِ). وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ۝١﴾ [الفلق: 1]. و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ۝١﴾ [الناس: 1]. وَدَلِيلُ الاسْـتِغَاثَةِ: قَوْلُـهُ تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ...﴾ الآية[الأنفال: 9].

الاستعانة:

---

[1] **الراوي:** عبدالله بن عباس | ﷺ **المحدث:** البخاري رضي الله عنه | **المصدر:** صحيح البخاري **الصفحة أو الرقم:** | 7385

[2] **الراوي:** عبد الله بن عباس رضـي الله عنه | **المحدث:** الألباني **رحمه الله. المصـدر:** صـحيح ابن ماجه **الصفحة أو الرقم:** | 3103 **خلاصة حكم المحدث:** صحيح

لغة: طلب العون باعتبار دخول الألف والسـين والتاء على الفعل لإفادته الطلب بمعنى طلب الفعل.

شـرعا: طلب العون من الله تعالى في الوصـول إلى المقصـود الذي يرضيه.

وقيل طلب الإعانة من الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضـار وقد يكون الطلب في أمور الدين وفي أمور الدنيا.

وحقيقة الاستعانة: هي المتضمنة لأمور ثلاثة وهي:

1. لكمال الذل من العبد لربه تعالى .
2. وتفويض الأمر إليه سبحانه وحده.
3. واعتقاد كفايته تعالى .

وهذه لا تكون إلا لله تعالى ودليلها قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ و إِيَّاكَ نَسْـتَعِينُ) [الفاتحة: 5].

ووجه الدلالة من الآية كون الاسـتعانة عبادة: أن العبد يدعو الله تعالى أن يعينه على عبادته حق العبادة والإخلاص له فيها، والدعاء عبادة كما مر بنا، وقدم المعمول هنا ليدل على الاختصاص والحصر أي أن طلب العون على العبادة لا يطلب إلا من الله تعالى فإذا طلب الاستعانة من غيره فقد أشرك. وذلك في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى وكذلك في الحديث: احفظِ اللهَ يَحفظْك، احفظِ اللهَ تجِدْه تُجاهَك، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنتَ فاستعِنْ باللهِ[1] .وحصر الاسـتعانة بالله تعالى وحده دون خلقه يدل على أنها عبادة، لأن الأمر

[1] الراوي: عبدالله بن عباس | المحدث: ابن باز| المصـدر: مجموع فتاوى ابن باز الصـفحة أو الرقم: | 160/1 ورواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وصححه الشيخ الألباني

بها طاعة لله تعالى يحبها ويـــرضاها والاستعانة بالله تعالى التـــي هي عبادة: يجب إخلاصـها لله تعالى وصـرفها لغيـــره شـرك أكبـــروهي تتضمن ثلاثة أمور:

1. كمال الخضوع والتذلل له سبحانه.
2. الثقة بالله تعالى واعتقاد كفايته.
3. الاعتماد على الله تعالى وحده وتفويض الأمر إليه مع الأخذ بالأسباب المأذون فيها شرعا دون الالتفات إليها.

❖ وهذه الثلاثة لا تكون إلى لله تعالى فمن اســتعان بغيـــرالله محققا هذه الثلاثة فقد أشـرك مع الله تعالى غيـــره. فالاسـتعانة بالأموات والأحياء الغائبين والأحياء الحاضـــرين على أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى . ويخرج من ذلك الاســتعانة بالمخلوق الحي الحاضـــر القادر لا بأس بذلك. ويـــرجع ذلك إلى نوع المستعان فيه فإن كان خيـــرا فهو جائز مشروع وإن كان شرا فهو محرم ممنوع.

❖ وقد تكون الاسـتعانة بالأعمال الصـالحة والأحوال المرضـية إلى الله تعـالى وهي مشـــروعـة: كمـا في قول الله تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ البقرة ١٥٣ .

قال المصـــنف رحمه الله: وَدَلِيلُ الاسْـــتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ [الفلق: 1]. ﴿وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾﴾ [الناس: 1].

الاستعاذة:

لغة: طلب العوذ ومعناه الالتجاء والاعتصـــام والتحرز وحقيقتها الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه ويقابله اللوذ واللياذ.

اصـــطلاحا: **الالتجاء إلى الله تعالى والاعتصـــام به واعتقاد كفايته وحمايته من كل شـر. فالعائذ بالله قد هرب إليه واعتصـم به ولجأ إليه والتزم بجنابه فيما يخافه طلبا للمنع والعصـمة والحماية وكل شـيء تخافه تهرب منه إلى غيـــره إلا الله تعالى فإنك تفر منه إليه تعالى ، كما قال الله تعالى:** ﴿تَذَكَّرُونَ ۝٤٩ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥١﴾ الذاريات ٥٠-٥١

والاستعاذة: **من أجل العبادات القلبية التي يقوم معناها في القلب. وتظهر ثمرتها على الجوارح ودليل كونها عبادة ما ســاقه الشـيخ** رحمه الله **من أدلة في سـورتـــي الفلق والناس. فقد طلب الله تعالى من نبيه** صـلى الله عليه وسـلم **أن يسـتعيذ به من كل ما فيه شـر وضرر. وما أمر الله تعالى بذلك إلا لأنه يحبّه ويرضاه وهو طاعة له. فيدخل في تعريف العبادة هذا من وجه، ومن وجه آخر أنّ الاسـتعاذة تتضـمّن معنى الدعاء والطلب وقد مر بنا قديما أن الدعاء من أجل العبادات فثبت أن الاسـتعاذة عبادة يجب إخلاصها لله تعالى فإذا صرفها العبد لغيـــر الله تعالى كانت شركا أكبرا.**

قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٣٦﴾ فصلت ٣

قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ۝٩٨﴾ **المؤمنون ٩٧-٩٨**

والاستعاذة أنواع:

- **أولا الاستعاذة بالله تعالى: وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه والاعتصام به واعتقاد كفايته وتمام حمايته من كل شر حاضر وآت في المستقبل، وهذه العبادة حق لله تعالى يجب إفراده بها فإذا صرفت لغيره كانت شركا به سبحانه وتعالى أكبر.**
- **ثانيا الاستعاذة بصفة من صفاته: مثل كلامه وعزته وعظمته ونحو ذلك:**

كما في حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنه ا عند مسلم رحمه الله [1] إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلًا، فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِن شَرِّ ما خَلَقَ، فإنَّه لا يَضُرُّهُ شيءٌ حتَّى يَرْتَحِلَ منه.

وكما وفي حديث عائشة رضي الله عنه اعند مسلم رحمه الله [2]: فقَدْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ لَيْلَةً مِنَ الفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي علَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وهو في المَسْجِدِ وهُما مَنْصُوبَتَانِ وهو يقولُ: اللَّهُمَّ أعُوذُ بِرِضَاكَ مِن سَخَطِكَ، وبِمُعَافَاتِكَ مِن عُقُوبَتِكَ، وأَعُوذُ بكَ مِنْكَ لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أنْتَ كما أثْنَيْتَ علَى نَفْسِكَ.

في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الذي أخرجه الإمام الترمذي [3] رحمه الله: قالَ لي يا محمَّدُ إذا اشتَكَيتَ فضع يدَكَ حيثُ تشتَكي، ثمَّ قُل: بسمِ اللَّهِ، أعوذُ بعزَّةِ اللَّهِ وقدرتِهِ مِن شرِّ ما

---

[1] برقم 2708

[2] برقم :486

[3] صححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي برقم: 3588

أجدُ من وجَعي هذا، ثمَّ ارفع يدَكَ ثمَّ أعِدْ ذلِكَ وِترًا فإنَّ أنسَ بنَ مالِكٍ، حدَّثَني أنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ حدَّثَهُ بذلِك.

- وفي حديث ابن عمر رضي الله عنه عند أبي داود رحمه الله [1]: اللَّهمَّ إنِّي أسألُك العافيةَ في الدُّنيا والآخرةِ اللَّهمَّ أسألُك العفوَ والعافيةَ في ديني ودنيايَ وأَهلي ومالي اللَّهمَّ استر عورتي وقالَ عثمانُ عوراتي وآمِن رَوعاتي اللَّهمَّ احفظني من بينِ يديَّ ومن خَلفي وعن يَميني وعَن شِمالي ومن فَوقي وأعوذُ بعظَمتِك أن اغتالَ من تحتي.

- ثالثا الاستعاذة بـ: الأموات أو الأحياء غير الحاضرين غير القادرين على العوذ فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى: شرك بالله تعالى حيث تضمن كمال الافتقار وتمام الكفاية والحماية بهؤلاء الأموات أو الغائبين أو العاجزين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا فكيف يملكون ذلك لغيرهم.

- قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ الجن٦

- رابعا الاستعاذة بما يمكن العوذ به من المخلوقين من البشر أو الأماكن أو نحو ذلك: فهذا جائز كما في حديث الفتن:

- سَتَكُونُ فِتَنٌ القاعِدُ فيها خَيْرٌ مِنَ القائِمِ، والقائِمُ فيها خَيْرٌ مِنَ الماشِي، والماشِي فيها خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، ومَن يُشْرِفْ لها تَسْتَشْرِفْهُ، ومَن وجَدَ مَلْجَأً أوْ مَعاذًا فَلْيَعُذْ بهِ[2].

---

1 صححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في الكلم الطيب برقم 27 . واخرجه أبو داوود

2 الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | رحمه الله تعالى المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: 3601

إنَّها سَتَكُونُ فِتَنٌ، ألَا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ: القاعِدُ فيها خَيْرٌ مِنَ الماشِي فيها، والْماشِي فيها خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إلَيْها. ألَا فإذا نَزَلَتْ -أوْ وقَعَتْ- فمَن كانَ له إبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بإبِلِهِ، ومَن كانَتْ له غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بغَنَمِهِ، ومَن كانَتْ له أرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بأَرْضِهِ. قالَ: فقالَ رَجُلٌ: يا رَسولَ اللهِ، أرَأَيْتَ مَن لَمْ يَكُنْ له إبِلٌ ولا غَنَمٌ ولا أرْضٌ؟ قالَ: يَعْمِدُ إلى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ علَى حَدِّهِ بحَجَرٍ، ثُمَّ لِيَنْجُ إنِ اسْتَطاعَ النَّجاءَ، اللَّهُمَّ هلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ هلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ هلْ بَلَّغْتُ؟ قالَ: فقالَ رَجُلٌ: يا رَسولَ اللهِ، أرَأَيْتَ إنْ أُكْرِهْتُ حتَّى يُنْطَلَقَ بي إلى أحَدِ الصَّفَّيْنِ -أوْ إحْدَى الفِئَتَيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بسَيْفِهِ، أوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قالَ: يَبُوءُ بإثْمِهِ و إثْمِكَ، ويَكونُ مِن أصْحابِ النَّارِ[1]

أنَّ امْرَأَةً مِن بَنِي مَخْزُومٍ سَرَقَتْ، فَأُتِيَ بهَا النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَعَاذَتْ بأُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: وَاللَّهِ لو كَانَتْ فَاطِمَةُ لَقَطَعْتُ يَدَهَا، فَقُطِعَتْ[2]

ولكن بعض العلماء قالوا: لا تصح الاستعاذة بالمخلوق لأن الاستعاذة توجه القلب واعتصامه والتجاؤه رغبة ورهبة وهذه المعاني لا تصح إلا لله عزّوجل وحده ولكن يظهر أنه يراعي في ذلك التفصيل فإنه يمكن أن يعاذ بالمخلوق فيما يقدر عليه دون أن يقوم في القلب تعظيم وتذلل ونحوها.

---

1 الراوي: أبو بكرة نفيع بن الحارث | المحدث: مسلم رحمه الله تعالى | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: 2887

2 الراوي: جابر بن عبدالله | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: 1689

- **والخلاصة: أن الإنسان معرض لشتى المصائب والأخطار والأضرار ومعلوم أن له أعداء كثراً. وفي مقدمتهم الشيطان وأعوانه، ومن ثمة فإنه يحتاج إلى أن يحمي نفسه منهم. ولا يتحقق له ذلك إلا بالالتجاء التام إلى الله عزّوجل وطلب الحماية منه، والاستعاذة به من كل هذه الشرور المختلفة، ولذا أمر الله عزّوجل نبيه** صلى الله عليه وسلم **أن يتعوذ بسورتي الفلق والناس. وأوصى النبي** صلى الله عليه وسلم **أمته ان تستعيذ بهما من كل شر كما جاء عن الإمام النسائي وغيره**

- **عن عقبة ابن عامر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله** صلى الله عليه وسلم: **أَلَا أُخْبِرُكَ بأفضلِ ما تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذونَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ[1] وفي رواية عند أبي داوود قال: تعوَّذْ بهما، فما تعوَّذَ مُتعوِّذٌ بمثلِه[2].**

وهنا يرد سؤال على الذهن: هل يقال أعوذ بك من شرك؟ أو أعوذ بك من شر فلان؟ وهل يجوز أن يقال أعوذ بالله ثم بك؟

الجواب: الظاهر عدم الجواز باعتبار أن الاستعاذة عبادة قلبية محضة. ما يقوم بها في القلب لا بد أن يكون خالصا لله تعالى وحده. أما عبارة أعوذ بالله ثم بك: أجازها بعض العلماء باعتبار النظر إلى المعنى الظاهر وهو إمكان المخلوق إغاثة من طلب منه ذلك أن يمنعه من شر أو من ظلم وإن كان يقدر على ذلك أي حمايته من ذلك الشر أن يقع عليه واستدل هؤلاء بما ورد في حديث الثلاثة من بني إسرائيل الأقرع والأبرص والأعمى، وفيه يقول الملك:

---

[1] صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم :2593

[2] أبو داود برقم: 1463 وصححه الشيخ الألباني

فلا بَلاغَ لي اليومَ إلَّا باللَّهِ ثُمَّ بكَ ،ونحوه وقد أخرج عبد الرّزاق في مصنفه برقم: (27/11) و ابن أبي الدّنيا في الصمت ص (194) .أن إبراهيم النخعي رحمه الله كان يكره أن يقول: (أعوذ بالله بك حتى يقول أعوذ بالله ثم بك) وقد بوب البخاري في صحيحه كتاب الإيمان والنذوروقال: باب من يقول شاء الله وشئت. وهل يقول: بالله ثم بك.

قال المصنف رحمه الله: وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ... ﴾الآية[الأنفال: 9].

الاستغاثة[1]: طلب الغوث لإزالة شدة أوكرب نزل.

قال ابن القيم رحمه الله: ﴿الاستغاثة لا تكون إلا بعد الذعر فالذعر شرط فيها﴾ [2]. والاستغاثة نوع من الدعاء. ويكون عند حلول الكرب. والدعاء أعم منها. فكل استغاثة دعاء. وليس العكس وعلاقة الاستعاذة بالاستغاثة:

- الأولى: تكون قبل حلول الشر.
- والثانية: تكون بعد نزوله لدفعه.
- والفرق بين الدعاء والاستغاثة أنّ هذه الأخيرة لا تكون إلا من المكروه. وأما الدعاء فيكون من المكروه ومن غيره. ولذلك تعد الاستغاثة دعاء خاصًا.

وكون الاستغاثة من أفراد العبادة من جهتين.

---

[1] قال أبو السعدات في النهاية في حديث الأثر(392/3) الغَوث بالفتح كالغِياث بالكسرة، من الإغاثة، وقد أغاثه يغيثه وقد روي بالضم والكسروهما أكثر ما يجئ في الأصوات كالنباح والنداء والفتح فيها شاذ.

[2] بدائع الفوائد (61/1)

- أولا: أنّ الاستغاثة تتضمن معنى الدعاء وهو من أجل العبادات.
- ثانيا: وجه الاستدلال من الآية أن الله ذكرها في معرض الثناء على أولئك الصحابة الذين خرجوا لملاقاة المشركين ولا يمدح الله تعالى إلا على أمر محبوب لديه مرضي عنده وبذلك يدخل في تعريف العبادة

📚 والاستغاثة أنواع:

- أولا الاستغاثة بالله تعالى: وهي عبادة مطلوبة محبوبة لله تعالى تتضمن كمال الافتقار إلى الله تعالى واعتقاد كفايته، وهي من بين أفضل أعمال العبد وأكملها والعبد معرض في دنياه إلى المصائب والشدائد فمن استغاث ربه تعالى في كشف ذلك عنه فقد أدى عبادة قيمة يحبها الله تعالى ويرضاها، وهي دأب الرسل عليهم السّلام و أتباعهم. فيجب أن تكون خالصة لله تعالى وحده. فإذا صرفت إلى غيره كانت شركا أكبرا.
- ثانيا الاستغاثة الشركية: التي تكون بالأموات أصحاب القبور أو الأحياء الغائبين العاجزين عن كشف ما لا يقدر على كشفه إلا الله تعالى ، فهذا شرك بالله تعالى ولا يفعل ذلك إلا من كان يعتقد في المستغاث به أن له تصرفا في الكون مع الله تعالى وهذا يعتبر شركا في الربوبية، قال ابن القيم [1] رحمه الله (ومن أنواعه (الشرك الأكبر) طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم،

[1] مدارج السالكين (341/1)

والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، فضلًا عمَّن استغاث به، وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلى الله تعالى فيها، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده). واستغاثة هؤلاء المشركين بمعبوداتهم الباطلة شبيها أهل العلم باستغاثة الغريق بالغريق.

← **ثالثا الاستغاثة بالمخلوق الحي الحاضر القادر: الذي يسمع فيما يقدر عليه ودليل ذلك**

قوله الله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ **القصص ١٥**

ويجب أن يعتقد أن ذلك من الأسباب المأذون فيها شرعا ولا تأثير لها بذاتها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ﴿لا يجوز ذلك من ميت، ولا غائب، ولا من حي الحاضر، إلا فيما يقدر عليه[1].﴾

قال المصنف رحمه الله: وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ

[1] مدارج السالكين (341/1)

وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: 163.161]. وَمِنَ السُنَّةِ: (لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ).

الذبح:

- **لغة: هو الشق. قاله ابن منظور[1] في لسان العرب**
- **شرعا: إزهاق الرّوح بإراقة الدم على وجه مخصوص بنية التقرب إلى الله تعالى . والمراد بالذبح ذبح القربان والهدايا والأضاحي في مناسبات مخصوصة. ويقع على وجوه منها:**
- **أولا: يقع عبادة بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى وصرفه لغيره شرك أكبر ودليله ما أورده الشيخ رحمه الله في قوله تعالى** :﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴿١٦١﴾ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: 161ـــ163].. **ومعناه قل يا محمد** صلى الله عليه وسلم **لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله تعالى وذبحوا لغيره أن تعبدي بصلاتي أي صلاة الفريضة والنافلة. ونسكي وذبحي للنسك كما ذكر ذلك: الإمام الثوري 141هـ** رحمه الله **ومجاهد 104هـ** رحمه الله **والضحاك 159هـ** رحمه الله **والطبري 310هـ** رحمه الله **و ابن الجوزي**

[1] هو أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري الرويفعي الافريقي ولد سنة630 هجرية وتوفي سنة 711 هجرية

597 هـ رحمه الله و ابن تـــيمية 768هـ رحمه الله والســعدي 1376 هـ رحمه الله وغيرهم أن:

هـذا اللفظ جـاء في القرآن العظيم في قولـه الله تعـالى فَفِـدْيَـةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ.

وجاء في حديث البـــراء بن عـازب في الصـحيح: مَن صَـلَّى صَلَاتَنَا، ونَسَكَ نُسُكَنَا، فقَدْ أصَابَ النُّسُكَ، ومَن نَسَكَ قَبْلَ الصَّلَاةِ، فإنَّه قَبْلَ الصَّلَاةِ ولَا نُسُكَ له، فَقالَ أبو بُرْدَةَ بنُ نِيَارٍ خَالُ البَرَاءِ: يا رَسـولَ اللَّهِ، فإنِّي نَسَكْتُ شَـاتـــي قَبْلَ الصَّلَاةِ، وعَرَفْتُ أنَّ اليومَ يَوْمُ أكْلٍ وشُـرْبٍ، وأَحْبَبْتُ أنْ تَكُونَ شَـاتـــي أوَّلَ ما يُذْبَحُ في بَيْتِي، فَذَبَحْتُ شَـــاتـــي وتَغَدَّيْتُ قَبْلَ أنْ آتِيَ الصَّلَاةَ، قالَ: شَاتُكَ شَاةُ لَحْمٍ. قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، فإنَّ عِنْدَنَا عَنَاقًا لَنَا جَذَعَةً هي أحَبُّ إلَيَّ مِن شَـاتَيْنِ، أفَتَجْزِي عَنِّي؟ قالَ: نَعَمْ، ولَنْ تَجْزِيَ عن أحَدٍ بَعْدَكَ[1].

وأما اللام[2] في قوله لله بالنسـبة لصـلاتـــي ونسـكي تفيد الاسـتحقاق. فلا يســتحق أن تصــرف هذه العبادة إلا لله تعالى وحده. ﴿ومحياي﴾، يقول: وحياتي = ﴿ومماتي﴾ يقول: ووفاتي = ﴿لله رب العالمين﴾، يعني: أن ذلك كله له خالصًـــا دون ما أشـــركتم به، أيها المشـــركون، من الأوثان = ﴿لا شريك له﴾ في شيء من ذلك من خلقه، ولا لشيء منهم فيه نصيب، لأنه لا ينبغي أن يكون ذلك إلا لـه خـالصًـــا = ﴿وبذلك أمرت﴾، يقول: وبذلك أمرني ربي = ﴿و أنا أول المسلمين﴾، يقول: و أنا أوّل من أقرَّوأذْعن وخضع

[1] **الراوي:** البراء بن عازب | **المحدث:** البخاري | **المصدر:** صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: 955

[2] اللام في اللغة العربية لها معاني من بينها التمليك والاستحقاق والتعليل

من هذه الأمّة لربه بأن ذلك كذلك[1]. فجمعت الآية الكريمة في مضـمونها تحقيق نوعي التوحيد. توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية. المتضمن أيضا لتوحيد الأسماء والصفات.

- ومن هنا ثبت أن الذبح يجب أن يكون خالصا لله تعالى لأنه عبادة يشترك فيها القلب واللسان والجوارح.
  - فالقلب تقدم به تعظيم الله تعالى ، والتذلل له والتقرب إليه بفعل هذه الطاعة.
  - وأما اللسان فتذكر اسم الله تعالى على المذبوح.
  - واليد تمرر آلة الذبح.
- لتتم هذه العبادة بأركانها وتجد محلا للقبول عند الله تبارك وتعالى. فإذا صرف لغيـره كان صاحبه مشركا شركا أكبـر. وفي الحديث (لَعنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لغيـرِ اللهِ)[2]، واللعن: هو الطرد من رحمة الله تعالى وجاء في الحديث إما إخبارا[3] أو دعاء[4].
- قال شـيخ الإسـلام ابن تـيمية رحمه الله: ﴿الذبح للمعبود غاية الذل والخضوع له، ولهذا لم يجز الذبح لغيـر الله، ولا أن يسمى غيـر الله على الذبائح﴾[5].

---

1 تفسير الطبري — ابن جرير الطبري (٣١٠ هـ)

2 -رواه مسلم- من حديث علي بن ابي طالب

3 بمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم يخبر عنه

4 أو دعاء منه صلى الله عليه وسلم ودعائه مستجاب، فبكلا التفسيـرين ظهر خطر الذبح لغيـر الله وعظم جرمه وعاقبته الوخيمة وهي الخروج من رحمة الله التي وسعت كل شيء.

5 مجموع الفتاوى (485/484/17).

وقد جعله المصنف رحمه الله من نو اقض الإسلام وجعله فردا من أفراد الشرك الأكبر بالله تعالى فقال في رسالته نو اقض الإسلام في الناقض الأول (الشرك في عبادة الله تعالى والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴿٤٨﴾﴾ النساء ٤٨. ومنه الذبح لغير الله تعالى كمن ذبح للجن أو القبر)

والذبح لغير الله تعالى فيما يتعلق بالقربة والعبادة له صور متعددة منها

- أولا ومن ذبح لغير الله عزّوجل مع الله عزّوجل لها صور وهي:
  - قد يذبح بسم الله عزّوجل ولكنه قصده غير الله عزّوجل هذا شرك في العبادة.
  - قد يذبح بغير اسم الله عزّوجل ويجعل ذلك لله عزّوجل شرك في الاستعانة.
  - وأما يذبح بسم الله عزّوجل ولا يقصد القربة كإكرام الضيف فهذا مباح جائز.
- ثانيا: الذبح لغير الله عزّوجل بنية التقرب إلى المذبوح له ودعائه وهذا شرك أكبر كالذبح للصنم أو الصليب أو الجن أو صاحب القبر ونحو ذلك مما يحدث في المناسبات البدعية مثل الزردة والوعدة والنذر لصاحب القبر ولا يخفى ما يجري في هذه الاجتماعات من منكرات ومعاصٍ وبدع ترضي الشيطان وتغضب الديان والله على ذلك هو المستعان
- ثالثا: يقع إكراما للضيف أو وليمة عرس وهذا مأمور به.
  - إما وجوبا أو استحبابا.

والدليل قوله عزّوجل: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ۝٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ۝٢٦﴾ **الذاريات ٢٤-٢٦**

وجاء في حديث أبي هريـــرة رضـي الله عنه في الصـحيحين: مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَـيْفَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ[1].

وجـاء عنـد البخـاري رحمـه الله **من حـديث عبـد الرحمن بن عوف رضي الله عنه حين تزوج أنصارية قال** صلى الله عليه وسلم **له: أولم ولو بشاة.**

رابعا: أن يقع على وجه البيع والأكل أو التجارة هذا مباح.

قال الله عزّوجل: ﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ۝٧١ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ۝٧٢﴾ **يس ٧١-٧٢**

قال المصـــنف رحمه الله: ودليل النذر قوله تعالى: يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧) الإنسان: 7

النذر لغة: الإيجابُ، مِن قولِكَ: نَذَرتُ على نفْسي، أي: أَوجَبتُ[2] أي ما يجعله الإنسان على نفسه واجبا بإرادته.

---

[1] البخاري كتاب الأدر (6018) ومسلم كتاب الإيمان (48)

[2] ((لسان العرب)) لابن منظور (200/5)، ((تاج العروس)) للزَّبيدي .(14/197)

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح[1]: (النذر في اللغة الالتزام خيرا أو شرا)

- شـرعا: إيجاب عبادة في الذمة بشـرط أو بغيـر شـرط أو نقول: إيجاب المكلف على نفسه ما ليس واجبا عليه بأصل الشرع تعظيما للمنذور له. والنذر أو الوفاء بالنذر من العبادات التـي يجب إفراد الله عزّوجل بها. وصرفها لغيـر الله عزّوجل شرك أكبـر. ومن نذر لغيـر الله عزّوجل فإنه يعتقد أن للمنذور حق التعظيم وأن له تصرفا في الكون.
- ووجه الاسـتدلال بالآية: يُوْفُوْنَ بِالنَّذْرِ أن الله عزّوجل ذكرها في معرض الثناء على المؤمنين الموفين بنذرهم. والله عزّوجل لا يمدح إلا ما أحبه من الأعمال ورضيه وبذلك يكون النذر من العبادات التـي يجب أن يفرد الله عزّوجل بها. والأصل في النذر الكراهة لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه فكيف يكون عبادة؟
- الجواب على الإشكال سهل أن النذر قسمان مطلق ومقيد.
- أولا المطلق: هو الذي لا يكون في مقابله شيء وهو غير مكروه ولم ينه عنه.
- ثانيا المقيد: هو المعلق بشـرط وهذا هو المكروه. كأن يقول صـاحبه إن[2] شـفى الله عزّوجل مريضي. أصوم له ثلاثة أيام أو نحوها. وهذا قال فيه صلى الله عليه وسلم كما في حديث ابن عمر في الصحيح: نَهَى النبيُّ صلى الله عليه وسلم عَنِ النَّذْرِ، وقالَ: إنَّه لا يَرُدُّ شـيئًا، وإنَّما يُسْـتَخْرَجُ به مِنَ البَخِيلِ[3]. وفي رواية: لا يأتـي بخيـر. لأنّ الأصل في المؤمن أن يتعبد لله عزّ وجل عن طواعية دون مقابلة أو مقايضة أو مبادلة أو معاوضة فذلك لا

[1] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (581/11)

[2] شرطية فكأنه يشترط على الله تعالى

[3] مسلم كتاب النذر باب النهي عن النذر (4239)

يليق بالمؤمن لأنه لا يعامل مخلوقا مثله بل هو يعامل ربه عزّوجل . الذي بيده مقاليد الســماوات والأرض ومن نذر طاعة لله عزّوجل وجب الوفاء بها. وإلا تعلقت بذمته كالدين في ذمة صــاحبه والنذر يكون عبادة لله عزّ وجل بثلاث شروط:

- أولا: أن يكون متعلقا بنفل لا بواجب فلا يصح أن ينذر صلاة مفروضة مثلا.
- ثانيا: أن يكون مطلقا لا يتعلق بشرط مقابلة نعمة تحصل له أو نعمة بعيدة عنه يريد تحصيلها أو مصيبة يريد التخلص منها.
- ثالثا: أن يكون معينا لا مبهما لأنه إذا أبهم لم يكن قربة بل فيه كفارة.

الأصل الثاني:

قال المصنف رحمه الله: ***الأَصْلُ الثَّانِي* مَعْرِفَةُ دِينِ الإسلام بِالأَدِلَّةِ**

وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

وهذا الجواب الثاني على السؤال الثاني في القبر: ما دينك؟

معرفة: المقصود بها علم نافع شرعي مصحوب بأدلته مقرون بعمل صالح ينفع صاحبه فيكون سببا في ثباته عند مساءلة الملكين في قبره، ولا يكون الأمر كذلك إلا:

- **إذا علم.**
- **وعمل.**
- **واجتهد.**
- **ومات على ذلك.**

فالمعرفة المجردة لدين الإسلام لا تنفع صاحبها شيئا بل تكون حجة عليه تضره يوم العرض والحساب كحال مفكري الإسلام المستشرقين الذين يكتفون بمعرفة الإسلام وشرائعه وأحكامه مجردة عن العمل بها وتمثلها في حياتهم الخاصة والعامة فهم يشبهون إلى حد بعيد الأجساد الخالية من الأرواح وكأنّهم أشباح لا غير.

دين الإسلام: يطلق الدين ويراد به معان متعددة:

- **منها الجزاء: قال ربي عزّ وجل** ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ **الفاتحة ٤.**

وقال عزّ وجل: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣﴾ **الصافات ٥٣ .**

ومنها معنى الخضـوع والطاعة: يقال دان له أي خضـع له. كما في قوله: ﴿متى كُنْتُم مطاريقَ أو دانَت لكم مُضَرُ﴾[1].

ومنها الملة والمعتقد قال الله عزّوجل ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ الكافرون ٦ .

ولما أضافه هنا إلى الإسلام قيده به فعلم أن المراد به ملة الإسلام. قال شيخ الإسلام ابن تـيمية رحمه الله: (فإن الإسلام الخاص الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم المتضمن لشـريعة القرآن: ليس عليه إلا أمة محمد صـلى الله عليه وسـلم والإسـلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا وأما الإسلام العام المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبيا فإنه يتناول إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء)[2]

الإسـلام الخاص الذي جاء به النبي صـلى الله عليه وسـلم فكان خاتم الأديان والرسالات ولا يقبل الله دينا سواه، وهو الدين:

- المكمل من قبل الله عزّوجل .
- والنعمة التامة على عباده الموحدين المطيعين.
- والإسـلام المرضي من الله تعالى كما جاء في الآية الكريمة، قال الله عزّ وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِـيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ المائدة ٣

[1] أي خضعت لكم مضر

[2] مجموع الفتاوي: (94/3)

- **وهو الذي بمقتضـاه يقع الفصـل يوم القيامة بين العباد قبولا وردًا، قـال الله عزّوجـل:** ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْـلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ آل عمران ٨٥

بالأدلـة: أي اعتمـاد الـدليل أثنـاء تعلم دين الإسـلام بعيدا عن التقليد الذي لا ينفع صـاحبه لا سـيما في مسـائل الاعتقاد وقديما قيل: مَنْ فَارَقَ الدَّلِيلَ ضَـلَّ عَنْ سَـوَاءِ السَّـبِيلِ[1] وقد شـاع بين الناس جملة: (أنا مع أمة محمد صـلى الله عليه وسـلم.) وهذا كلام لا طائل من ورائه وليس بحجة لقائله إذا كان يجهل دينه ولم يُقبل على تعلمه والعمل به.

فمن ملك أهلية العلم وأدواته فإنه لا يعذر بعدم تعلمه الدليل على إسلامه.

ومن كان أميا عاميا فإنه يؤاخذ من جهة أنه سـأل عن طعامه وشـرابه ومركوبه ومنكحه ولم يسـأل عن دينه الذي هو أهم مسـؤول عنه في حياته الدينية والأخروية. لا سـيما إذا كان يعيش في بيئة وجد فيها أسـباب التّعلم من علماء وطلبة علم ووسـائل تمكنه من السـؤال ومعرفة ما يحتاجه في دينه بأيسـر السـبل و أقصـر الطرق في ظل وجود هذه الآلات الناقلة لدروس العلماء الثقـات الأحيـاء منهم حفظهم الله تعـالى و أبقـاهم على الجـادة

---

1 قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رحمه الله: «وَمَنْ أَحَالَكَ عَلَى غَيْرِ «أَخْبَرَنَا» و«حَدَّثَنا» فَقَدْ أَحَالَكَ: إِمَّا عَلَى خَيَالٍ صُوفِيٍّ أَوْ قِيَاسٍ فَلْسَـفِيٍّ، أَوْ رَأْيٍ نَفْسِـيٍّ، فَلَيْسَ بَعْدَ القُرْآنِ و«أَخْبَرَنَا» وَ«حَدَّثَنَا» إِلاَّ شُـبُهَاتُ المُتَكَلِّمِينَ، وَآرَاءُ المُنْحَرِفِينَ وَخَيَالاَتُ المُتَصَوِّفِينَ وَقِيَاسُ المُتَفَلْسِفِينَ، وَمَنْ فَارَقَ الدَّلِيلَ ضَلَّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَلاَ دَلِيلَ إِلى اللهِ وَالجَنَّةِ سِـوَى الكِتَابِ وَالسُّـنَّةِ، وَكُلُّ طَرِيقٍ لَمْ يَصْـحَبْهَا دَلِيلُ القُرْآنِ وَالسُّـنَّةِ، فَهِيَ مِنْ طُرُقِ الجَحِيمِ وَالشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» [«مدارج السّالكين» لابن القيّم(468 /2) :].

ثابتين متمسكين بالمنهج القويم والأموات منهم رحمهم الله تعالى وحشرهم في زمرة الصالحين.

- والله عزّوجل يقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ النحل ٤٣ ولا يقتصر طلب الدليل على معرفة الإسلام فقط. بل يجب أن يطلب الدليل الصحيح في كل مسائل الدين، أعنى في مسائل الاعتقاد والعبادة والمعاملة والأدب والسلوك.

وكأن سائلا سأل الشيخ رحمه الله: ما هو هذا الإسلام الذي يجب على كل مكلف معرفته معتمدا في ذلك على الأدلة الصحيحة الواضحة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

فأجاب الشيخ رحمه الله بقوله هو: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ. فالشيخ رحمه الله فسر الإسلام بثلاثة أمور:

- أولا: الاستسلام لله تعالى بالتوحيد الخالص بأقسامه الثلاثة ربوبية وألوهية وأسماء وصفات.
- ثانيا: الانقياد له بالطاعة وعدم الاعتراض على أمره ونهيه وحكمه تعالى .
- ثالثا: الخلوص من الشرك بجميع أنواعه وما يوصل إليه من أسباب ووسائل وذرائع.

ومعنى الاستسلام لله بالتوحيد: ولو قال الإسلام لله بالتوحيد لصح ذلك لأنهما بمعنى واحد. أي الخضوع له والتذلل له تعالى محبة وتعظيما

وإجلالا، وذلك بتوحيده في ربوبيته وألوهيته وأسـمائه وصـفاته حق التوحيد، والمقصـود الأخص توحيد الألوهية أي إفراده تعالى بالعبادة لأن ذلك هو محل الخصومة والنزاع بين الرسل و أقوامهم، كما جاء ذلك مبين في القرآن العظيم.

- **والانقياد له بالطاعة: أي الانصـياع لأمره فيمتثل أمره وينتهي عن نهيه وأن يتلبس بطاعة الله تعالى في كل ما أمر به وينتهي عن كل ما نهى عنه دون معارضة أو منازعة أو مخالفة، ظاهرا وباطنا حالا وقالا.**
- **والبـــراءة[1] من الشـــرك: أي التخلص من الشـــرك بكل أنواعه وتجنب أسـبابه ووسـائله المفضـية إليه. وكذلك التبـــرء من أهله المشـركين، وتجنبهم إلا أن تدعوهم إلى التوحيد، قال الله تعالى في كتابه العزيـز: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْـوَةٌ حَسَـنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤﴾ الممتحنة ٤. **ولذلك قيد معنى الإسلام الصحيح أنه لا يتحقق الا بالبـــراءة من الشرك وأهله، وأصل البـــراءة بغض القلب للشرك وأهله، وما يتبع ذلك: نكفر من كفره الله تعالى ورســوله** صـــلى الله عليه وســـلم

---

[1] ورد في بعض النسـخ والخلوص من الشـرك والعبارة بالبـــراءة من الشـرك وأهله أدل على المراد لأن الخلوص من الشـــرك وهو الخروج منه دون الخلوص من أهله. ويؤيد هذا المعنى ما ورد في القرآن من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾]الزخرف ٢٦-٢٨[

ومعاداتهم وبغضهم وعدم مقاربتهم ومساكنتهم ومخالطتهم إلا فيما أباحه الشرع لنا وواجبنا نحوهم دعوتهم إلى الدخول في دين الإسلام بالوسائل الصحيحة المباحة وترغيبهم في ذلك وجهادهم عند مشروعية الجهاد بتوفير شروطه و انتفاء مو انعه مع مراعاة زمانه ومكانه ووسائله المشروعة.

📚 **قال المصنف** رحمه الله: وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

📖 **(هو ثلاث مر اتب): وهو أي دين الإسلام الخاص الذي بعث النبي** صلى الله عليه وسلم **وهو الذي تقع به المحاسبة في القبر ويسأل عنه، قال ابن تيمية** رحمه الله **في لاميته:**

ولكل حي عاقل في قبره ❁❁❁عمل يقارنه هناك ويسأل.

❁ **يعني: كل إنسان إذا دخل قبره فإن عمله سيكون معه مقارنًا له، ويسأل عن ربه وعن نبيه وعن دينه، كما ورد في الأحاديث الصحيحة.**

📖 **معنى (مر اتب) أي: منازل ودرجات بعضها أكمل أو أعلى من بعض وهي متقاربة:**

1. **مرتّبة الإسلام: وهي البو ابة الأولى التي يدخل منها الكافر إلى دين الإسلام وذلك بنطق الشهادتين والحكم لأهلها بالإسلام.**
2. **ومرتبة الإيمان: الذي يبني على علم نافع ويثمر عملا صالحا.**
3. **ومرتبة الإحسان: وهو الإتيان بالشيء على أكمل وجوهه في الاعتقاد والقول والعمل.**

وأهل الإسلام لا يخلو حالهم من إحدى هذه المر اتب الثلاث، وقد ينتقل المسلم من مرتبة إلى مرتبة أعلى منها أو أدنى منها بحسب طاعته لله تعالى ،

والتزامه بشـرعه ووقوفه عند جدوده وأول تلك المراتب الإسـلام، وأوسـطها الإيمان، وأعلاها الإحسـان. فإن المحسـن مؤمن، والمؤمن مسـلم فلا يلزم أن يكون المسـلم مؤمنا والعكس صـحيح ولا يلزم أن يكون المؤمن محسـنا والعكس صحيح.

- المرتبة الأولى الإسـلام: تتعلق بالأعمال الظاهرة والتـي تظهر على اللسان والجوارح.
- المرتبة الثانية الإيمان: تتعلق بالاعتقادات الباطنة المتمثلة في أعمال القلب و أقواله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فلما ذكر الإيمان مع الإسلام، جعل الإسلام هو الأعمال الظاهرة: الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج. وجعل الإيمان ما في القلب من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسـله واليوم الآخر رحمه الله وقال أيضا: (ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيمانا بالله بدون إيمان القلب ; لما قد أخبـر في غيـر موضع أنه لا بد من إيمان القلب فعلم أنّ هذه مع إيمان القلب هو الإيمان) [1]

- المرتبة الثالثة الإحسـان: مرتبة إتقان عمل الباطن وعمل الظاهر وتحقيق هذه المرتبة يكون إما على أعلى الدرجتين وهي:

الدرجة الأولى: عبادة الله كأنك تراه، وهذا «مقام المشـاهدة» الجامع لمقامات الإسـلام والإيمان والإحسـان، وهو أن يعمل العبد على مقتضـى مشـاهدته لله تعالى بقلبه حيث يتنور القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب

[1] مجموع الفتاوى (14/7 و9/7)

كالعيان، وهذا هو حقيقة مقام الإحسان المرغوب في الوصول إليه.

الدرجة الثانية: «مقام المراقبة» وهي أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله تعالى إياه واطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى ؛ لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله تعالى وإرادته بالعمل غير الله تعالى

هذه المراتب الثلاث يدخل بعضها في بعض فالإسلام أوسع دائرة من الإيمان والإحسان وأخص منه الإيمان وأخص منه الإحسان، وأهلها جميعا يدخلون الجنة إما ابتداء دون حساب ولا عذاب وإما تبعا بعد قضاء ما عليهم من التبعات مع تفاوت درجاتهم في نوال نعيم الجنة.

قال المصنف رحمه الله (ولكل مرتبة أركان)**: أي تقوم عليها والركن الجانب القوي في البناء الذي لا يقوم الشيء ولا يثبت بدونه وهو جزء منه.**

قال المصنف رحمه الله: فَأَرْكَانُ الإسلام خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا إله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ، و(لا إله) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إلا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا

قَوْلُهُ تعالى: (﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾ [الزخرف: 26 ـ 28]. وقَوْلُهُ تعالى: (﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾

وَدِليلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ:

قَوْلُهُ تعالى: (﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: 128].

وَمَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ.

(فأركان الإسلام خمسة): **لا يستقيم الإسلام ولا يثبت بدونها وأهمها:**

ركن الشهادتين: (شَهَادَةُ أَن لا إله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَ إِقَامُ الصَّلاةِ، وَ إِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ) ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله **أركان الإسلام جملةً وهذا أسلوبه المنتقى من القرآن إجمالا وتفصيلا[1]، ثم بدأ يدلل على كل ركن منها فجعل الإسلام كالبناية يقوم على خمسة أعمدة أساسية لا يستقر البناء إلا بوجودها، كما في حديث ابن عمر** رضي الله عنه **في الصحيحين: بُنِيَ الإسلام علَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لا إلَهَ إلَّا**

[1] فقد أجمل الله القرآن كله في الفاتحة والفاتحة في: إياك نعبد و إياك نستعين وأجمل في بداية سورة البقرة التكلم على المسلمين والكافرين والمنافقين وفصل في سورة البقرة حال اليهود وفي آل عمران حال النصارى والنساء حال المؤمنين وفي براءة حال المنافقين.

اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَســولُ اللَّهِ، و إقَامِ الصَّــلَاةِ، و إيتَاءِ الزَّكَاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضَانَ.

قال الحافظ الحكمي[1] رحمه الله في سلم الوصول:

الإِسْــلَامِ وَالْإِيـمَـانِ وَالْإِحْسَــانِ ❁❁❁ وَالْـكُـلُّ مَـبْـنِـيٌّ عَـلَـى أَرْكَـانِ

فَـقَـدْ أَتَى: الإســلام مَـبْـنِيٌّ عَـلَى ❁❁❁ خَـمْسٍ فَـحَـقِّقْ وَادْرِ مَـا قَـدْ نُـقِلَا

أَوَّلُـهَـا الـرُّكْـنُ الْأَسَــاسُ الْأَعْـظَـمُ ❁❁❁ وَهْوَ الصِّــرَاطُ الْمُسْــتَقِيمُ الْأَقْوَمُ

رُكْنُ الشَّــهَادَتَيْنِ فَاثْبُتْ وَاعْتَصِــمْ ❁❁❁ بِـالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا تَنْفَصِــمْ

وَثَــانِــيًــا إِقَــامَــةُ الصــــلَاةِ ❁❁❁ وَثَــالِــثًــا تَــأْدِيَــةُ الــزَّكَــاةِ

وَالرَّابِعُ الصِّــيَـامُ فَـاسْــمَعْ وَاتَّبِعْ ❁❁❁ وَالْخَـامِسُ الْحَجُّ عَلَى مَنْ يَسْــتَطِعْ

قـــــوله رحمه الله: فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تعالى: (شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ اله إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْــطِ لاَ إله إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آل عمران، 18].

والمراد بالشــهادة: (شــهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رســول الله) وبدأ بذكر الشهادتــين لأهمية موقعها من بقية الأركان وهي العمود الأساس في البناء ولا يصــح قول ولا عمل إلا بها، وهي مركبة من جزئين متلازمين لا يصح أحدهما إلا بمر افقة الآخر فهما متداخلان متكاملان لا يصح إسلام المرء إلا بمجموعهما إقرارا وقولا وعملا:

الأول: يتضــمن (النفي والإثبات)[2] وهو حق محض خاص بالله تعالى . لا ينبغي أن يشاركه فيه أحد أيّا كان

---

[1] توفي الشيخ حافظ رحمه الله بمكة المكرمة السبت 18- 12 - 1377هـ إثر مرض ألمَّ به ودفن فيها، وله (35) سنة.

[2] معناه نفي الإلهية والعبودية من غيــــر الله تعالى ، مما يعبد من دونه بالباطل، و إثبات الإلهية، العبودية لله، وحدة دون ما سواه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ **البينة ٥.**

قال الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٣١﴾ **التوبة ٣١.**

الثاني: الإقرار بعموم رسالة (محمد صلى الله عليه وسلم)، وتجريد المتابعة له في الاعتقاد والقول والعمل. وقبول شرعه وحكمه من غير حرج ولا ضيق ولا اعتراض بل يجب التسليم والرضا بكل ما جاء به من الأخبار والأحكام.

ووجه الاستدلال من الآية الكريمة التي أوردها المصنف رحمه الله **دليلا على بيان معنى الشهادتين: أنها تضمنت أعظم شهادة في الوجود على أعظم مشهود به والشهادة الحقة لا تكون صحيحة مقبولة إلا إذا ضمت هذه المراتب الثلاث:**

1. **أن يعتقد ويعلم بقلبه صحة المشهود به وهو إقرار القلب بها.**
2. **أن يتكلم بما يشهد به بلسانه ولو معه نفسه وهو إقرار باللسان.**
3. **أن يعلم غيره بما يشهد به ويبينه له فيكون معنى الشهادة هنا العلم بأن لا إله إلا الله والنطق بذلك والإعلام به. ووجه الاستدلال من الكريمة السابقة على وجوب الشهادة لله تعالى:**

- أن الله تعالى شـهد لنفسـه: أنه لا إله إلا هو المنفرد بالإلهية وكفى به شـهيدا، وشـهادة الله تتضـمن الحكم والقضـاء والإلزام.[1]
- وشـهد لـه بـذلـك الملائكـة: وهم عمـار السـمـاء المكرمون المطيعون العابدون الذين لا يفترون.
- وشـهد له بذلك أيضـا أولو العلم: من الثقلين، وفيها منقبة لهم فانتبه

فكان الله تعالى أعظم شاهد على أعظم مشهود، وهو شهادة التوحيد. ثم ضم إلى شـهادته شـهادة أعظم و أكرم مخلوقاته وهم الملائكة الكرام المقربون. ثم ثلث شـهادة أهل العلم الربانيين الأثبات، وذلك يعد مكرمة لهم، ومنقبة اسـتحقوا نيلها بسـبب شـهادتهم الحقة لله تعالى بالوحدانية الكاملة، وختم سبحانه هذه الشهادة بأن وصف نفسه بالعزة والحكمة توكيدا لاستحقاق إفراده بالعبودية وتنزيهه عن كل العيوب والنقائص، ثم أكد ذلك كله بقول (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦). ومعناها لا معبود بحق إلا الله وكأن سائلا يسـأل: ما معنى لا إله إلا الله؟، فأجابه المصـنف رحمه الله قال: وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ. وزاد الشـيخ رحمه الله توضـيحا لمعنى الشـهادة فقال: (لا

[1] فإذا شَهِدَ اللهُ أنَّه لا إلهَ إلَّا هو فقد أخبَرَ وبَيَّن وأعلَم وحَكَم وقضى أنَّ ما سِواه ليس بإلهٍ، وأنَّ إلَهيَّةَ ما سِـواه أبطَلُ الباطِلِ، و إثباتَها أظلَمُ الظُّلْمِ، فلا يسـتَحِقُّ العِبادةَ سِـواه، وذلك يَسـتلزِمُ الأمرَ باتخاذِه وَحْدَه إلهًا، والنَّهيَ عن اتخاذِ غَيـرِه معه إلهًا. يُنظر: ((مدارج السالكين)) لابن القيم (422/3). قال ابنُ القَيِّم: (الأدِلَّةُ قد دَلَّت على أنَّه سُـبحانَه وَحْدَه المسـتَحِقُّ للعِبادةِ، فإذا أخبَرَ أنَّه هو وَحْدَه المسـتَحِقُّ للعِبادةِ، تضَمَّنَ هذا الإخبارُ: أمْرَ العبادِ وإلزامَهم بأداءِ ما يَستَحِقُّه الرَّبُّ تعالى عليهم، وأنَّ القيامَ بذلك هو خالِصُ حَقِّه عليهم، فإذا شَهِدَ سُبحانَه أنَّه لا إلهَ إلَّا هو، تضَمَّنَت شهادتُه الأمرَ والإلزامَ بتوحيدِه.

إله) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إلا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَـرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.[1]

وَتَفْسِيـــرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَـيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: 26. 28].

وقَوْلُهُ تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

اعلم أن النفي المحض ليس توحيدا خالصا لله تعالى لأنه عدم محض وليس شيء وهو تعطيل محض ولا يعبر عن شيء، كما أن الإثبات المحض ليس توحيدا خالصا لله تعالى ، لأنه يحتمل المشاركة بل لا بد في هذه الكلمة من "نفي واثبات"، وقد استدل الشيخ رحمه الله **بتوحيد الربوبية الذي استلزم توحيد الألوهية فمن أظلم الظلم أن الذي ليس له شيء من الملك يملكه**

[1] لا: نافية للجنس تعمل عمل إن وإله: اسم لا منصوب وخبرها محذوف تقدير حق أو بحق. وإلا: أداة استثناء والله تعالى: مستثنى وهو بدل من الضمير المستتر في حق. الخبر المحذور. فلو قدرناه الخبر بموجود أو مخفي أو خالق أو غيرها فإنه لا يستقيم معنى كلمة لا إله إلا الله. ما دام هناك آلهة كثيرة تعبد مع الله تعالى بدليل القرآن العظيم في قوله الله تعالى :﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾ هود ١٠١ . فلا بد هنا من ضابط كلمة حق أو بحق. أي أن الذي يعبد بحق هو واحد وهو الله تعالى وما عبد من دونه من الآلهة فعبد باطل وبظلم. كما قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ الحج ٦٢

ويدبـــره ويتصــرف فيه أن يجعل شــريكا مع الله في عبادته الذي له ملك السماوات والأرض وما فيهن وما بينهما.

وهذه الكلمة التـــي أُمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو إليها أهل الكتاب وهي أيضـا التـــي طالب بها النبي صـلى الله عليه وسـلم قومه العرب خاصـة والناس عامة وكان يطوف بالأسـواق ويعترض الناس في مواسم الحج والعمرة ويقول لهم: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وهي نفسها التـي طالب النبي صلى الله عليه وســلم عمه أبا طالب وهو على فراش الموت لينال بها شــفاعته فيه يوم القيامة. وهي:

- الكلمة الفارقة بين الإسلام والكفر.
- وهي كلمة التقوى.
- وهي العروة الوثقى.
- وهي الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء.
- وهي الكلمة التي جعلها إبراهيم في عقبه لترجع إليها ذريته.
- وهي الكلمة التي أوصى بها إبـراهيم عليه السلام بنيه ويعقوب عليه السلام.
- وهي التي من أجلها خلق الله السماوات والأرض.
- ولأجلها خلق الخلق وأرســل الرســل و أنزل الكتب وشــرع الجهاد، واستحلت الدماء والأموال وسُبيت النساء والذراري.
- ولأجلها توضـع موازين القسـط يوم القيامة وتنشـر الصحف ويقع الحساب وتفتح الجنة أبوابها لاستقبال أهلها وعمارها وكذا النار.
- وعليهـا يترتـب الثواب والعقـاب والخلود في النـار أو النجـاة منهـا والخلود في الجنة.

وهي أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة.

وهذه الكلمة لا يمكن أن تنفع قائلها إلا إذا حقق شروطها وهي كما قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله **في منظومته سُلَّمُ الوصول:**

العلم واليقين والقبـــــــــــول ❁❁❁ والانـقـيـــــاد فـأدر مـا أقـول
والصـــــــدق والإخلاص والمحبـة ❁❁❁ وفقك الله لما أحبـــــــــــه.

الشروط	النواقض
العلم	الجهل
اليقين	الشك
القبول	الرد
الانقياد	الأعراض
الصدق	الكذب
الإخلاص	الشرك
المحبة	ما يضاده

وزاد بعضهم شرطا ثامنا وهو الكفر بما يعبد من دون الله كما ورد بذلك الخبر الصحيح.

ثم قـال الشيخ رحمه الله: وَدِليلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ:

قَوْلُهُ تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُــولٌ مِّنْ أَنفُسِــكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة: 128].

وَمَعْنَى شَـهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُـولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْـدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.

- **اللام في قوله لقد: هذه اللام تسمى الموطئة للقسم لأن هناك قسمًا محذوفًا تقديره (والله) لقد جاءكم رسول من أنفسكم، والمقسم هو الله تعالى . وهذا لتأكيد الكلام المذكور في نفس السامع، وذلك بمؤكدات ثلاث اللام والقسم وقد.**
- **ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله: أن يعتقد أن محمدا** صلى الله عليه وسلم **أرسله الله بدين الإسلام اعتقادا يصحبه قول باللسان إخبارعما يقن في قلبه واستقر، وهذه الآية التي ساقها المصنف** رحمه الله **شاهدة على ذلك واضحة الدلالة على المراد، ومن الأدلة الشاهدة على رسالة النبي** صلى الله عليه وسلم

﴿ **ومن القرآن قول الله تعالى:** ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ المنافقون١

١_ <u>والواجب من الشهادة لله تعالى هو:</u> الشهادة له بالتوحيد الخالص.

٢_ <u>والواجب من الشهادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو:</u> الشهادة له بالرسالة.

فهذان المعنيان هما المتعلقان بركني الشهادة التي عليها مدارقبول إسلام المرء أورده.

وسبق تقرير أن الشهادة لا تكون صحيحة مقبولة إلا باجتماع ثلاثة أمورفيها وهي:

_١_ علم الشاهد بها.

_٢_ اعتقاد صحة ما شهد به.

_٣_ تكلم الشاهد بذلك ونطقه به ولو مع نفسه.

- وبناء عليه فيجب أن يعلم العبد ويعتقد ويتكلم ويخبر بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جميع الخلق إنسهم وجنهم أنزل عليه الوحي فبلغ ذلك أتم البلاغ.
- وهناك من يفسر شهادة أن محمد رسول الله بمقتضاها كما فعل "المصنف" حيث قال: (وَمَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.)، فمعنى هذه الشهادة من طريق اللزوم بأربعة أمور هي:

1. طاعته فيما أمر: فإن ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم:
   أ. إما أن يكون خبرا فالواجب فيه التصديق.
   ب. وإما أن يكون أمرا فالواجب فيه الانقياد والتسليم، وقد يكون الأمر إما:
      1. بالفعل أو بالترك.

(فالواجب في الأخبار التصديق والواجب في الأحكام الطاعة والانقياد والتسليم).

2. فإن لم يطع الإنسان "رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو اعتقد أنه لا يطاع فإن ذلك يعد تكذيبا منه لشهادته التي نطق بها وقد يصل إلى نقض شهادته فيكفر بذلك ويخرج من ملة الإسلام.

3. أما إذا اعتقد أنه يجب طاعته فيما أمر لكنه خالف لغلبة هواه يكون عاصيا، قد نقص تحقيقه لشهادة أن محمدا صلى الله عليه وسلم بقدر مخالفته.

ت. وما أمر به صلى الله عليه وسلم على نوعين:

1. ما كان في سبيل الوجوب فتجب طاعته فيه.

2. وما كان على سبيل الاستحباب فيستحب الطاعة فيه.

قال ابن القيم رحمه الله: «الشهادة لرسول الله بأنه نبي لا تُدخل الإنسانَ في الإسلام ما لم يلتزم طاعته ومتابعته، فشهادة عمه أبي طالب له بأنه صادق، وأن دينه من خير أديان البرية دينًا[1] لم تُدْخِلهُ هذه الشهادة في الإسلام، ومن تأمَّل ما في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له صلى الله عليه وسلم بالرسالة، و أنه صادق، ولم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام، علِمَ أن الإسلام أمرٌوراء ذلك، و أنه ليس هو المعرفة فقط، ولا المعرفة والإقرار فقط، بل المعرفة والإقرار والانقياد، والتزام طاعته ودينه ظاهرًا وباطنًا.[2]

2. تصديقه فيما أخبر: كما أن الأمر يستوجب الانقياد والطاعة كذلك الخبر يستوجب التصديق، فما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من الغيب هو وحي من عند الله فيما يتعلق بالأخبار عن الله عزّوجل وأسمائه، وصفاته، والجنة، والنار، وقصص الماضين، فالمؤمن

---

[1] في قصيدته المعروفة: لامية أبي طالب في نصر رسول الله والتي مطلعها: خليليَّ ما أُذْني لأوَّلِ عاذلِ***بِصَغْواءَ في حقٍّ ولا عندَ باطلِ

[2] زاد المعاد .(3 /638)

يصدق النبي صلى الله عليه وسلم **بما أخبـر به سواء عقل ذلك أم لم يعقله، وسواء أدرك بنظره أو لم يدركه وسواء عرف الحكمة من ذلك أو لم يعرفها.**

3. **اجتناب ما نهى عنه وزجر: قال الله** عزّ وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾. **الحشر ٧ والتعبير بلفظ (اجتناب) أولى من (ترك) وذلك بترك المحرمات، وكذلك المشتبهات والمعنى اجتناب المنهيات وما يوصل إليها من الوسائل والأسباب.**

📖 **وألا يعبد الله إلا بما شرع: أي لا يعبد الله بالأهواء والمحرمات والبدع، وآراء الرجال، وكذا الاستحسانات العقلية المختلفة و إنما تتحقق عبادته تعالى من طريق واحدة هي اتباع النبي** صلى الله عليه وسلم **أي بما شرع الله على لسان نبيه محمد** صلى الله عليه وسلم **لأنه يمثل الطريق الوحيد الذي من خلاله يعرف الحلال والحرام والأحكام وغيرها.**

📚 **ومقتضى هذه الشهادة أيضا ألا يعتقد المؤمن أن لرسول الله** صلى الله عليه وسلم **حقا في الربوبية أو شيئا من العبادة يمكن أن تصرف إليه بل هو عبد لا يعبد ورسول لا يكذب ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا من النفع أو الضر إلا ما شاء الله تعالى ، قال الله عزّوجل:** ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠﴾ **الأنعام ٥٠ فهو عبد مأمور يتبع ما أُمر به، ولا يأمر الناس بعبادته إنما يأمرهم**

بعبادة الله وحدة كما قال الله عزّوجل: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴿٧٩﴾﴾ **آل عمران ٧٩**

- **الخلاصة: المقصود من معرفة الشهادتين الركن الأول من أركان الإسلام: العلم بمعنى الشهادتين مع النطق بهما باللسان إلا أن يعجز على ذلك، والعمل بما دلت عليه، هذه الشهادة الحقة في مجال الاعتقاد والعبادة والمعاملة والأحكام والسلوك فإنها لا تنفع صاحبها إلا بعد العمل بما اقتضته من تبعات في جميع الأحوال.**
- **قال شيخ الإسلام** رحمه الله: **(وكلما كان الرجل أتبع لمحمد صلى الله عليه وسلم كان أعظم توحيداً لله وإخلاصاً له في الدين وإذا بعد عن متابعته نقص من دينه بحسب ذلك فإذا أكثر بعده عنه ظهر فيه من الشرك والبدع ما لا يظهر فيمن هو أقرب منه إلى اتباع الرسول)**[1].
- **ورحم الله الإمام الزّهري حيث قال: (من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم).** [2]

قال المصنف (رحمه الله): (وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حنفاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) البينة: 5.

وهذه الآية عامة جامعة شاملة لجميع أنواع العبادة التي يتقرب بها العبد إلى الله عزّ وجل **فيجب أن يكون فيها مخلصا لله عزّوجل وحده لا شريك له**

[1] **مجموع الفتاوى 17/ 498**

[2] **رواه البخاري تعليقا: (2738/6)**

حنيفا مائلا عن الشــرك إلى التوحيد الخالص متبعا لشــريعته عزّوجل أمرا ونهيا فعلا وتركا. وذكر الصــلاة والزكاة هنا من باب عطف الخاص على العام لأن إقامة الصــلاة و إيتاء الزكاة من أفراد العبادة، والتخصــيص بذكرها هنا لما لهما من أهمية ومكانة في الدين فالصلاة عبادة بدنية والزكاة عبادة مالية، وهما قرينتان في كتاب الله كثيرا ما يتلازمان في مواطن كثيرة في كتاب ربي عزّ وجل .

وذكرهما هنا إلى جانب التوحيد تنبيها على أنهما لا يصــحّان بدون توحيد الله تعالى وهما من أعمال الطاعات الدالة على تحقيق توحيد العبد لله عزّوجل

لذلك قال الله عزّوجل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِــينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّــلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ۝٥﴾ البينة ٥ .أي دين الملة القيمة المستقيمة الحقة التي لا اعوجاج فيها.

لذلك قال "الصــديق" رضــي الله عنه فيمن فرق بينهما من جهة الترك أو الجحود وهاك القصة: (لَمَّا تُوُفِّيَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وكانَ أبو بَكْرٍ رضــي الله عنه ، وكَفَرَ مَن كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، فَقالَ عُمَرُ رضــي الله عنه: كيفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وقدْ قالَ رَســولُ اللَّهِ صَــلَّى اللهُ عليه وســلَّمَ: أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فمَن قالَهَا فقَدْ عَصَــمَ مِنِّي مَالَهُ ونَفْسَــهُ إلَّا بحَقِّهِ، وحِسَابُهُ علَى اللَّهِ فَقالَ: واللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَن فَرَّقَ بيْنَ الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ، فإنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، واللَّهِ لو مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إلى رَســولِ اللَّهِ صَــلَّى اللهُ عليه وســلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ علَى مَنْعِهَا قالَ عُمَرُ رضــي الله عنه: فَوَاللَّهِ ما هو إلَّا أنْ قدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أبِي بَكْرٍ رضي الله عنه ، فَعَرَفْتُ أنَّه الحَقُّ).[1]

[1] الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم| 1399 :

وهذه الثلاثة المذكورة في أركان الإسلام (الشهادتان والصلاة والزكاة)، هي أعظم أركان الإسلام وكثيرا ما يأتي في الكتاب والسنة الجمع بينها كما قال الله عزّوجل: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴿١١﴾﴾ **التوبة ١١ معناه: إن تابوا من الشرك و أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة فهم إخوان لكم في الدين، لهم ما لكم، وعليهم ما عليكم.**

قال المصنف (رحمه الله): ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴿١٨٣﴾﴾ **[البقرة: 183].**

ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴿٩٧﴾﴾ **[آل عمران: 97].**

وهنا ذكر الشيخ رحمه الله الركن الرابع والخامس من أركان الإسلام وهما الصيام والحج:

- **فالصيام: هو الإمساك عن المفطرات تعبدا لله عزّوجل من طلوع الفجر إلى غروب الشمس وقد أوجبه الله عزّ وجل على من سبقنا من الأمم وفيه دليل أنها عبادة محبوبة لله مرضية عنده وغايتها تحصيل تقوى الله عزّوجل والتقرب إليه والسعي لنيل مرضاته كما قال تعالى عزّوجل عزّ وجل:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴿١٨٣﴾﴾ **البقرة ١٨٣.**
- **الحج: فقد أوجبه الله عزّوجل على المسلمين في السنة التاسعة من الهجرة (٩هـ)، ورتب ذلك على توفر القدرة والاستطاعة، جعل ذلك**

مرة في عمر المسلم، وبعدها يكون حج تطوع، وجاء أن الحج المبرور لا جزاء له إلا الجنة. ومن ملك القدرة ولم يحج فإنه يكفر بذلك كفرا أصغر على قول جمهور العلماء إلا إذا أنكر وجوب الحج فإنه يكفر كفرا أكبر قال الله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾]آل عمران ٩٧[.

قال المصنف (رحمه الله): الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ:

الإيمان وَهُوَ بِضْـعٌ وَسَـبْعُونَ شُـعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إله إلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: 177].

ودليل القدر: قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: 49].

ذكر الشيخ رحمه الله **أن دين الإسلام "ثلاث مراتب": الإسلام: وقد بينه، ثم قال المرتبة الثانية، وهي الإيمان:**

والإيمان في اللغة: التصديق الجازم والإقرار المتبوع بالخضوع والانقياد.

الإيمان شرعا: قول وعمل والمشهور عند علماء السنة: (الايمان قول وعمل)، وقد نقل الإجماع على ذلك أكثر من واحد من أهل العلم،

منهم أهل الحجاز، ومكة، والمدينة، والكوفة، والبصرة، وواسط، وبغداد، والشام.[1]

الإيمان: شرعا اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح.

قال: الإمام الحافظ المقرئ عالم الأندلس أبو عمرو عثمان القرطبي الذي يعرف بابن الصيرفي رحمه الله **(371هـ..444هـ).**

وبعد: فالإيمان قول وعمل ❁❁❁ ونية عن ذاك ليس ينفصل
هو على ثلاثة مبني ❁❁❁ خلاف ما يقوله المرجي
فتارة يزيد بالتشمير ❁❁❁ وتارة ينقص بالتقصير

وقال: أبو زكريا جمال الدين يحيى بن يوسف بن منصور الصرصري البغدادي الحنبلي رحمه الله **(588هـ_656هـ)**

واعتقد الإيمان قولا مسددا ❁❁❁ وأعمال صدق في الصحائف تودع.
يزيد بفعل الخير من كل مؤمن ❁❁❁ وينقص بالعصيان فهو ممزع
وإيماننا بضع وسبعون شعبة ❁❁❁ حديث صحيح النقل لا يتضعضع.

وقال: أبو محمد عبد الله بن محمد الاندلسي القحطاني رحمه الله:

إيماننا بالله من ثلاثة ❁❁❁ عمل وقول واعتقاد جنان
ويزيد بالتقوى وينقص بالردى ❁❁❁ وكلاهما في القلب يعتلجان.

قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله:

إِيمَانُنَا يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ ❁❁❁ وَنَقْصُهُ يَكُونُ بِالزَّلَّاتِ
وَأَهْلُهُ فِيهِ عَلَى تَفَاضُلِ ❁❁❁ هَلْ أَنْتَ كَالْأَمْلَاكِ أَوْ كَالرُّسُلِ
وَالْفَاسِقُ الْمِلِّيُّ ذُو الْعِصْيَانِ ❁❁❁ لَمْ يُنْفَ عَنْهُ مُطْلَقُ الْإِيمَانِ
لَكِنْ بِقَدْرِ الْفِسْقِ وَالْمَعَاصِي ❁❁❁ إِيمَانُهُ مَا زَالَ فِي انْتِقَاصِ
وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ فِي النَّارِ ❁❁❁ مُخَلَّدٌ، بَلْ أَمْرُهُ لِلْبَارِي

[1] شرح كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي ت:(418هـ) (م1/776)

تحت مشيئة الْإِلَهِ النَّافِذَهْ ❁❁❁ إِنْ شَاء عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاء أَخَذَهْ
بِقَدْرِ ذَنْبِهِ، وَإِلَى الْجِنَانِ ❁❁❁ يُخْرَجُ إِنْ مَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ

قال الإمام أبو بكر بن داود السجستاني (316هـ) رحمه الله: في حائيته.

وقل: إنما الإيمان قول ونية ❁❁❁ وفعل على قول النبي مصرح
وينقص طورا بالمعاصي وتارة ❁❁❁ بطاعته ينمي وفي الوزن يرجح
ودع عنك آراء الرجال وقولهم ❁❁❁ فقول رسول الله أزكى وأشرح
ولا تكُ من قوم تلهو بدينهم ❁❁❁ فتطعن في أهل الحديث وتقدح
إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه ❁❁❁ فأنت على خير تبيت وتصبح

قال ابن تيمية رحمه الله:)والمأثور عن الصحابة و أئمة التابعين وجمهور السلف وهو مذهب أهل الحديث وهو المنسوب إلى أهل السنة أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية) [1]

وقال رحمه الله أيضا: أجمع السلف أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص) [2] **انتهى.**

والمرجئة وهم كل من خالف عقيدة أهل السنة والجماعة في مُسمّى الإيمان وهم أربع طوائف:

1. **أولا: غلاة المرجئة وهم هؤلاء الجهمية يقولون الإيمان مجرد المعرفة والكفر: جهل الرب بالقلب. والجهمية نسبة إلى جهم بن صفوان السمرقندي الراسبي (128هـ) الذي نشر مذهب الجهمية، وتعريفهم هذا أفسد ما قيل في تعريف الإيمان و أبطله وأشده كفراً وضلالاً وبعداً عن الحق. وألزمهم العلماء بناء على هذا التعريف**

[1] مجموع الفتاوى(505 / 7) "

2 مجموع الفتاوى (672 / 7)

أن إبليس مؤمن؛ لأنه عرف ربه بقلبه، قال الله عنه: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦﴾ الحجر: ٣٦.

قال أبو محمد الحسن بن على بن خلف البربهاري رحمه الله (349هـ): (من قال الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فقد خرج من الأرجاء كله)[1] انتهى

2. ثانيا: الأشاعرة[2] يقولون الإيمان هو التصديق في القلب فقط ولو لم ينطق باللسان.
3. ثالثا: الكرامية[3] يقولون الإيمان هو النطق باللسان ولو لم يعتقد بقلبه. وهذا يلي مذهب الجهم في الفساد، يقولون: إن الإنسان إذا نطق بلسانه فهو مؤمن كامل الإيمان، وإن كان مكذبا بقلبه فهو مخلد في النار، فيجمعون بين الأمرين المتناقضين، فيقولون: إذا نطق المنافق بالشهادتين فهو مؤمن كامل الإيمان ومع ذلك يخلد

[1] شرح السنة للبربهاري (ص123)

[2] هم فرقة اسلامية تنتسب إلى الامام ابي حسن الاشعري (324هـ) في مرحلته الثانية التي خرج فيها من الاعتزال. منهجهم اعتمد طريقة الكلام في الاستدلال على مسائل الدين. وهم يقدمون في ذلك البراهين العقلية على الادلة النقلية. لا يأخذون بحديث الآحاد في العقيدة. ويؤولون الصفات الخبرية الالهية. وينفون الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى . وغيرها مما خالفوا فيه مذهب أهل السنة والجماعة ومثاله: تفسير لا إله في كلمة التوحيد بمعنى (الخالق والمخترع) وكذا تأويل هذه صفة الاستواء والمجيء والرؤية ونحوها. والحق أنهم لا يدخلون في أهل السنة وجماعة أهل السنة والجماعة عند كثير من العلماء.

[3] هي فرقة إسلامية كلامية من فرق المرجئة، تنتسب إلى محمد بن كرام السجستاني (655هـ) وتخالف أهل السنة الجماعة مسائل عقدية كثيرة منها مفهوم الإيمان حيث جمعوا بين قول المرجئة والجهمية وتو افقوا في ذلك فالإيمان عندهم يقتصر على قول اللسان دون معرفة القلب ويقولون بالتجسيم ولا يعدون من أهل السنة والجماعة.

في النـار. وعللوا ذلـك فقـالوا: مؤمن كـامـل الإيمـان؛ لأنـه نطق بلسانه، ويخلد في النار؛ لأنه كذب بقلبه.[1]

4. رابعـا: مرجئـة الفقهـاء يقولون الإيمـان قول بـاللســـان واعتقـاد بالقلب ولا تدخل الأعمال في حقيقة الإيمان مع الإقرار بأن تارك الواجب يعرض للذم والعقاب.

- قال الشـافعي رحمه الله: ﴿كان الإجماع من الصـحابة والتابعين ومن بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر، وقد نقله عنه شيخ الإسلام في كتابه الإيمان﴾.
- وهذا التصـديق: ﴿إذا لم يكن معه طاعة لأمره، لا باطناً ولا ظاهراً، ولا محبة لله، ولا تعظيم له، لم يكن ذلك إيماناً﴾[2].
- قال ابن تـــيمية رحمه الله: ﴿فمجرد علم القلب بالحق إن لم يقترن به عمل القلب بموجب مثل محبة القلب له و اتباع القلب له لم ينفع صاحبه﴾[3]
- وقد قرر العلماء رحمهم الله أن:

1. هذا التصـديق مع عمل القلب هو أصـل من أصـول الإيمان و أنه أصل للقول الظاهر.
2. كما أن عمل القلب أصل لعمل الجوارح.

---

[1] فانتبه إلى هذا الخلط العظيم واحمد الله الكريم أن كنت من أهل السـنة والجماعة سـلفي بإذن الله جل وعلا.

[2] مجموع الفتاوى 534/7

[3] مجموع الفتاوى 271/15

3. قول اللســـان: هو القول الظاهر الذي لا نجاة للعبد إلا به وهو التكلم بكلمة الإسـلام وغيـــرها من التسـبيح والتكبيـــر والتهليل والذكر، فمن لم يتكلم بالشـهادتـــين مع القدرة فهو كافر ظاهر ولو أقر بقلبه.

4. عمل القلب: النية والإرادة والخضـــوع لله ولأمره والرهبة والرغبة وغيـــرها من الأعمال القلبية المتضـمنة للذل والخضـوع والمحبة والتعظيم.

قال البخاري رحمه الله: (لقيت ألف رجل من أهل العلم فما رأيت أحدا منهم يختلف إن الإيمان قول وعمل [1]) المراد:

- بالقول:
- قول القلب: فهو الاعتقاد.
- وقول اللسان: فهو النطق والإقرار والبيان والإظهار.
- العمل:
- عمل القلب: ما يقوم به من عبادات قلبية مثل: (الخوف، والرجاء، والخشية... وغيرها)
- وعمـل الجوارح: (كـالصـــلاة، والزكـاة، والحج، والجهـاد... وغيرها)

1 ذكره ابن حجر في الفتح وصححه (60/1)

- **وقال بعضهم الإيمان خمس نونات: (اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان، وعمل والأركان، يزيد بطاعة الرحمن وينقص بطاعة الشيطان).**
- **قال العلماء أنّ هذا الإيمان الشرعي هو الذي حصل به التصديق الجازم والإقرار المتبوع بالخضوع والانقياد فهو من الأسماء التي نقلت من اللغة إلى الشرع وصارت حقيقتها الشرعية ما جرى على لسان الشرع؛ والإيمان هو واحد من هذه الأسماء، والإيمان كثيرا ما يأتي في القرآن ويراد به المعنى اللغوي وكذا يأتي ويراد به المعنى الشرعي:**
- **يرد الإيمان في القرآن بالمعنى اللغوي، ويتعدى باللام:**
  - **كقول الله تعالى:** ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ يوسف ١٦-١٧.
  - **وقوله تعالى:** ﴿۞فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦﴾ العنكبوت 26، **ونحو ذلك.**
- **أما الإيمان الشرعي فإنه يأتي ويتعدى بالباء:**
  - **كقول الله تعالى:** ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ البقرة ٢٨٥.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ البقرة ١٣٧.

وقوله تعالى: ﴿مُسْـلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ العنكبوت ٤٧-٤٨

وهذا الإيمان الشرعي تارة يُراد به الاعتقادات الباطنة وهو الذي يناسب المرتبة الثانية وذلك إذا ذكر مقترنا بالإسلام، والإحسان وأما إذا أفرد فإنه يدخل فيه معنى الإسلام والإحسان.

قال الشيخ رحمه الله: وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إله إلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ. **هذا الحديث رواه مسلم بالشك من طريق أبي هريرة بلفظ (بضع وستون أو بضع وسبعون) والبخاري بلفظ (بضع وستون).**

- **أولا ورود الحديث برتبة الأعلى والأدنى: وذكر الشعب دليل على أن الإيمان ليس شيئا واحدا إنما هو شعب، وخصال، ودرجات متفاوتة فاضلة، ومتفاضلة، وهذا يدل على أن الإيمان يتبعض ويتجزأ.**
- **الإيمان: مراد الشيخ الإيمان بالمعنى العام الذي يشمل الإسلام وزيادة.**
- **بضع: البضع بكسر الباء اسم من أسماء العدد (من ٣ إلى ٩).**

- شعبة: هي الجزء أو القطعة من الشيء، أو بعض الشيء.
- أعلاها لا إله الا الله: أعلى و أفضل هذه الشعب الإيمانية كلمة: لا إله إلا الله.
- وأدناها إماطة الأذى عن الطريق: تنحية كل ما يؤذي الناس من طريقهم حسيا أو معنويا.
- الحياء شعبة من الإيمان: الحياء: صفة انفعالية تحدث عند الخجل لمنع المرء من فعل ما يشين المروءة والأدب.
- مثل الحديث: الإيمان بالشجرة ذات الفروع والأغصان والشعب فيها الأعلى، والأدنى وما بين ذلك.
  - قول (لا إله إلا الله): قول باللسان ولا شك أنه تابع لقول القلب وهو الاعتقاد بالجنان.
  - (وإماطة الأذى عن الطريق): هو عمل الجوارح يدخل في مسمى الإيمان.
  - (والحياء): هذا عمل القلب وهو أيضا يدخل في مسمى الإيمان.
- إذن الإيمان الشرعي يشتمل على أربعة أمور:
  1. قول بالقلب: وهو اعتقاده و إقراره.
  2. قول باللسان: وهو النطق به والإقرار.
  3. عمل القلب: وهو ما قام من عبودية فيه مثل: (الخشية والخوف والتوكل، ونحوها)
  4. عمل الجوارح: ما كان من (صلاة وصيام وحج، وجهاد، ونحوها)

- وقد يضعف الإيمان وينقص حتى يصل إلى درجة العدم.
- وقد خالف أهل السنة والجماعة طوائف كثيرة في مسألة تعريف الإيمان:

- الجهمية: يقولون الإيمان هو المعرفة بالله سبحانه وتعالى والكفر هو الجهل بالله سبحانه وتعالى .
- المعتزلة والخوارج: وافقوا أهل السنة في التعريف، وخالفوهم في الحقيقة، وجعلوا العمل شرطا في صحة الإيمان لذلك أخرجوا فاعل الكبيرة من الإسلام بالكلية وكفروه.
- الأشاعرة: جمهورهم يقولون الإيمان هو تصديق بالقلب فقط. وإن لم ينطق باللسان، وهو شيء واحد لا يتعدد ولا يتبعض ولا يزيد ولا ينقص.
- الكُرامية: الإيمان قول باللسان وإن لم يعتقد بقلبه.
- المرجئة الفقهاء: يقولون الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب فقط والعمل ليس من مسماه.
- جدول موضح للفروق بينهم:

تعريفهم للإيمان	معرفة	قول	عمل	اعتقاد	يزيد	وينقص
أهل السنة والجماعة						
الجهمية						
المعتزلة	وافقوهم في التعريف،					

	وجعلوا العمل شـــرطـا في صحة الإيمان لذلك أخرجوا فاعل الكبيـرة مـن الـكـلـيـة وكفروه					
والخوارج	و افـقـوهـم في الـتـعـريـف، وجعلوا العمل شـــرطـا في صحة الإيمان لذلك أخرجوا فاعل الكبيـرة مـن الـكـلـيـة وكفروه					
الأشاعرة						
الكرامية						
مـــرجـــئـــة الفقهاء						

يجب على المسـلم أن يعتقد المعتقد الصـحيح المأثورعن السـلف والثابـت بـالـدليـل الصـحيح ولا يلتفـت إلى آراء الرجـال وأهواء المبتدعة و انحراف الضالين المضلين، كما قيل:

ودع عنك آراء الرجال وقولهم ❁❁❁ فقول رسول الله أولى وأشرح
ولا تك من قوم تلهو بدينهم ❁❁❁ فتطعن في أهل الحديث وتقدح
إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه ❁❁❁ فأنت على خير تبيت وتصبح[1]

قال المصنف (رحمه الله): وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿بَعِيدٍ ۝١٧٢ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: 177]. ودليل القدر: قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: 49].

الركن: وهو الجزء المهم والأساس في البناء ويحمل غيره ويقوم عليه.

والمعنى أي أصول الإيمان ستة: الإيمان بها على وجه الإجمال فرض عين والإيمان بها على وجه التفصيل فرض كفاية لكن من علم شيئا من ذلك التفصيل وجب عليه الإيمان به.

(أن تؤمن بالله): أي أن تؤمن بربوبيته، وبألوهيته، وبأسمائه وصفاته إيمانا جازما مبنيا على علم ويقين.

(وملائكته): جمع مَلَكٍ وهو المُرسَلُ وأصله مألك من الألوكة وهي الرسالة ثم قلبت همزة وصل وخففت وقدمت اللام فقيل ملأك ثم خففت إلى ملك لكثرة الاستعمال وهم خلق من خلق الله خلقهم من نور وهم من عالم الغيب مرسلون رسالة خاصة على وجه التعظيم، موكلون بما

[1] المنظومة الحائية لابن أبي داوود السجستاني (316هـ)

وكلهم الله به من أعمال مختلفة، خلقهم لعبادته وتنفيذ أوامره في ملكه، عددهم لا يعلمه إلا الله؛ يجب الإيمان بهم على الإجمال، ويجب الإيمان على التفصيل بما ذكر لنا في الكتاب والسنة، ونؤمن بأوصافهم وأسمائهم وأعدادهم وما بُيِّن من أعمالهم ووظائفهم. قال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ **البقرة ١٧٧**

(وكتبه): أي الإيمان بالكتب السماوية المنزلة من الله على بعض رسله وكذا الصحف[1]

وفيها الهدى والحق والخير والأمر والنهي وما يصلح العباد وتستقيم به أحوالهم ونؤمن أن القرآن قد نسخ جميع هذه الكتب السابقة، و أنه حجة

---

[1] سؤل الشيخ بن باز رحمه الله تعالى: المعروف أن الكتب السماوية المنزلة هي أربعة: التوراة، الزبور، الإنجيل، القرآن. فماذا عن صحف إبراهيم وموسى التي جاء ذكرها في القرآن الكريم الآيتان رقم 18 و19 من سورة الأعلى؟ أرجو إعطائي نبذة وتعريفًا عن هذه الصحف المطهرة.

فأجاب: قد أخبر الله سبحانه أنه أرسل رسله بالبينات والزبر، كما قال:﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ﴾[النحل: 43 - 44] والزبر هي الكتب. وقال سبحانه في سورة الحديد:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ الآية [الحديد: 25] ونص سبحانه على صحف إبراهيم وموسى في سورة: سبح اسم ربك الأعلى، وبين سبحانه من هذه الكتب والصحف التوراة المنزلة على موسى، والزبور المنزل على داود، والإنجيل المنزل على عيسى، والقرآن المنزل على محمد ﷺ.

وليس للعباد من العلم إلا ما علمهم الله إياه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ. والله ولي التوفيق.

الله الباقية على الناس إلى يوم القيامة، مع الإشـــارة إلى أن أكثرها قد بُدّل وحُرّف من قبل أهل الكتاب بســـبب أهوائهم ورغباتهم. قال الله تعالى ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾ النســاء ٤٦، كذلك لا يجوز العمل بأي حكم من أحكامها إلا ما صح منها و أقره القرآن.

- (ورسله): جمع رسول أي مبعوث.
- وشرعا: هو من بعثه الله إلى قوم غيـــر مؤمنين وأوحيَ إليه بما لم يكن في شـــريعة من قبله. وأما النبي فهو من أوحي الله إليه أن يدعو إلى شريعة من كان قبله دون أن ينزل عليه كتابًا.
- والقدر الواجب اللازم المجزئ من الإيمان بالرسل هو:
- الاعتقاد الجازم أن الله أرســل إلى خلقه رســلا منهم ليأمروهم بعبادة الله وحده وعدم الإشراك به.
- وأن هؤلاء الرســـل موحى إليهم من الله وأنهم صـــادقون مصدقون فيما أخبروا به عن الله.
- وأن أولهم نوح عليه السلام.
- وأن خاتمهم محمد (صلى الله عليه وسلم).
- وأن عددهم لا يعلمه إلا الله. منهم من أعلمنا الله بأسـمائهم في كتبه وبقيتهم أخفى الله عنا أســماءهم لحكمة هو يعلمها سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ١٩﴾ **النور١٩**

وقال الله تعالى ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا١٦٤﴾ **النساء ١٦٤**

ونؤمن بما سمى الله لنا في القرآن (خمسة وعشرون): فَقَدْ ذَكَرَالله تعالى أَسْمَاءَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَنَبِيًّاً مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ في قَوْلِهِ تعالى في سُورَةِ الأَنْعَامِ: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ٨٣ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحٗا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ٨٥ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ٨٦﴾.

وَالسَّبْعَةُ البَاقُونَ هُمْ:

19. سَيِّدُنَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

20. سَيِّدُنَا إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

21. سَيِّدُنَا هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

22. سَيِّدُنَا صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

23. سَيِّدُنَا شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

24. سَيِّدُنَا ذُو الكِفْلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

25. وَخَاتَمُهُمْ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وَقَدْ نُظِمَتْ أَسْمَاؤُهُمْ بِقَوْلِ القَائِلِ:

حَتْمٌ عَلَى كُلِّ ذِي التَّكْلِيفِ ❁❁❁ لِأَنْبِيَاءٍ عَلَى التَّفْضِيلِ قَدْ

فِي تِلْكَ حُجَّتُنَا مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ ❁❁❁ مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ وَيَبْقَى سَبْعَةٌ
إِدْرِيسُ هُودٌ شُعَيْبٌ صَالِحٌ ❁❁❁ ذُو الْكِفْلِ آدَم بِالْمُخْتَارِ قَدْ

- (واليوم الآخر): يوم القيامة وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده. والقدر الواجب المجزئ أن يؤمن العبد بأن الله جعل يوما يحاسب فيه الخلائق كلهم بعد أن يعيدهم ويبعثهم من قبورهم، ويشمل ثلاثة أمور هي:
  1. الإيمان بالبعث.
  2. الإيمان بالحساب والجزاء.
  3. الإيمان بالجنة والنار وما فيهما من نعيم وعذاب.

ثم بعد ذلك يتبع الإيمان التفصيلي بكل ما علم به بدليله.

- (والقدر خيره وشره): القدر يطلق ويراد به التقدير السابق لما في علم الله، أي تقدير الله للأشياء وفق ما سبق به علمه و اقتضته حكمته ويطلق ويراد به القضاء وهو المقدور الذي قضاه الله وقدره على النحو الذي علمه وهو مراد الشيخ رحمه الله في كلامه.

والمطلوب أن نؤمن بالقدر خيره وشره أي بالمقدور خيره وشره، أما القدر الذي هو تقدير الله كله خير. وقد يكون بالنسبة إلى العبد فيه شيء من الشر، وأما الله ففعله كله خير، ولا ينسب الشر إليه إلا من جهة الخلق والحكمة؛ ومراتب الإيمان بالقدر أربع هي:

1. الإيمان بالعلم ومضمونه أن الله بكل شيء عليم.
2. الإيمان بالكتابة، وأن مقادير الأشياء كلها مكتوبة في اللوح المحفوظ.
3. الإيمان بعموم المشيئة، ما من شيء في السماوات والأرض إلا كائن بإرادة الله ومشيئته.

4. **الإيمان بعموم الخلق، ما من شـيء في السـماوات ولا في الأرض إلا والله خالقه ومدبـره ومالكه فما ثم إلا خالق ومخلوق وكل ما سوى الله مخلوق.**

وقد نظمها أحدهم: "علم كتابة مولانا مشـيئته *** وخلقه وهو إيجاد وتكوين"

واختلف أهل العلم في الفرق بين القضاء والقدر على ثلاثة أقوال وهي:

- **أن القضاء والقدر مترادفان، سئل الشيخ ابن باز رحمه الله: ما الفرق بين القضاء والقدر؟**
- **فأجاب: "القضـاء والقدر، هو شـيء واحد، الشـيء الذي قضـاه الله سابقاً، وقدره سابقاً، يقال لهذا القضاء، ويقال له القدر[1]"**
- **وذهب بعضهم إلى أن القضاء سابق على القدر.**
- **فـالقضـــاء هو مـا علمـه الله وحكم بـه في الأزل، والقـدر هو وجود المخلوقات مو افقة لهذا العلم والحكم.**
- **قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "قال العلماء: القضـــاء هو الحكم الكلي الإجمـالي في الأزل، والقـدر جزئيـات ذلـك الحكم وتفـاصـــيلـه" انتهى.**
- **وقال في موضـع آخر (149/11): "القضـاء الحكم بالكليات على سـبيل الإجمال في الأزل، والقدر الحكم بوقوع الجزئيات لتلك الكليات على سبيل التفصيل" انتهى.**

[1] بحثت عن القائل ونسبته اليه لتمام الفائدة ولتحصيل البركة.

والقول الثالث: هو أنهما إذا اجتمعا تفرقا وإذا تفرقا اجتمعا. قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

" القدر في اللغة؛ بمعنى: التقدير؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[القمر: 49]، وقال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المرسلات: 23]. - وأما القضاء؛ فهو في اللغة: الحكم.

ولهذا نقول: إن القضاء والقدر متباينان إن اجتمعا، ومترادفان إن تفرقا؛ على حد قول العلماء: هما كلمتان: إن اجتمعتا افترقتا، وإن افترقتا اجتمعتا. فإذا قيل: هذا قدر الله؛ فهو شامل للقضاء، أما إذا ذكرا جميعًا؛ فلكل واحد منهما معنى. فالتقدير: هو ما قدره الله تعالى في الأزل أن يكون في خلقه. وأما القضاء؛ فهو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير، وعلى هذا يكون التقدير سابقًا.

قال الشيخ رحمه الله **الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ**

رُكْنٌ وَاحِدٌ، وهو: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ). وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ **[النحل: 128]. وقَوْلُهُ تعالى:** ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ **[الشعراء: 217 ــ 220]. وقَوْلُهُ تعالى:** ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ **[يونس: 61].**

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّـنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْـهُورُ: عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ. رضي الله عنه ـ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إلى النَّبِيِّ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإسلام فَقَالَ: (أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا). قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإيمَانِ. قَالَ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ). قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ). قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: (مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ). قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: (أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ). قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: (يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟). قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم).

- الإحسان: ضده الإساءة، من أَحْسَنَ يُحْسِنُ إِحْسَانًا أي جاء بفعل حسن.
- قال الله عزّوجل: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ البقرة.

۱۱۲ **وقد يكون الإحسان في القول أيضا قال الله عزّوجل:** ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴿٨٣﴾﴾ **البقرة ٨٣.**

وقال الله عزّوجل: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴿٥٣﴾﴾ **الإسراء ٥٣.**

والإحسان نوعان:

- **إحسان العبد في عبادته لربه عزّوجل: وذلك من خلال إتيانها على الصفة المطلوبة المرضية على أكمل الوجوه وأحسنها، خالية من النقص والخلل وهذا النوع هو قصد المصنف** رحمه الله **في كلامه عند شرحه للمرتبة الثالثة وللإحسان.**
- **إحسان العبد إلى الخلق على مختلف درجاتهم ومقاماتهم قربا وبعدا منه: وتحقيق ذلك بذل المعروف والخير والنفع إلى كل من له صلة اجتماعية به، قربت أو بعدت وفيها يتفاوت مقدار الإحسان لهؤلاء، المحسن إليهم بحسب أهمية منزلتهم ومكانتهم لدى المحسن وفق قاعدة الأقرب فالأقرب والأهم فالمهم، فيكون في طليعة هؤلاء الوالدان الكريمان. ثم من بعدهم من يليهم. قال ربي عزّوجل:** ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴿٢٣﴾﴾ **الإسراء ٢٣، ولذلك يعظم حق**

المحسـن إليه بسـبب موقعه وحقه ونفعه. وذلك بحسـب إيمان المحسن وإخلاصه. والسبب الداعي إلى هذا الإحسان.

فقول المصنف رحمه الله: الإحسان رُكْنٌ وَاحِدٌ، وهو: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ). الظاهر أن الشيخ رحمه الله جعل الإحسان ركنا واحدا كما رآه. وقد عدّ كثـيـر من أهل العلم ركن الإحسـان على مقامين متمايزين متكاملين سَـمّوا المقام الأول: مقام المشـاهدة وسَـمّوا الثاني: مقام المراقبة.

- مقام المشـاهدة: وهو المعنى المتضـمن في قول المصـنف رحمه الله في تعريف الإحسـان: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ويبدو أنه مقتبس من حديث رسـول الله صلى الله عليه وسلم المشـهور. بحديث جبـريل عليه السلام عندما سـأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإحسـان. فأجاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم ﴿أن تعبد الله كأنك تراه﴾.
- وتحقيق هذا المقام: يحصل عند
  - ممارسة العبد لعبادة ربه تعالى .
  - و إتقان طاعته.
  - وذلك على مقتضى مشاهدة العبد لربه تعالى بقلبه.
  - من خلال قوة إيمانه، ونفاذ بصيرته واستشعار قربه.
  - فيصـيـر الغيب عنده كالعيان، فيجتهد في إخلاص عبادته للديان. يـرجو منه العفو والغفران ويأمن منه النجاة من النيـران والدخول إلى الجنان بصحبة أهل الإيمان.
- والمشـاهدة المقصـودة هنا في كلامنا: هي مشـاهدة الصـفات الإلهية، وما تضـمنته من معـان و آثـار. لا مشـاهـدة الـذات كمـا يزعم أهـل الزيغ

والانحراف والضلالة، من أصحاب الفرق والطوائف التـي ضلت طريق السلف الصالح في فهم هذه المسألة وغيـرها من مسائل الاعتقاد الحق كالصوفية والطرقية والخرافية ونحوهم.

- فإن العبد كلما عظم علمه وكمل يقينه بشـهود آثار صـفات الله تعالى المثلى. ومعاني أسمائه الحسنى:
  - زاد اسـتشـعاره بمراقبة ربه تعالى له والنظر أحواله كلها باطنها وظاهرها.
  - ويسمع أقواله كلها سرها وعلانيتها وما خفي منها.
  - وبذلك يزداد العبد همة ونشاطا في إحسان عبادته لربه تعالى أينما حل و أينما ارتحل، وعلى أي حال كان.
- ويتفاوت أصحاب هذا المقام بتفاوت:
  - درجات إحسانهم.
  - و إتقانهم لعبادة ربهم من جهة كمال الإيمان، وقوته.
  - ونفوذ البصيرة.
  - وتمام اليقين في الإحسان.
- فقد جاء في حديث ابن عمر ﷺ الذي رواه الإمام النسـائي رحمه الله في الكبرى ﴿كتاب الرقائق﴾ كما في ﴿التحفة﴾ برقم (481/5)، وأخرجه أيضا أبو نعيم رحمه الله في ﴿الحلية﴾ بـرقم (115/6).وإسناده صحيح. قال ابن عمر. أخذ رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ببعض جسـدي. فقال: اعْبُدِ اللهَ كأَنَّكَ تَراه، وكُنْ في الدُّنيا كأَنَّكَ غَريبٌ، أو عابِرُ سَبيلٍ.
- وخرج الطبـراني في حديث أنس رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله صـلى الله عليه وسـلم. حدثني بحديث واجعله موجزا فقال صـلى الله عليه

وسلم: صَلِّ صلاةَ مودِّعٍ كأنَّك تراهُ فإن كنتَ لا تراهُ فإنَّهُ يراكَ أخرجه الطبراني في الأوسط كما في المجمع برقم (229/10). وهو حديث ابن عمر ﷺ. لا من حديث أنس رضي الله عنه كما قال الهيثمي رحمه الله وغيره. وقال الهيثمي رحمه الله وفيه من لم أعرفهم.

- فمقام المشاهدة: يعد لب الإحسان وجوهره وهو أعلى المقامات وأسمى الدرجات في ركن الإحسان لا يناله إلا:
  - من أخلص كُلَّه لله طاعةً واستجابةً واستسلامًا على مستوى مخبره ومظهره وقاله وحاله.
  - وجعل همه الله تعالى ومنتهى أمله رضاه عزّوجل.
  - راجيًا صفحه وعفوه.
  - طامعا في رحمته ومغفرته.
  - آملا في دخول جنته والتمتع بنعمها الخالد المقيم.
  - وذلك هو دأب الكُمّلِ من عباده الخُلّص من خلقه وهم الأنبياء والرسل عليهم السّلام ثم من يلونهم من أهل الجد والمقاربة والتسديد ومحاولة بلوغ كمال الأمر وتمامه.
- قال ربي تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ۝٣٨ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۝٤١ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ۝٤٢ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٤٣ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٤ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ۝٤٥ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ۝٤٧﴾ الصافات ٣٨-٤٧

- **مقام المراقبة وهو دون المقام الأول في الرتبة بالنسبة لركن الإحسان، وهو المعنى المشار إليه في كلام المصنف** رحمه الله **. فإن لم تكن تراه فإنه يراك. والمعلوم أن هذا هو الشق الثاني من إجابته** صلى الله عليه وسلم **على سؤال جبريل** عليه السلام **أخبرني عن الإحسان؟**
- **ومقصود هذا المقام يُفهم من خلال مدلول معنى المراقبة الذي أشار إليه أهل العلم أثناء شُروحاتهم لحديث جبريل** عليه السلام.
- **ومعناه أن العبد إن لم يتمكن من تواجده في مقام المشاهدة فيعبد الله تعالى كأنه يراه فيخافه ويخشاه ويراقبه في عبادته، ابتداءً و انتهاءً إن لم يستطع أن يرتقي إلى هذه الدرجة العلية، فلا أقل من أن يكون في المقام الذي هو دون الأول وهو مقام المراقبة.**
- **أن يستحضر مراقبة الله له وهو يتلبس بطاعته ويتعبد له بشتى أنواع العبادة، ويعلم يقينا أن الله تعالى الذي مكنه من عبادته هو مطلع عليه عالم بسريرته وعلانيته، يسمع أقواله ويعلم أفعاله، بل ويعلم وساوس نفسه وخطرات قلبه وما دون ذلك سواء كان خاليا أو مع الناس.**
  - **قال ربي تعالى:** ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ غافر١٩.
  - **وقال ربي تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٥﴾ آل عمران ٥.
  - **وقال ربي تعالى:** ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧﴾ طه ٧ .
  - **وقد جاء عن بعض السلف أنه قال:** من عمل لله على المشاهدة فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص[1].

[1] ذكره ابن رجب في كتابه جامع العلوم والحكم ص 169

- ويـرى بعض أهل العلم أن الإحسان هو نهاية الإخلاص في عبادة الله تعالى المتمثل في الانقياد بالطاعة على أكمل وجوهها و أتم صورها.
- ويعد الإحسـان أعلى مراتب الدين وأعمُّها من جهة نفسـها. وأخصـها من جهة أصحابها. كما علمنا أن الإيمان أعمّ من جهة نفسه وأخص من جهة أصحابه.
- ومن ثمة فإنه يقال كل محسـن مؤمن مسـلم، وليس كل مسـلم مؤمنا محسـنا، وكلما ذكر الإحسـان وأطلق دخل فيه معنى الإيمان والإسـلام، وليتضح الأمر أكثر فإن بعض أهل العلم يعبـرون عن هذه المراتب الثلاث في الدين الإسلام في الدين الإسلام والإيمان والإحسان بالدوائر، المحيط بعضها ببعض والمتباينة ضيقا و اتساعا وكل دائرة تحمي أصحابها.
  - فـأوسـع هذه الدوائر دائرة الإسـلام وأهلها كُثُرٌ، وهي بوابة الدين ومدخل الإسلام.
  - وتليها دائرة الإيمان في السعة وأهلها أقل.
  - وتليها دائرة الإحسان وهي أضيق الدوائر وأهلها أقل القليل.
  - وقد ينتقل المرء في هذه الدوائر صعودا ونزولا بحسـب قوة إسـلامه وقوة إيمانه وكمال طاعته وإحسانه.
  - فإذا خرج العبد من هذه الدوائر كلها فإنه ينتقل من الإسـلام إلى غير ملة الإسلام عياذًا بالله تعالى وليس بعد الكفر ذنب.

ولا يخفى على ذي بصيـرة أن أهل الإحسـان يجزون بسـبب إحسـانهم جزاء موفورا. ويمنحون أجرا كبيـرا وثوابا جزيلًا ويجنون ثمرات إحسانهم في الدنيا وفي الآخرة كثـيـرة لا مقطوعة ولا ممنوعة. و أنا أذكر لك بعضها تحفيزا لك وشحذا لهمتك وترغيبا لك.

أولا: أهل الإحسان ينالون محبة الله تعالى أصالة ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعا قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾ **البقرة ١٩٥**

ثانيا: أهل الإحسان يزيدهم الله من فضله و إنعامه. قال ربي تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ٥٨﴾ **البقرة ٥٨**

ثالثا: أهل الإحسان يكونون في معية ربهم بالنصر والتأييد والتسديد. قال ربي تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ١٢٨﴾ **النحل ١٢٨.**

رابعا: أهل الإحسان تنالهم رحمة الله الواسعة. وتقرب منه. قال ربي تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٥٦﴾ **الأعراف ٥٦.**

خامسا: أهل الإحسان ينالون عفو الله عنهم ومغفرته لهم. قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٩١﴾ **التوبة ٩١.**

سادسا: أهل الإحسان أجرهم عند ربهم مضمون محفوظ لا يضيع منه شيء. قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ١١٥﴾ **هود ١١٥.**

سابعا: أهل الإحسان يحصلون على ما يشاءون من خيرات ونعم عند ربهم. قال الله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٤﴾ الزمر٣٤

ثامنا: أهل الإحسان تكفّر عنهم سيّئاتهم وتبدّل حسنات. قال الله تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٥﴾ الزمر٣٥.

ثم ساق **المصنف** رحمه الله **الادلة والشواهد: لبيان تحقيق هذا الركن المهم من الدين والمنزلة العالية بدرجتيها المتفاوتتين ومقاميها المتميزين.**

فقال رحمه الله وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: 128]. **ووجه الاستدلال من هذه الآية الكريمة أن الله تعالى ذكرها هنا معيته لعباده الذين هم محسنون في اعتقادهم وقولهم وعملهم مسارعون إلى طاعة ربهم ومتابعة نبيهم** صلى الله عليه وسلم. **فأخلصوا بذلك عبادة ربهم وجاءوا بها على الوجه الأكمل الأتم. وهذه المعية المذكورة في الآية الكريمة في هذا الموطن تقتضي أمرين متلازمين متكاملين:**

أحدهما: أن الله تعالى مطلع على عباده المحسنين عالم به محيط بأحوالهم الباطنة والظاهرة لا يفوته تعالى شيء منها لا مثقال الذر أو أقل من ذلك سواء ما يجري على ألسنتهم أو يجول في خواطرهم أو توسوس به أنفسهم كل ذلك تحت سمعه وبصره وعلمه عزّوجل أليس هو القائل عزّ وجل: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦﴾ ق

١٦. **وقال عزّوجل** ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ **المجادلة** .٧

- **والثاني: أنه عزّوجل مع المحسنين ينصرهم ويؤيدهم ويؤازرهم ويسدد خطاهم ويحفظهم ويرعاهم. ويظهرهم على عدوهم وهذه المعية معية خاصة بأهل الإيمان والإحسان والتقوى.**
- **وها هنا نكتة في لفظة محسنون. الواردة في الآية جاءت على صيغة اسم الفاعل وهو يعمل عمل فعله يدل على الحدث والاستمرار والمحسن من أحسن وداوم على إحسانه قالا وحالا.**

- **ذكر المصنف** رحمه الله **الدليل الثاني فقال وقَوْلُهُ تعالى:** ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء: 217 ـ 220]. **ووجه الاستدلال من هذه الآية الكريمة أن الله عزّوجل ذكر رؤيته لنبيه** صلى الله عليه وسلم **حال كونه متلبسًا بعبادته في صلاته أثناء ركوعه وسجوده، منفردا أو مؤتما به أصحابه أو خارج صلاته، حيث يكون في تلاوة كلام ربه تعالى أو في أي عمل من أعماله** صلى الله عليه وسلم **فهو تعالى يرى نبيه** صلى الله عليه وسلم **ومن معه في تقلبهم وفي عباداتهم، وفي صحيح أحوالهم ويو افيهم ويحصي عليهم حركاتهم وسكناتهم، وكل ما يأتون أو يظهرون من أعمالهم. وهذا فيه إشارة إلى المعنى المتضمن الشق الثاني في تعريف الشيخ** رحمه الله

للإحسان وهو قوله: فإن لم تكن تراه فإنه يراك وهو ذاته المأخوذ من حديث جبريل عليه السلام في إجابته صلى الله عليه وسلم على معنى الإحسان.

- **ثم ساق رحمه الله تعالى الدليل الثالث فقال: وقَوْلُهُ تعالى:** ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ **[يونس: 61]. ووجه الاستدلال من هذه الآية الكريمة المتضمن في قوله تعالى** ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ **وشهود الله تعالى لما يعمله العباد من مفردات معاني رؤيته عزّوجل لهم ولأعمالهم. وعلمه بأحوالهم كلها بواطنها وظواهرها خفيها وجليها كثيرها وقليلها قريبها وبعيدها لا يغيب عنه شيء منها ولا يعزب عنه مثقال ذرة منها فهو محيط علما وسمعا وبصرا بجميع شؤون حياتهم وعباداتهم من تلاوة للقرآن العظيم وصلاة وذكر وغيرها من الطاعات والقربات وغيرها من الأعمال المتصلة بحياتهم فإنه لا يحدث حادث ولا يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن ولا يظهر خفي ولا يخفى ظاهر إلا وهو يُبصره ويسمعه ويعلمه. قال الله تعالى:** ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤﴾ **الأنعام ٣-٤**

- **واعلم رحمني الله و إياك أن مرتبة الإحسان تعظم بقدر عظم مراقبة العبد لربه تعالى . في عبادته إياه، فتشمل جميع أحواله وكذلك تضعف بضعف مراقبته لربه تعالى .**
- **بسبب الصوارف والمعيقات والمُشغلات التي تكون بين العبد وبين إحسانه في عبادته لربه تعالى . ومن وهنا يكون حظ العبد في تحقيق ركن**

الإحســان بحســب قوة رقابته ومر اقبته لله تعالى وضــعفها. ولذلك يقرر أهل العلم أن من أسباب ارتقاء هذه المرتبة السنية العالية وهي الإحسان أن يُقبل العبد على تعلم العلم النافع المفضــي إلى العمل الصــالح. ويشترط في هذا العلم أن يكون مستمدا من:

- نصوص الكتاب.
- والسنة الصحيحة.
- آثار السلف الصالح.
- وكذلك باستصحاب النية الصادقة الخالية من شوائب الرياء والسمعة، والشهرة، وحب الظهوروالمدح.
- ثم حسن العمل القائم على الإخلاص والاتباع.
- والتبرؤ من الشرك والابتداع.
- وإن يبتغي بذلك وجه الله تعالى .
- ومع ذلك كله فإنه أحرى بالعبد أن يقربتقصيره في حق ربه تعالى .
- وكذا ضعفه أثناء القيام بعبادته تعالى .
- وما تقصيره أيضا في آداء حقوق الخلق.
- ثم ينبغي للعبد الراغب في إحســان عبادة ربه ألا يألو جهدا في التوبة إلى الله تعالى والإنابة إليه
- وملازمة إحسان القول والعمل ما وجد إلى ذلك سبيلا.
- وشأن المؤمن الموحد السائرعلى درب سلفه الصالحين أن ينظر إلى ما هو أصــلح و أنفع له في دنياه وفي أُخراه. فإن كل ما كان أصلح و أنفع في عبادته كان أفضل و أكمل.

- ويتحقق ركن الإحسان في العبادة بأمرين.
  - إحداهما: الإتيان بالواجبات وتكميلها وتحسينها بجنسها من نو افل العبادات المستحبات. وذلك في باب الطاعة المختلفة.
  - والثاني: اجتناب المنهيات على مختلف درجاتها كبائرها صغائرها، وتكميل ذلك بالبعد عن المكروهات، والمشتبهات في الأمورغير البينة الواضحة.
  - ويجمع ذلك كله: موافقة الظاهر للباطل، فيحصل للعبد المطيع بذلك الجمع بين حسن السريرة وجمال السيرة.
- وأما الإحسان إلى الخلق فإنه يأتي أيضا على مرتبتين:
  - إحداهما: كف الأذى عن الخلق بكل أنواعه ووسائله اختيارا لا اضطرارا.
  - والثاني: تحمل أذى المؤمنين منهم والصفح عنهم عند المقدرة والتجاوزعن إساءتهم ومقابلة ذلك كله بالإحسان إليهم ما أمكنه الأمروتيسرت له الوسيلة تحقيقا للمصلحة والراجحة.
- ثم بعد ذلك أورد المصنف رحمه الله الشواهد القرآنية عززذلك بإيراد دليل آخرمن السنة فقال وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَبنِ الْخَطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُالسَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إلى النَّبِيِّ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإسلام فَقَالَ: (أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ

اسْـتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَـبِيلًا). قَالَ: صَـدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْـأَلُهُ وَيُصَـدِّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَـانِ. قَـالَ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِـاللهِ، وَمَلائِكَتِـهِ، وَكُتُبِـهِ، وَرُسُـلِـهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَـرِّهِ). قَالَ: صَـدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ.

قَالَ: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ). قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّـاعَةِ. قَالَ: (مَا الْمَسْـؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّـائِلِ). قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: (أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّـاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ). قَالَ: فَمَضَـى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: (يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّـائِلِ؟). قُلْنَا: اللهُ وَرَسُـولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم).

- ويبدو أن الشـيخ رحمه الله في تجلية الحق وبيانه لم يكتف بسـوق أدلة الكتاب بل قوى استدلاله على ذلك بذكره حديث جبـريل عليه السلام. والذي تضمن تعريف ركن الإحسـان من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ردا على سؤال جبـريل عليه السلام عن الإحسان؟ وهو دليل صحيح من السـنة الثانية. فقد أخرجه مسـلم في صـحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضـي الله عنه وهو مما تفرد به مسـلم رحمه الله عن البخاري رحمه الله أما الرواية المتفق عليها فإن من حديث أبي هريـرة رضـي الله عنه لكن أكثر أهل العلم لا يذكرونها لأنها تخلو من ذكر ركن الإيمان بالقدر في تعريف الإيمان. وذلك عند الاستدلال بهذا الحديث.
- والشاهد الذي استدل به الشيخ رحمه الله على ركن الإحسان هو المذكور في إجابته صلى الله عليه وسلم عن سؤال جبـريل عليه السلام فأخبـرني عن الإحسان؟ قَالَ: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

فجاء التفسير النبوي لمعنى الإحسان بعبارة واضحة جلية قد بينت الغرض وبلغت الغاية ودلت على المقصود ولعظم شأن هذا الحديث الشريف اعتبره كثير من أهل العلم أنه أم السنة كما أن في القرآن الكريم أم القرآن وهي سورة الفاتحة.

- ويسمى هذا الحديث كذلك لأنه في الحقيقة عند النظر والتأمل نجد أن جميع أحاديث السنة ترجع في مضامينها ومعانيها إلى هذا الحديث الجليل القدر العظيم الشأن.

وقد جاء هذا الحديث بأسلوب حواري بين معلم وطالب، بين سائل ومسؤول في مجلس طلب علم ومذاكرة، الغرض منه تعليم الحاضرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دينهم وذلك ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث بقوله: قَالَ: (هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم).

- والحديث تضمن أصول الدين ودرجاته وأهم مسائله المتعلقة بالاعتقادات الباطنة والأقوال والأعمال الظاهرة. وما يتصل بأمور الغيب وشرائط الساعة وغيرها.
- ومراد الشيخ رحمه الله بالاستدلال بهذا الحديث ما جاء في بيان معنى مرتبة الإحسان في قوله صلى الله عليه وسلم قَالَ: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ). وقد مرّ قريبا شرح ذلك وتأكيدا لما مرّ من الكلام أن الإحسان المقصود هو إيقاع العبد عبادته لربه تعالى على الوجه الأكمل المطلوب. من جهة إخلاصها لله تعالى ومراعاة تكميلها وتحسينها وتنقيتها من كل شائبة وكدر.
- وقد جاء الإحسان في القرآن العظيم:

۞ **مرة مقرونا بالتقوى فقال الله تعالى:** ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ المائدة ٩٣

۞ **وتارة يأتي مقرونا بالإسلام فقال الله تعالى:** ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ لقمان ٢٢

۞ **ومرة أخرى مقرونا بالعمل الصالح كما قال الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ الكهف ٣٠

۞ **وقوله صلى الله عليه وسلم في بيان ركن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه. اشتمل على شطرين**

- **الشطر الثاني منه قوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك. جاء تعليلا للشطر الأول قوله اأن تعبد الله كأنك تراه. ويفهم من ذلك أن العبد أُمر بمراقبة ربه عزّوجل أثناء عبادته له واستحضار قربه عزّوجل منه.**

۞ **متى كان العبد يرى ربه بقلبه ويستشعر قربه منه، فإن كان هذا لا يتأتى له وقد يعسر عليه ويشق على نفسه أن يتمثله، فإنه يمكنه أن يستعين على ذلك بتحقيق المقام الثاني مقام المراقبة ويستحضر مراقبة الله عزّوجل له والنظر إليه والعلم بجميع شؤونه وأحواله لا يغيب عنه منها شيء فيحمله ذلك على الإقبال**

على طاعة ربه عزّوجل وإحسان عبادته له في السر والعلن في الخلوة والجلوة فلا يلتفت إلى غيره بقلبه وجوارحه ولا يستشعر غيره عزّوجل وقد جاء في حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه الذي رواه الإمام الترمذي رحمه الله وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في سنن الترمذي برقم (6863) وفيه: ﴿وإنَّ الله أمركم بالصَّلاة، فإذا صَلَّيتُم فلا تَلتَفِتوا؛ فإنَّ اللهَ يَنصُبُ وجهَه لوجهِ عبدِه في صلاتِه ما لم يَلتفِتْ﴾[1]. وجاء في بعض قول الحكماء قوله: ﴿من وجد الله فقد وجد كل شيء ومن فاته الله فاته كل شيء﴾

[1] الحديث بطوله: "إنَّ اللَّهَ أمرَ يحيى بنَ زَكَرِيَّا بخمسِ كلماتٍ أن يعملَ بِها، ويأمرَ بني إسرائيل أن يعمَلوا بِها، و إنَّهُ كادَ أن يُبْطِئَ بِها فقال عيسى: إنَّ اللهَ أمَرَك بخَمسِ كلماتٍ؛ لِتَعمَلَ بها وتَأمُرَ بَني إسرائيلَ أن يَعمَلوا بها، فإمَّا أن تَأمُرَهم، وإمَّا أنْ آمُرَهم، فقال يحيى: أخشى إن سبَقتَني بها أن يُخسَفَ بي أو أُعذَّبَ، فجمَع النَّاسَ في بيتِ المقدِسِ، فامتَلَأ المسجدُ وقعَدوا على الشُّرُفِ، فقال: "إنَّ اللهَ أمَرني بخَمسِ كلماتٍ أن أَعمَلَ بِهنَّ، وآمرُكم أن تَعمَلوا بهنَّ: أوَّلُهنَّ أن تَعبُدوا اللهَ ولا تُشرِكوا به شيئًا، وإنَّ مَثلَ مَن أشرَكَ باللهِ كمثَلِ رجلٍ اشترى عبدًا مِن خالصِ مالِه بذهَبٍ أو ورِقٍ، فقال: هذه داري وهذا عمَلي، فاعمَلْ وأدِّ إليَّ، فكان يعمَلُ ويُؤدِّي إلى غيرِ سيِّدِه، فأيُّكم يَرضى أن يكونَ عبدُه كذلك؟! وإنَّ الله أمركم بالصَّلاة، فإذا صَلَّيتُم فلا تَلتَفِتوا؛ فإنَّ اللهَ يَنصُبُ وجهَه لوجهِ عبدِه في صلاتِه ما لم يَلتفِتْ، وآمرُكم بالصِّيامِ؛ فإنَّ مَثلَ ذلك كمثَلِ رجلٍ في عِصابةٍ معَه صُرَّةٌ فيها مِسكٌ، فكلَّهم يَعجَبُ أو يُعجِبُه ريحُها، وإنَّ ريحَ الصَّائمِ أطيبُ عندَ اللهِ مِن ريحِ المسكِ، وآمرُكم بالصَّدقةِ؛ فإنَّ مثَلَ ذلك كمثَلِ رجلٍ أسَره العدوُّ، فأوثَقوا يدَه إلى عنُقِه، وقدَّموه لِيَضرِبوا عُنقَه، فقال: أنا أَفْديه منكم بالقليلِ والكثيرِ، ففدَى نفسَه منهم، وآمُركم أن تَذكُروا اللهَ؛ فإنَّ مَثلَ ذلك كمَثلِ رجلٍ خرَج العدوُّ في أثَرِه سِراعا حتَّى إذا أتى على حِصنٍ حَصينٍ، فأحرَزَ نفسَه منهم، كذلك العبدُ لا يُحرِزُ نفسَه مِن الشَّيطانِ إلَّا بذِكْرِ اللهِ". قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم: و أنا آمرُكُم بخَمسٍ اللَّهُ أمرَني بِهنَّ، السَّمعُ والطَّاعةُ والجِهادُ والهجرةُ والجمَاعةُ، فإنَّهُ مَن فارقَ الجماعةَ قيدَ شبرٍ فقد خلَعَ رِبقةَ الإسلام من عُنقِهِ إلَّا أن يراجِعَ، ومن ادَّعى دَعوى الجاهليَّةِ فإنَّهُ من جُثى جَهَنَّم، فقالَ رجلٌ: يا رسولَ اللَّهِ وإن صلَّى وصامَ؟ فقالَ: وإن صلَّى وصامَ، فادعوا بدَعوى اللَّهِ الَّذي سمَّاكمُ المسلِمينَ المؤمنينَ، عبادَ اللَّهِ

الأصل الثالث:

***الأَصْلُ الثَّالِثُ*: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِـمٍ، وَهَاشِـمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ، وَلَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُون فى النبوة. نُبِّئَ بـ (اقْرَأْ)، وَأُرْسِلَ بـ (الْمُدَّثِّرْ)، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالَدْعُوة إلى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ **[المدثر: 1-7]. وَمَعْنَى:** ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ **: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إلى التَّوْحِيدِ.**

(وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣**): أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.** ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤﴾ **: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ.** ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ **: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إلى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إلى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَواتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إلى الْمَدِينَةِ، وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إلى بَلَدِ الإِسْلامِ.**

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إلى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إلى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝٩٧ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ

مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴿٩٩﴾ ۞وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةًۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴿١٠٠﴾﴾ **[النساء: 97-99]**.

وَقَوْلُهُ تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴿٥٦﴾﴾ **[العنكبوت: 56]**.

قَالَ الْبُغَوِيُّ ــ رحمه الله ــ: نزلت هَذِهِ الآيَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ: (لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، ولا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا).

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ ـ صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ. وَدِينُهُ بَاقٍ. وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ. بَعَثَهُ اللهُ إِلى النَّاسِ كَافَّةً، وَ افْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ **[الأعراف: 158]. وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى:** ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ **[المائدة: 3]**.

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ **[الزمر: 30، 31].**

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿۞مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝٥٥﴾) **[طه: 55]. وقَوْلُهُ تعالى:** ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨﴾ **[نوح: 17، 18]. وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٣١﴾ **[النجم: 31].**

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ **[التغابن: 7].**

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٦٥﴾ **[النساء: 165].**

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تعالى: ﴿۞إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾**[النساء: 165].**

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: 36].

وَ افْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ ـــ رحمه الله تعالى: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ. وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [البقرة: 256]. وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا إله إلا اللهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: (رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ).

وَاللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

- والمقصود بهذه المعرفة هنا هي تلك التي تقتضي العلم بالنبي صلى الله عليه وسلم من حيث نسبه الشريف، ولادته، نشأته وأخلاقه قبل بعثته ونبوته ورسالته ودعوته وجهاده وهجرته وسياسته وتربيته لأصحابه ومعاملته للمخالفين له.
- وهذا العلم متعين مطلوب من كل مسلم، يريد تحقيق معنى شهادة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنه يكمل بهذا العلم المعنى المتضمن في كلمة الشهادتين، حيث لا يصح له إسلام إلا بذلك، ثم يطالب بما يقتضيه مفهوم الشهادتين من صلاة وصيام وزكاة ونحوهما.
- ومعرفة النبي صلى الله عليه وسلم أمر واجب حتم لأنه صلى الله عليه وسلم يمثل الواسطة بين الله عزّوجل وبين الخلق في تبليغ دينه ورسالاته.

ثم إن المسـلم لا يتمكن من عبادة الله عزّوجل . ولا تطبيق شـرعه ولا متابعة نبيه صـلى الله عليه وسـلم إلا بعد معرفته له حق المعرفة. وكذلك لا يتأتى لمسـلم الجواب الصـحيح عن السـؤال الثالث من قبل الملكين الكريمين في قبره وهو من نبيك؟ إلا بعد هذه المعرفة الصحيحة المتكاملة به صـلى الله عليه وسـلم فكيف يتسـنى له الإخبار عنه وهو لا يعرفه ولا يدري عنه شيئا. ذلك ضرب من العبث والمحال ومن ثمة تعد معرفة النبي صلى الله عليه وسلم من أهم أركان الدين و أبرز أصوله و أقوى عمده التي يقوم عليها.

- بدأ المصنف رحمه الله بذكر نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم فقال: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وهاشم القريش.
  - أما اسمه محمد صلى الله عليه وسلم فقد قالت طائفة من أهل العلم بالأنساب والتواريخ والسير أن هذا الاسم لم يكن معروفا عند العرب ولم يسم به أحد قبله صـلى الله عليه وسـلم. والذي كان يعرف عند العرب هو اسم: أحمد وحَمْد.
  - وقال آخرون بل اسـم محمد عندهم لكن لا يطلق إلا على أفراد قليلين. اثنين أو ثلاثة ولم يكن هذا الاسم مشهورا عندهم.
  - كما أنه صـلى الله عليه وسـلم له أسـماء أخرى مثل أحمد والماحي والحاشر والعاقب وغيرها كما ثبت ذلك في الخبر الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم فقد جاء في الصحيحين من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لِي خَمْسَةُ أَسْماءٍ: أنا مُحَمَّدٌ، وأَحْمَدُ، و أنا الماحِي الذي يَمْحُو اللَّهُ بي الكُفْرَ، و أنا الحاشِرُ الذي يُحْشَرُ النَّاسُ علَى قَدَمِي، و أنا العاقِبُ.أخرجه

البخاري في كتاب المناقب باب ما جاء في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم. وقد فسر اسم العاقب في حديث صحيح معناه الذي لا نبي بعده.

- **أما اسم محمد وأحمد فقد ذكر في القرآن العظيم:**

- **فقال الله عزّوجل:** ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ الفتح ٢٩.

- **وقال الله عزّوجل:** ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ الصف ٦.

- **أما اسم محمد في اللغة فمعناه صاحب الخصال الحميدة الكثيرة التي يستحق أن يحمد عليها من الناس وهذا الأمر واقع له صلى الله عليه وسلم. فقد كثرت خلاله المحمودة وشمائله الطيبة منذ نشأته وحتى قبل بعثته. فحَمد قومه على ذلك حتى لقبوه بالصادق الأمين. قال فيه شاعر الإسلام حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه.**

وشق له من اسمه ليجله ❁❁❁ فذو العرش محمود وهذا محمد

- وقيل إن الذي سماه بهذا الاسم أعنى محمدًا هو جده عبد المطلب عند ولادته، رجاء أن يحمد في أهل السماء والأرض، وتكثر محبة الناس له وكان الأمر كذلك.
- وكان من عادة العرب قديما أنهم يراعون المعاني المتضمنة في الأسماء و آثارها في حياة المسمى به فكانوا يختارون الأسماء العسرة الصعبة لأبنائهم، عدة لأعدائهم. وتمنعا عليهم مثل اسم حرب وصخر وأسد... ونحو ذلك.
- بينما يختارون لغلمانهم وجواريهم أحسن الأسماء واليها وأسهلها رجاء المسارعة في تنفيذ أوامرهم وطاعتهم مثل سهل ورباح ونجيح ومطيع ونحوها.
- اقتصر المصنف رحمه الله على ذكر جدين اثنين في سياق نسبه الشريف. صلى الله عليه وسلم وهما عبد المطلب وهاشم.
  - أما عبد المطلب فاسمه شيبة الحمد على الصحيح. وقيل سمي بذلك لخصلة بيضاء في رأسه. وكان أحد سادات قريش وزعمائها لحكمته ولرجاحة عقله وحسن تدبيره للأمور، وفصاحة لسانه واشتهر بقيامه على خدمة الحجيج أيام الموسم وإطعام المساكين والفقراء، حتى كان يطعم الطير والوحوش في رؤوس الجبال. وكانت قريش تسميه الفياض، وهو يُمثل زعامة قومه، بني هاشم مات كافرا على الصحيح بمكة بعد الفيل بثماني سنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغ من العمر ثماني سنوات على الأصح.

- أما هاشم فاسمه عمرو وقيل سمي بهذا الاسم لأنه كان يهشم الخبز ويعد الثريد للحجيج أيام الموسم ويطعمهم وهو أول من سنّ لقريش رحلتي الشتاء والصيف وكان يجود بما عنده من الطعام على أهل الحاجة والفاقة، أيام السنوات العجاف حتى قال فيهم شاعرهم:

عمرو الذي هشم الثريد ❁❁❁ قوم بمكة مسنتين عجاف

سنت إليه الرحلتان كلاهما ❁❁❁ سفر الشتاء ورحلة الأصياف

وكانت له السقاية والرفادة على البيت الحرام مات بغزة أثناء إحدى رحلات الصيف وهاشم من قريش.

- وقريش أشرف قبائل العرب نسبا و أنقاهم أصلا وفرعا وبطنا وفخذا. وأصل قريش من قبيلة كنانة مضرية عدنانية. ترجع إلى ذرية إسماعيل بن إبراهيم. عليهما السّلام.
- وكان النبي صلى الله عليه وسلم يشيد بقريش، ويفتخر بنسبه إليها من حيث طهارة أصلها ونقاوة سلالتها وكان يدعو لها بما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي وصححه الشيخ الألباني رحمه الله برقم (1178) عن يحيى بن سعيد عن أبيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مَن يُرِدْ هَوانَ قُرَيشٍ، أهانَهُ اللهُ.
- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللَّهمَّ أذقتَ أوَّلَ قريشٍ نَكالًا فأذِق آخرَهم نوالًا [1] اخرجه أحمد رحمه الله

[1] قُريشٌ هي قَبيلةُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم، وكانتْ عَزيزةً مَنيعةً على الإسلامِ، حتَّى أجبَروا النَّبيَّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم ومَن أسلَم معَه على الخروجِ مِن مكَّةَ، وظلَّت على تلك الجاهليَّةِ حتَّى فتحِ مكَّةَ، وفي هذا الحديثِ يَدْعو النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم لقُريشٍ، فيقولُ: "اللَّهمَّ أذَقْتَ أوَّلَ قُريشٍ نكالًا"، أي: عُقوبةً، وقد فُسِّرَتْ تلك العقوبةُ بما كان مِن هَزائِمَ مِن غَزواتِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم علَيها، وقيل: القَحْطُ والغَلاءُ، وذلك يومَ أنْ كانوا كُفَّارًا، "فأذِقْ آخِرَهم نَوالًا"، أي: إنعامًا وعطاءً، وذلك بعدَما أسلَمَت

والترمذي رحمه الله وقال حديث حسن صحيح وصححه الشيخ الألباني رحمه الله .

- وأما عند النسابة من أهل التواريخ والسير فإن العرب قسمان: عرب عاربة وعرب مستعربة.
  - العرب العاربة: هم القحطانيون، سكان أهل اليمن جنوب جزيرة العرب والعربية لغتهم الأصل. تكلموها منذ نشأتهم ولكن باد أكثرهم.
  - العرب المستعربة: هم العدنانيون سكان أهل الحجازوغيرهم من العرب وهم فرع عن العرب العاربة أي عن القحطانيين، أخذوا العربية عنهم ويرجع أصلهم إلى ذرية إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السّلام وسموا بالعرب المستعربة، لأنهم خالطوا القحطانيين وتفتقت ألسنتهم بالعربية بسبب ذلك. وأكثر قبائل العرب المعروفة منهم وهم منتشرون في أرض الحجازوغيرها.

وقد جاء عن ابن عباس[1] رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أَوَّلُ مَنْ فُتِقَ لِسَانُهُ بِالْعَرَبِيَّةِ الْمُبَيَّنَةِ إسماعيلُ، وهُوَ ابنُ أربعَ عشرةَ سنةٍ[2]

قريشٌ، قيل: وقد ظهَرَت بـرَكةُ دُعاءِ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم لهم؛ فقد أُوتوا مِن الخيـرِ في النَّعَمِ والمُلكِ ما لم يَكُنْ لمن قبلَهم.

وفي الحديثِ: علَمٌ مِن أعلامِ نُبوَّتِه صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم.

وفيه: فَضلٌ ومنقبةٌ لقُريشٍ.

[1] هو في صحيح الجامع بـرواية ابن عباس رضي الله عنه وأما رواية علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهي عند الشيرازادي في كتاب الألقاب رواية عن ابنه الحسين نقل ذلك الإمام السيوطي في المزهر.

[2] رواه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في صحيحه الجامع برقم (2581)

- والمعلوم أن إسماعيل قد تركه أبوه إبـــراهيم عليه السّلام رفقة أمه هاجر بواد غيـــر ذي زرع بمكة وذلك بأمر الله تعالى وجاءت قبيلة جرهم القحطانية اليمنية ونزلت على أم إســماعيل هاجر وشــاركوها ماء زمزم ونشــأ إســماعيل بينهم وأخذ العربية عنهم وصار منهم.
- فهو صـلى الله عليه وسـلم من العرب أصـالة فهو عربي هاشـمي قرشي أبوه عبد الله بن عبد المطلب ويمثل أباه الأدنى وإسماعيل بن إبـــراهيم عليه السّلام أبوه، ويمثل أباه الأعلى وهما الذبيحان قد جاء في حديث ضـعيف السـند صـحيح المعنى أنه رُوى عنه صلى الله عليه وسلم قوله: أنا ابن الذبيحين[1]

- فنسـبه صـلى الله عليه وسـلم من أشـرف أنسـاب العرب وأطهر أعراقها و أنقى أحسابها، تقلب في أصلاب طاهرة ونُطف نقية كما أخبـــر هو صلى الله عليه وســـلم عن نفســـه بذلك. فقال: خرجتُ من نكاحٍ ولم أخرجْ من سـفاحٍ من لدن آدمَ إلى أن ولدَني أبي وأمي لم يصبْني من سـفاحِ الجاهليةِ شيءٌ[2]
- وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه ذكر اختـــيار الله تعالى واصطفاءه له فقد روى الصحابي الجليل و اثلة بن الأسقع الليثـي أبو فسيلة رضي الله عنه عن رســول الله صـلى الله عليه وســلم أنه قال: إنَّ اللَّهَ اصْـطَفَى

[1] الراوي: | - المحدث: الألباني | المصـدر: السـلسـلة الضـعيفة الصـفحة أو الرقم:| 331 خلاصـة حكم المحدث: لا أصل له بهذا اللفظ

[2] وروى هذا الحديث مرسل من طرق عديدة حسنه الشيخ الألباني في كتابه صحيح الجامع الصغيـــر. برقم 3318-322.

كِنانَةَ مِن ولَدِ إسْماعِيلَ، واصْطَفَى قُرَيْشًا مِن كِنانَةَ، واصْطَفَى مِن قُرَيْشٍ بَنِي هاشِـمٍ، واصْـطَفانِي مِن بَنِي هاشِـمٍ[1].وجاء في رواية عن الحاكم في مستدركه: فأنا مزية بني هاشم من خيار إلى خيار.

- وما دمنا بصدد الحديث عن نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم رغبة في إفادة طالب العلم يحسن بنا أن نسوق في هذا الموطن نسبه الشريف كاملا إلى عدنان. حيث وقع اتفاق علماء الأنساب والتواريخ والسير على هذا النسب إلى عدنان ثم اختلفوا في نسبه بعد ذلك.
- فهو: محمد صلى الله عليه وسلم بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهربن مالك بن النضربن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدن بن عدنان الذي ينتهي نسبه الشريف إلى النبي إسماعيل بن خليل الله ابراهيم عليهما السلام والصحيح أن جميع قبائل العرب في الحجاز تنتمي إلى هذا النسب المذكور قريبا. ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه وغيره في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ الشورى ٢٣ لم يكن بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم نسب يتصل إليهم[2].

[1] أخرجه مسلم في صحيحه من كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم.

[2] رواه البخاري في التفسير

- وروى الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح عن المطلب بن أبي وداعة رحمه الله قال جاءَ العبَّاسُ إلى رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، فَكَأنَّهُ سمِعَ شيئًا فقامَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ على المنبَرِ فقالَ: مَن أنا؟ فقالوا: أنتَ رسولُ اللَّهِ علَيكَ السَّلامُ. قالَ: أَنا مُحمَّدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عَبدِ المطَّلبِ، إنَّ اللَّهَ خَلقَ الخلقَ فجَعلَني في خيرِهِم ثمَّ جَعلَهُم فِرقتينِ فجعلَني في خيرِهِم فِرقةً، ثمَّ جعلَهُم قبائلَ فجَعلَني في خيرِهِم قبيلةً، ثمَّ جَعلَهُم بُيوتًا فجعلَني في خيرِهِم بيتًا وخيرِهِم نَفسًا[1]
- ولد صلى الله عليه وسلم بمكة عام الفيل وهو العام الذي قدم أبرهة الحبشي بجيشه العرمرم يتقدمهم فيله العظيم قاصدا هدم الكعبة المشرفة بأمر من ملك الحبشة انتقاما من العرب، ولما وصل أبرهة الحبشي وجيشه وفي مقدمته الفيل العظيم إلى مكان يقال له المغمس على مقربة من مكة برك الفيل وحرن ونكص ولم يقدر على الحركة كلما وجهوه إلى جهة الكعبة جمد وبرك فإن حولوه إلى جهة أخرى أسرع بالرجوع وحاولوا الدخول إلى مكة لكن لم يفلحوا فأرسل عليهم الله تعالى طيرا أبابيل جاءت من جهة البحر، تحمل في مناقيرها وأرجلها حجارة محمية موسومة ،كلما رمت واحد من الجيش بها أردته قتيلا، وفي ذلك أنزل الله عزّوجل قرآنا يتلى إلى قيام الساعة في سورة سماها سورة الفيل قول الله عزّ وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾الفيل ١-٥ وحمى الله جل وعلا

[1] رواه الشيخ الألباني في صحيح الجامع 1485

كعبته وبيته الحرام من كيد الكائدين واعتداء المعتدين وردهم خائبين خاسرين وجعلهم كعصف مأكول وهو التين الذي تأكله الدواب ثم تروثه

- وأما أبوه عبد الله فقد مات في إحدى رحلاته إلى الشـــام، وهو عائد في قافلة تجارية لقريش، مرض بالمدينة وبقي بها عند أخواله من بني النجار على أمل اللحوق بمكة بعد بـــرئه من مرضه فو افته المنية بيثرب، ودفن بها في داريقال لها: دار النابغة وترك زوجه آمنة بنت وهب حاملا بـــرسول الله صلى الله عليه وسلم.
- ونشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيما واسترضع ببادية بني سعد عند حليمة السـعدية وقد وقعت له عندها حادثة شـق الصـدر التـــي أوردها أهل السيـروالتواريخ في سيـرته العطرة صلى الله عليه وسلم ولما بلغ ست سـنتـــين ماتت أمه آمنة وهي عائدة في طريقها إلى مكة حيث أخذته صلى الله عليه وســلم في زيارة إلى أخواله من بني النجار بالمدينة ودفنت في مكان يقال له: الأبواء وحضنته بركة الحبشية التي ورثها عن أبيه بعد موته.
- و انتقلت كفالته صــلى الله عليه وســلم إلى جده عبد المطلب، وكان يحبه كثـــيـــرا، ولا يصبـــر على فر اقه، وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فلا يجلس عليه إلا وهو و أبناؤه من حوله، فكان صــلى الله عليه وسـلم يأتـــي وهو غلام جفر[1] حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني هذا إن له لشـــأنا ثم يجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيديه ويسرّه ما يراه يصنع.

[1] أي صغيرلين.

- ثم مات عبد المطلب فانتقلت كفالته صـلى الله عليه وسـلم إلى عمه أبي طالب بوصـية من جده عبد المطلب فضـمه أبو طالب إلى أبنائه وكان يعاني من قلة ذات اليد، فقد ألقى الفقر بعباءته عليه، لكن الله عزّوجل أدخل البـركة في بيته بوجود النبي صلى الله عليه وسلم فيه، وكان يحبه كثيرا ولا يكاد يفارقه، فلما شب رسول الله صلى الله عليه وسلم رعى الغنم لقريش بقراريط وذلك دأب أكثر الأنبياء فإنهم رعوا الغنم، إعدادا لهم لرعاية الأمم والشعوب وقيادتهم إلى الخير.
- وخرج صـلى الله عليه وسـلم مع عمه أبي طالب في قافلة تجارية لقريش، وذكر أهل السير ما حدث له مع الراهب بحيرى أثناء رحلته. ثم اتجر صلى الله عليه وسـلم لخديجة بنت خويلد الأسـدية القرشـية إحدى عفيفات نساء قريش فاربحها كثـيـرا وعرضت عليه أن يتزوجها وشاء الله عزّوجل أن يتزوجها رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وعمره لم يتجاوز خمسـا وعشـرين سـنة، ولها أربعون سـنة فكانت له خيـر زوجة وواسـته بمالها وبنفسها ووفرت له كل أسباب السعادة في بيته ورزق منها الولد وهي التي آزرته أيام دعوته ووقفت إلى جانبه تدفع عنه أذى قريش وعاشـت معه خمسا وعشرين سنة كلها طمأنينة وسكينة و إيمان وصدق وتضحية ثم ماتت رضي الله عنه ا قبل الهجرة بثلاث سنين.
- قال المصنف رحمه الله وَلَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُون فى النبوة. نُبِّئَ بـ (اقْرَأ)، وَأُرْسِلَ بـ (الْمُدَّثِّرْ)، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ. عاش صلى الله عليه وسلم في الدنيا ثلاثا وستين سنة. وقد ثبت عنه أن أعمار أمته تكون ما بين السـتـين والسـبعين. وقليل من يتجاوز ذلك. منها أربعون سـنة عاشـها بمكة موطنه الأصـلي، وكان منذ نشـأته بها

يخالف قومه فيما كانوا عليه من عباد الأوثان والأصنام، وقد برأه الله عزّوجل مما اتصف به قومه المشركون أهل الجاهلية من أوصاف قبيحة ذميمة كأكل الميتة وشرب الخمر ولعب القمار والزنا ونحوها، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهجر قومه ويغادرهم إلى غار يدعى غار حراء في جبل يقال له جبل النور في الشمال الشرقي من مكة، يبعد عنها مسافة حوالي خمسة كيلو مترات، والذاهب إلى مشاعر منى وعرفات يكون الغار عن يساره، فكان صلى الله عليه وسلم يخلو فيه بعيدا عن قريش، متعبدا لله في الليالي ذوات العدد فإذا نفد زاده عاد إلى زوجته خديجة رضي الله عنه يتزود ثم يعود مرة أخرى إلى الغار وهكذا استمر صلى الله عليه وسلم على هذا الحال يعدّه ربه إعدادا خاصا يؤهله لتحمل أعباء ما سيلقى عليه من الوحي والتكليف، بتبليغ رسالة ربه عزّوجل حتى جاءه الملك جبريل عليه السلام في الغار: فَجاءَهُ المَلَكُ فقالَ: اقْرَأْ، قالَ: ما أنا بقارِئٍ، قالَ: فأخَذَنِي فَغَطَّنِي حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: اقْرَأْ، قُلتُ: ما أنا بقارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: اقْرَأْ، فَقُلتُ: ما أنا بقارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ العلق: 1- 3

وذلك أول ما أنزل عليه من الوحي وكان عمره يومئذ قد قارب الأربعين سنة. لذلك قال الشيخ رحمه الله نُبِّئَ بـ (اقْرَأ)، أي صار نبيا يوحى إليه من الله عزّوجل وكان ذلك علامة دالة على نبوته صلى الله عليه وسلم. فنزل من غار حراء يرجف بها فؤاده وخشي على نفسه فلما أخبر خديجة رضي

الله عنه بذلك قالت له في ثبات ويقين: كَلّا واللَّهِ ما يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوائِبِ الحَقِّ.

- ثم ذهبت به إلى ابن عملها ورقة ابن نوفل وكان قد تنصر وقرأ الكتاب فلما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال له: هذا النَّامُوسُ الذي نَزَّلَ اللَّهُ علَى مُوسَى، يا لَيْتَنِي فيها جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ، قالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلَّا عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ ورَقَةُ أنْ تُوُفِّيَ، وفَتَرَ الوَحْيُ.
- وجاء في رواية ذكرها الإمام الطبراني في تاريخه وكذا الإمام البيهقي في دلائل النبوة: إن ورقة ابن نوفل لقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة. فقال له يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة بن نوفل: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة لقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى عليه السلام ولتكذبن ولتؤذين ولتخرجن ولتقاتلن ولئن أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخة[1] والنافوخ هو وسط الرأس ثم انحرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله.
- فقال المصنف رحمه الله وَأُرْسِلَ بـ (الْمُدَّثِّرْ)، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ. أي أن النبي صلى الله عليه وسلم صار رسولا مكلفا بتبليغ ما أوحي إليه من ربه بقوله تعالى من أوائل سورة المدثر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣

[1] أي وسط الرأس كما جاء في القاموس.

وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ المدثر١-٧. وقد تضمنت هذه الآيات الأمر من الله لرسوله بالقيام بأداء ما وُكل إليه من بلاغ رسالة ربه تعالى وهي رسالة الإسلام والدعوة إلى توحيد الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له، وذلك ما كلف به إخوانه المرسلون عليهم السّلام من قبله بالدعوة إليه وبيانه للناس.

- وبلده مكة لأنه صلى الله عليه وسلم ولد بها فهي مرتع صباه وموطن شبيبته ومأوى كهولته ودار دعوته الأولى وقد حفظه ربه جل وعلا منذ طفولته من أن يشارك قومه المشركين في شيء من أمور الجاهلية فكان متميزا عنهم في أخلاقه وسمته وأدبه وسيرته صلى الله عليه وسلم يحب بلده مكة ويقول في حقها: (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله لولا أني أخرجت منك ما خرجت)[1]
- وجاء في حديث أخرجه الترمذي وصححه الألباني عن ابن عباس رضي الله عنه ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة: (ما أطيبك من بلد وأحبك إلي ولولا قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك)[2] وكان صلى الله عليه وسلم يقول: (إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن)[3].
- قال المصنف رحمه الله تعالى: (بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد)، وهذه العبارة تتضمن خلاصة دعوة الرسل جميعا قبل النبي

[1] أخرجه الترمذي والنسائي في الكبرى و ابن ماجة وأحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عدي رضي الله عنه ، قال ابن حجر في الفتح وهو حديث صحيح أخرجه أصحاب السنن.

[2] قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

[3] أخرجه مسلم من حديث جابر بن سمرة.

صلى الله عليه وسلم وهو يقتفى آثارهم ويقتدي بهم يدعو إلى ما دعوا إليه فإن الله تعالى بعثه للقيام بأمرين هامين تدور دعوة الله تعالى عليهما وترجع إليهما.

- **الأمر الأول: النذارة عن الشرك أي إنذار الناس من الشرك بكل صوره ومظاهره والتحذير منه ببيان بطلانه وفساده وضلال أهله والتخويف من عاقبته وذلك بالخلود في عذاب النار إن ماتوا عليه.**
- **الإنذار: هو الإعلام المتضمن للتخويف والترهيب من شيء يمكن تداركه لكن وقت تداركه يطول بخلاف الإشعار. الذي يقصر وقت تدارك الأمر فيه، كما قال الشاعر:**

أنذرت عمرا وهو في مهلٍ ❁❁❁ قبل الصباح فقد عصى عمرو.

- **ويكون الإنذار عن الشرك من خلال سوْقِ الأدلة الصحيحة الصريحة المبينة لبطلان اعتقاد أهله وفساد معتقدهم في الآلهة الباطلة التي يعبدونها من دون الله وحجتهم التقرب إلى الله زلفى ويجعلونها وسائط بينهم وبين الله تعالى في قضاء حوائجهم بجلب الخير لهم ودفع الشر عنهم كما قال الله تعالى:** ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣﴾ الزمر٣، **فهذه الأصنام والأوثان التي تعبد من دون الله تعالى لا تنفع ولا تضر ولا تملك لنفسها شيئا فهي مخلوقة مسخرة .فمن عبدها فإنه قد عبدها بظلم وبباطل والإنذار عن الشرك أيضا تخويف من نار يوم القيامة ومن عذاب الله تعالى ومن**

سخطه على كل من أشرك به معه غيــره في عبادته و إنزال أشد العقوبة به في الدنيا والآخرة.

- **قال الله عزّوجل:** ﴿وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ۝٤١ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٍ مُّقۡتَدِرٍ ۝٤٢ أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٌ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُمۡ بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٤٣ أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ۝٤٤ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾ القمر ٤١-٤٥

- **الأمر الثاني: وهو صــلى الله عليه وســلم ينذر عن الشــرك مبينا خطره وضــرره فإنه في ذات الوقت يدعو إلى ضــده وهو التوحيد الذي مضمونه الدعوة إلى إفراد الله عزّوجل بالعبادة في الأقوال والأفعال والأحوال. توحيد الله في ربوبيته عزّوجل وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته ويكون ذلك ببيان فضله وجزائه ومآل أهله يوم القيامة وما ينالونه من ثواب وأجر ونعيم خالدين فيه أبد الآبدين.**

- **وذكر الشــيخ هنا النذارة عن الشــرك أولا ثم الدعوة إلى التوحيد ثانيا، هذا من باب التخلية قبل التحلية وذلك معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله نفي و إثبات هدم وبناء وهو مناسب أيضا لما ورد في آية المدثر ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣﴾: أنذر عن الشرك وبين بطلانه وكبر الله عزّوجل بالتوحيد في جميع أقوالك و أفعالك وأحوالك.**

- **ثم قال عزّوجل: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤﴾ أي: طهر أعمالك من الشــرك بكل أنواعه قليله وكثيره. والعرب تكني عن الأعمال بالثياب وهو المذكور عن أكثر السلف كما نقله الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره.**

- **وقوله تعالى :﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ والمعنى: كما أشار إليه الشيخ قائلا الرجز الأصنام وهي تلك المعبودات من دون الله التي كانت منتشرة بأرض الجزيرة. لا سيما مكة وما حولها، فلا تكاد تخلو قبيلة من صنم لها تعبده مع الله عزّوجل ،بل عند التأمل تجد أن كل مشرك آنذاك له معبود خاص به يلجأ إليه ويدعوه ويتقرب إليه ويعبده من دون الله عزّوجل .**
- **ثم قال الشيخ: (وهجرها تركها...) أي ترك عبادتها ومجانبتها والمباعدة عنها والكفر بها، والبراءة منها ومن أهلها الذين عبدوها من دون الله عزّ وجل ، ظلما وعدوانا وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا كما يجب إظهار العداوة والبغضاء لها، ولأصحابها وعدم مخالطتهم ومقاربتهم والابتعاد عنهم. كما قال الله عزّوجل على لسان خليله إبراهيم عليه السلام:** ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ۝٤٨﴾ مريم ٤٨، **وكذا أمر الله ورسوله محمدا** صلى الله عليه وسلم **بهجران أهل الشرك، والصبر على أذاهم فقال عزّوجل له:** ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠﴾ المزمل ١٠ .
- **ثم قال المصنف رحمة الله عليه (أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد وبعد العشر عُرج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس وصلى في مكة ثلاث سنين). أي: بقي** صلى الله عليه وسلم **بمكة عشر سنين وهو يدعو أهلها إلى توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به وترك عبادة الأوثان، وكان** صلى الله عليه وسلم **يتعرض لمشركي مكة ويعرض عليهم الإسلام ويطمع في إجابتهم لدعوته وما ترك وسيلة من وسائل الدعوة إلى**

الله تعالى المتاحة له آنذاك إلا استعملها رجاء دخولهم في دين الله تعالى وخلع عبادة الأصنام.

- وقد كانت دعوته صلى الله عليه وسلم في ابتداء أمره سرا لمدة ثلاث سنين. كان يجتمع فيها بأتباعه من المؤمنين في دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه يعلمهم الإسلام ولما تزايد عددهم أُمر بإظهار دعوته والإعلان بها بين قومه قريش فأنزل الله تعالى عليه قوله عزّوجل: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾ الحجر٩٤، وأمره ربه عزوجل أن يبدأ بإنذار عشيرته وأهله وقومه فقال عزّوجل: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ الشعراء ٢١٤ فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل الصفا و أنذرهم وحذرهم وبين لهم. ودعاهم إلى توحيد الله تعالى وترك عبادة الأصنام، ولكن قريش قابلت دعوته بالإنكار والإعراض والرفض. ونبزته بسيء الألقاب فقالوا ساحر وكذاب ومجنون و أفاك ونحو ذلك.
- وشرعت قريش في إيذاء أصحابه و أتباعه من المؤمنين المستضعفين وإذاقتهم ألوانا من النكال والعذاب وحاصرتهم وضيقت عليهم سُبل عيشهم، وحاولت كثيرا صدهم عن دينهم وإرجاعهم إلى دين الشرك والكفر ولكنها لم تفلح في ذلك إلا ما تمكنت منه من التجويع والتعذيب والحبس. ولم تقف قريش عند هذا الحد بل ذهبوا إلى قطع السبيل على كل من يريد أن يتعرف على هذا الدين الجديد أو يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم.كلاما عنه.
- فكانوا يأتون الناس في أيام موسم الحج والتجارة ويحذرونهم من النبي صلى الله عليه وسلم ومن دعوته ويخوفونهم. لكنه صلى الله عليه وسلم

صبـــر على دعوته وواصل طريقه، يدعو إلى التوحيد ويعرض نفسه على قبائل العرب ويذهب إليهم في أماكن رحالهم ويعرض عليهم الإسلام ويقرأ عليهم كلام الله تعالى .

- ولما زاد أذى قريش لأتباعه في مكة أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى أرض الحبشة وقال لهم أن بها ملكا عادلا لا يظلم عنده أحد. وكان هذا الملك هو النجاشي واسمه (أصحمه) على دين النصرانية. فخرج إليه المسلمون من مكة في هجرتين. وحاولت قريش قصارى جهدها إرجاعهم والانتقام منهم والتنكيل بهم. فأرسلت إلى النجاشي بهدايا وتحف مع رجلين من قومها وهما: عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد لكن النجاشي أحضرهم عنده وسمع منهم وناظرهم وعلم أنهم ظلموا وأخرجوا من ديارهم بغير حق، فأمنهم وحماهم وآواهم ورد على قريش هداياها، ورفض إعادتهم، وقد ثبت أن النجاشي ملك الحبشة قد أسلم وحسن إسلامه وأخفى ذلك على قومه ولما مات أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك فصلى عليه صلاة الغائب، وترحم عليه ودعا له. رحمه الله تعالى
- ولما أحس صلى الله عليه وسلم بتشديد الخناق عليه بمكة من قبل المشركين وزادت جراءتهم عليه فأكثروا أذيته لا سيما بعد وفاة عمه أبي طالب الذي كان يمنعه منهم، ويحول بين قريش وبين أذاهم للنبي صلى الله عليه وسلم. خرج إلى الطائف يلتمس النصرة لدعوته من ثقيف ولكنه خاب ظنه فيهم وقابلوه بأشد أنواع الأذى من شتم وسب وطرد. ومنعوا رجالهم ونساءهم وأولادهم من سماع كلامه ودعوته فرجع إلى مكة حزينا أسفا ولكنه لم ييأس من النصرة لدينه والاستجابة لدعوته

وواصل طريقه يدعو إلى الله تعالى ثابتا صابـرا محتسبا وبعد ذلك منّ الله تعالى عليه بـــرحلة الإســراء والمعراج، وكان ذلك قبل الهجرة إلى المدينة بقليل وكانت هذه الحادثة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له وتنفيســا عن كربته وإذهابا لغمه وهمه ودفعا لحزنه وأســاه. وكانت هذه الرحلة الطيبة المباركة على مرحلتين:

- مرحلة أرضــية: وكانت من المســجد الحرام من رحاب الحجر إلى حيث المسجد الأقصى، ليلا على البــراق بصحبة جبــريل عليه السلام.
- ورحلة سماوية علوية: من المسجد الأقصى بعد إمامته صلى الله عليه وســلم لنفر من إخوانه الأنبياء إلى الســماوات العلى حتى وصل به جبــريل عليه السلام إلى سدرة المنتهى، وهناك كلمه ربه تعالى ، وفرض عليه وعلى أمته الصــلوات الخمس وكانت في أول الأمر خمسين صلاة ثم خففت إلى خمس صلوات في اليوم والليلة وذلك بنصح كليم الله موسى عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يســأل ربه التخفيف وذلك عند مروره به في الســماء الســادسة فقال له ربه تعالى: (امضيت فريضتــي وخففت عن عبادي وأجزي الحسنة عشرا)[1]

- وصارت الصلاة خمسا في الأداء وخمسين في الأجر، والله يؤتــي فضله من يشاء، وقد أسرى به صلى الله عليه وسلم بروحه وجسده يقينا، خلافا لمن زعم غيــر ذلك لقد قال الله تعالى في قرآنه المجيد: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ

[1] أخرجه البخاري من مالك ابن صعصعة.

بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ الإسراء ١

- **وكلمة (بِعَبۡدِهِۦ): تفيد أنه أسرى به بـــروحه وجسـده لأنه لا يطلق على الإنسان عبدا إلا إذا كان روحا وجسدا. وقد أطلع الله تعالى نبيه** صلى الله عليه وسلم، **في هذه الرحلة المباركة على آيات عظيمة كما قال الله تعالى:** ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰ ١٨﴾ **النجم ١٨. وأطلعه على الجنة وما فيها وعلى النار وما فيها. ورجع في ليلته** صلى الله عليه وسلم **إلى بيته بمكة. ولما أصـبح أخبـــر الناس بذلك، فأما أهل الإيمان واليقين، فصـدقوا وازدادوا إيمانا وتسليما أما أهل الكفر والشرك فازدادوا عنادا وإعراضا ووصـفوه بالجنون وكذبوه ورفضـوا ذلك منه، وقالوا هذه دعوى باطلة وأرادوا اختباره لبيان صدقه فطلبوا منه أن يصف لهم المسجد الأقصى، وهم يعرفونه لأنهم مروا به كثيرا في رحلتهم إلى الشام. في الصيف، فطفق** صلى الله عليه وسلم **يصفه لهم بابا بابا، ونافذة نافذة، وعمودا عمودا، وركنا ركنا، ولكنهم قالوا الوصف صحيح لكن الواصف كذاب. وكانت حادثة الإسـراء والمعراج إحدى معجزاته** صلى الله عليه وسلم **ولكن المشركين أصروا على شركهم وكفرهم وعنادهم.**
- **وصلى النبي** صلى الله عليه وسلم **بمكة ثلاث سنين الصلوات الخمس يجمع أصحابه عليها وكان قبل ذلك يصلي صلاتين فقط في إقبال النهار والأخرى في إدباره وفي ذلك جاء قول قوله تعالى:** ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠﴾ طه ١٣٠

- وقال المصنف رحمه الله: (وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة والهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الاسلام....) وكان صلى الله عليه وسلم قد لقي في أحد مواسم الحج نفرا من الأنصار فعرض عليهم الإسلام فأسلموا وبايعوه وسميت تلك ببيعة العقبة الأولى. وفي العام القابل لقي نفرا من الأنصار فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا وبايعوه على النصرة وأن يحموه إذا هاجر إليهم وأن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأولادهم، سميت تلك ببيعة العقبة الثانية.
- ولما ذاع الإسلام في المدينة و انتشر وكثر أنصاره أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة. كان صاحبه أبو بكر رضي الله عنه يستأذنه في الخروج إلى المدينة فكان صلى الله عليه وسلم يقول له لا تعجل لعل الله تعالى يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر رضي الله عنه أن يكونه. جاء في البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من حديث عائشة رضي الله عنها الطويل وفيه: (... وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا، فَقالَ له رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «عَلَى رِسْلِكَ؛ فإنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي»، قالَ أَبُو بَكْرٍ: هلْ تَرْجُو ذلكَ بأَبِي أَنْتَ؟ قالَ: «نَعَمْ»، فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ علَى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لِيَصْحَبَهُ...) فلما علمت قريش بخبر بيعة الحقبة الثانية ازداد خوفها أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم أنفق مع أهل يثرب الذين دخلوا في الإسلام أن يخرج إليهم فيكثر أنصاره وتقوى شوكته فأجمعوا على اغتياله وقتله، والتخلص منه، ومن دعوته مرة واحدة وحاصروا داره وأرادوا قتله، لكن الله حفظه بحفظه، ورد كيدهم في نحورهم، و أنجاه من شرهم.

- **وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا بصحبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكانت رحلة شاقة طويلة متعبة وحمى الله تعالى هذا الركب المبارك. وأمنه حتى وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر رضي الله عنه إلى المدينة فلقيه أصحابه و أنصاره وسروا بمقدمه.**
  - **والهجرة لغة: ترك الشيء ومفارقته والتحول منه إلى غيره.**
  - **والهجرة اصطلاحا: كما عرفها الشيخ هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، والأصل فيها ترك كل ما يكره الله ويأباه والانتقال إلى ما يحبه ويرضاه.**
- **قال المصنف** رحمه الله **(والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وهي باقية إلى أن تقوم الساعة) والمعنى: أن الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام فرض وواجب على هذه الأمة أمة الإجابة لمن كان قادرا على ذلك غير متمكن من إظهار دينه في بلد الشرك، أما من كان يقدر على إظهار دينه وشعائر الإسلام والدعوة إلى التوحيد فالهجرة في حقه مستحبة.**
- **وساق الشيخ** رحمه الله **الدليل الأول على ذلك قول الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ النساء ٩٧-٩٩

والدليل الثاني قول الله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦﴾ العنكبوت ٥٦.

- **ثم ساق الشيخ رحمه الله كلام الإمام البغوي** رحمه الله **فقال قال الإمام البغوي سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الايمان. ومعنى الآيتين المتقدمتين: أن الذي يكون في بلد الكفر والشرك ويقدر على الهجرة منه إلى بلد الإسلام فإنه يجب عليه ذلك وإن لم يفعل يعاقبه الله تعالى عقابا شديدا كما ذكر في الآية وهو الدخول النار والعذاب فيها ثم استثنى الله تعالى من هؤلاء من كان مستضعفا من الرجال والنساء والولدان الذين لا يقدرون على الهجرة ولا يجدون حيلة في ذلك. أو لهم علة تمنعهم من الهجرة فهؤلاء يعفو الله تعالى عنهم وكان الله عفوا غفورا.**
- **وهذه الهجرة المذكورة باقية دائمة إلى قيام الساعة لا تتوقف ولا تنقطع ولا تُنسخ وكذلك ساق الشيخ** رحمه الله **دليله على ذلك من السنة فقال والدليل على الهجرة من السنة** صلى الله عليه وسلم: **(لا تنقطعُ الهجرةُ حتى تنقطعَ التوبةُ، ولا تنقطعُ التوبةُ حتى تطلعَ الشمسُ من مغربِها)**[1]. **ومعنى الحديث أن الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام. ستبقى مستمرة كلما توفرت مقتضياتها وأسبابها ولا يمكن أن تنقطع بحال إلى أن تقوم الساعة وذلك بظهور أحد أشراطها وهو طلوع الشمس من مغربها.**
- **قال المصنف** رحمه الله: **(فلما استقر بالمدينة أمر ببقية شرائع الإسلام مثل الزكاة والصوم والحج والأذان والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن**

[1] أخرجه أبو داوود والنسائي في الكبرى وأحمد في سننه من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ما.

المنكر فأخذ على هذا عشر سنين) أي: صارت دار إقامته صلى الله عليه وسلم **بالمدينة، وفيها تتابع نزول الوحي عليه وأمر ببقية شرائع الدين، مثل: الزكاة التي فرضت بمقدارها المحدد في السنة ثانية للهجرة. وكذا الصوم أعني صوم رمضان، فإنه كذلك فرض في السنة الثانية للهجرة، حيث وجد** صلى الله عليه وسلم **اليهود بالمدينة يصومون يوم عاشوراء. فسألهم عنه فقالوا يوم نجى الله فيه موسى** عليه السلام **من فرعون، فنحن نصومه تعظيما له. فقال** صلى الله عليه وسلم **نحن أولى بموسى** عليه السلام **منكم، فصامه وصامه المسلمون. ولما فرض صيام شهر رمضان تركه وصار صيامه ندبا لا فرضا. وكذلك الحج قيل فرض في السنة السادسة للهجرة لما نزل قول الله تعالى:** ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦﴾ البقرة ١٩٦. **ومن العلماء من يقول فرض في السنة التاسعة الهجرة فهذا هو الصحيح كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في فتاويه (٣٢٨/٧٢)، وكذلك الآذان فرض في السنة الأولى للهجرة برؤيا منامية من الصحابي الجليل عبد الله بن زيد بن عبد ربه** رضي الله عنه **علم فيها ألفاظ الآذان والإقامة و أقر ذلك رسول الله** صلى الله عليه وسلم.

- **وكذلك الجهاد في سبيل الله تعالى فرض على المسلمين على مراحل متدرجة.**
- **الإذن به في قول الله تعالى:** ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ **الحج ٣٩ ثم قتال المسلمين من يقاتلهم من الكفار والمشركين.**
- **في قول الله تعالى:** ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ البقرة ١٩٠
- **وفي قول الله تعالى:** ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦﴾ التوبة ٣٦
- **ثم قتال كل أهل الشرك والكفر حتى يكون الدين كله لله في قول الله تعالى:** ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩﴾ الأنفال ٣٩
- **وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لإحقاق الحق و إبطال الباطل وكف الأذى عن الناس والضرب على أيدي الفجار والفساق ومنعهم من إفساد المجتمع ونشر الشر والرذيلة ونحو ذلك.**
- **بقي النبي** صلى الله عليه وسلم **على ذلك يدعو إلى توحيد الله ويجاهد لإعلاء كلمة الله، ويعلم ويربي الناس حتى توفاه ربه تعالى فبلغ البلاغ المبين** صلى الله عليه وسلم **ونصح للأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها**

كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. نسأل الله تعالى أن يجازيه عنا وعن الإسلام خير ما جازبه نبيا عن أمته.

- ودينه باقٍ أي: لم يذهب بذهاب من كان يدعو إليه لأنه دين الله تعالى والله تعالى حي لا يموت والنبي صلى الله عليه وسلم قام بما أمر به على أكمل وجه فأدى ووفّى وأحسن و انتقل إلى جواررربه. وخلّف وراءه دعاة إلى هذا الدين هم أصحابه رضي الله عنهم وهم ماتوا و انتقلت مسؤولية الدعوة إلى هذا الدين أعني الإسلام إلى غيرهم من أتباعهم، وهكذا إلى قيام الساعة والإسلام هو كما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه ودعا إليه.
- قال المصنف رحمه الله تعالى (وهذا دينه لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه). والمعنى: أنه صلى الله عليه وسلم كان ناصحا لأمته أمينا على دينها، ما علم من خير، وصلاح، وفلاح إلا دل أمته عليه، ورغبها في فعله والمواظبة عليه ليتحقق لهم نفعه في الدنيا والآخرة، وما علم من شر وسوء إلا وحذر أمته منه، ومن ارتكابه والاقتراب منه ومنعا لوصول ضرره إليهم.
- وأعظم الخير الذي دل أمته عليه هو التوحيد، و إفراد الله بالعبادة، والائتمار بأمره والانتهاء عن نهيه، والوقوف عند حدود شرعه، وطاعته على كل حال.
- وأكبر الشر الذي حذر الأمة منه هو الشرك بالله في الأقوال والأعمال والنيات وعدم اتخاذ أندادا لله تعالى ووسائط وشركاء تصرف إليهم العبادة التي هي حق الله تعالى الخالص لا يشاركه فيها أحد من المخلوقين، وكذلك حذرهم صلى الله عليه وسلم من اِقتراف شيء مما

يكرهه الله تعالى ويبغضه من المعاصي، والآثام كبائرها وصغائرها حتى لا يحل بهم غضب من الله تعالى . وسخطه كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴿١٤﴾﴾ النساء ١٤

فقد أخرج مسلم رحمه الله في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حق عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم)**

قال المصنف رحمه الله: **(بعثه الله إلى الناس كافة و افترض طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس والدليل قوله تعالى: قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا)وهنا من خصائصه** صلى الله عليه وسلم **التي من الله تعالى بها عليه وفضله على إخوانه الأنبياء المرسلين الذين سبقوه حيث إن كل نبي أو رسول سبقه** صلى الله عليه وسلم **كان يبعث إلى قومه خاصة أما هو** صلى الله عليه وسلم **فإنه بعث إلى الناس كافة كما جاء في القرآن في الآية التي استشهد بها الشيخ في قول الله تعالى:** ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴿١٥٨﴾﴾ الأعراف ١٥٨ **وكلمة (ٱلنَّاسُ) الواردة في الآية الكريمة تشمل الجن والإنس أي الثقلين، فهو** صلى الله عليه وسلم**بعث إلى الثقلين، فكل مكلف من الإنس والجن مطالب بالإيمان به وإلا فإنه لا يصح منه دين ولا إسلام، وقد جاء في الحديث الصحيح عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه ما قال سمعت رسول الله** صلى الله عليه وسلم

يقول: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأسياد قبلي)،وذكر منها: (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة). فمن آمن بجميع الأنبياء والرسل ولم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فإن إيمانه باطل فاسد مردود، وهو كافر لا يصح منه إسلام ولا إيمان.

- قال المصنف رحمه الله: (وأكمل الله تعالى به الدين والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾وقد نزلت هذه الآية الكريمة في حجة الوداع وفي عرفة وفي يوم الجمعة ذكر فيها الله تعالى إكمال الدين فلا نقص فيه فمن اعتقد فيه نقصا فقد كذب بالقرآن وكفر بالله تعالى وكذب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن ابتدع شيئا يريد به إكمال الدين فقد افترى على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، والآية تضمنت ثلاثة أمور مؤكدة وهي:
  - الأمر الأول: إكمال الدين في كل المناحي في الاعتقادات وفي الأعمال والمعاملات، وفي الآداب والسلوك
  - والأمر الثاني: إتمام النعمة على هذه الأمة أمة الإجابة وذلك ببعثه النبي صلى الله عليه وسلم وبيان الدين وبلاغ الإسلام عن طريقه.
  - والأمر الثالث: الله تعالى لا يرضى دينا إلا الإسلام رضيه لهذه الأمة تحيا عليه وتموت عليه وتبعث عليه يحاسبها تعالى على أساسه، ولا يقبل الله تعالى دينا غيره مهما كان ومن أيٍّ كان.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴿١٩﴾﴾ **آل عمران ١٩**

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴿٨٥﴾﴾ **آل عمران ٨٥**

ثم انتقل الشيخ رحمه الله **إلى الحديث عن موته** صلى الله عليه وسلم **وساق الدليل على ذلك فقال والدليل على موته** صلى الله عليه وسلم

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴿٣١﴾﴾ **الزمر ٣٠-٣٢**

والمعنى: أن النبي صلى الله عليه وسلم **بشر يجري عليه ما يجري على البشر من أحوال المرض والجوع والحزن ونحو ذلك وليس فيه شيء من خصائص الربوبية بل هو عبد مربوب عابد لله تعالى لا يستحق أن يعبد، وإنما هو نبي مصدق ورسول مكلف ببلاغ دين الله تعالى ورسالة الإسلام إلى العالمين. فالنبي** صلى الله عليه وسلم **يموت كما يموت الناس وكما مات إخوانه من الأنبياء والرسل من قبله. فقد كتب ذلك على كل حي ولا خلود لأحد سوى الله رب العالمين، قال الله تعالى مخاطبا نبيه** صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴿٣٤﴾﴾ الأنبياء ٣٤.

وذلك خلافا لمن يزعم كذبا أن النبي صلى الله عليه وسلم **حي ويحضر مجالسهم ويكلمهم وهذا من أبطل الباطل فإنه** صلى الله عليه وسلم **انتقل إلى عالم البرزخ لكن حياته فيه أكمل من حياة الشهداء عند ربهم.**

۞ **قال المصنف** رحمه الله: **(وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ) وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى:** ﴿۞مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ۝٥٥﴾ **[طه: 55]. وقَوْلُهُ تعالى:** ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا۝١٨﴾ **[نوح: 17، 18]. وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَىٰ۝٣١﴾ **[النجم: 31])**

۞ **وخص الشيخ** رحمه الله **ذكر البعث هنا ومحله هنا في موطن ذكر الإيمان باليوم الآخر للرد على من زعم أن الموتى لا يبعثهم الله تعالى من قبورهم يوم القيامة ولا يحيون حياة أخرى ولا ترد إليهم أرواحهم ولا يقومون من قبورهم لفصل القضاء والحساب والسبب في ذلك أنه قد انتشر في زمانه في البوادي والقرى من ينكر عقيدة البعث والحساب وبزعم أن الناس إذا ماتوا انتهوا فلا عودة إلى الحياة مرة أخرى ولا رجوع ولا بعث ولا نشور ولا حساب. فأراد الشيخ** رحمه الله **بيان حكم من يعتقد هذه العقيدة الباطلة، و أنه كافر كفرا أكبر مخرج من الملة، وساق الشاهد على ذلك قول الله تعالى:** ﴿۞مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ۝٥٥﴾ **طه ٥٥ أي أن أصل خلقتكم من التراب ثم تموتون بعد انقضاء أجلكم وتعودون إلى التراب فتدفنون فيه ثم نعيدكم أحياء ونخرجكم من الأرض مرة أخرى ونركب خلقكم من عجب الذنب[1]، قال الله تعالى:** ﴿يَوۡمَ

[1] كلُّ بني آدمَ وفي حديثٍ مغيرةَ كلُّ ابنِ آدمَ يأكلُهُ التُّرابُ إلاَّ عجبَ الذَّنبِ منْهُ خلقَ وفيهِ يركَّبُ.
الراوي: أبو هريرة | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح النسائي | الصفحة أو الرقم: 2076 | خلاصة حكم المحدث: صحيح | التخريج: أخرجه النسائي (2077) واللفظ له، وأخرجه البخاري (4935) بنحوه مطولاً، ومسلم (2955) باختلاف يسير

نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴿١٠٤﴾ الأنبياء ١٠٤، **ثم ربط الشيخ رحمه الله البعث بالحساب وهذا مناسب جدا لأن الغرض من بعث الناس من قبورهم وإحيائهم إنما يكون لذلك ليعرضوا على ربهم تعالى فيحاسبهم على ما قدموا من أعمال في دنياهم.**

- **لذلك قال الشيخ رحمه الله: (وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴿٣١﴾ **[النجم: 31]) والمعنى: أن حكمة الله تعالى اقتضت أن يحاسب الناس بعد بعثهم مرة أخرى إعادتهم إلى الحياة ليجزيهم على ما قدموا من أعمال في دنياهم ويتميز الجزاء بتميز الأعمال فالمحسن يجازى بالإحسان ويلقى أجره وثوابه وكذا المسيء يوفى جزاءه من العقاب والعذاب فلا يظلم أحد عند الله تعالى ، ولا يضيع مثقال الذرّ، من الأقوال والأعمال خيرا كان أو شرا عنده سبحانه وتعالى فإن عذبهم فبعدله وإن رحمهم فبفضله، ومع ذلك كله تُرجى رحمة الله تعالى وفضله وعفوه فإن حاسب الله تعالى عباده بالعدل فهو أهل لذلك، وإن حاسبهم بالفضل فهو أيضا أهل لذلك.**

- **قال الله تعالى:** ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴿٦٠﴾ الرحمن ٦٠
- **وقال الله تعالى:** ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ الأنبياء ٤٧

قال المصنف رحمه الله وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ [التغابن: 7]. **لما ذكر الشيخ** رحمه الله **ما يتعلق بعقيدة البعث والحساب بعد الموت ناسب أن يذكر بعدها حكم من ينكر البعث والحساب ويكذب بذلك و أنه يكفر كفرا أكبر مخرج من الملة وجاء في الآية استدل بها الشيخ** رحمه الله **امر الله تعالى لنبيه** صلى الله عليه وسلم **أن يقسم به على ثبوت البعث والحساب والجزاء. فقال قل يا محمد** صلى الله عليه وسلم **قل بلى وربي لتبعثن. وهذا فيه توكيد لحصول إحياء الموتى وبعثهم ومحاسبتهم وإخبارهم بما قد عملوا في دار التكليف. وإحصاء ذلك عليهم. وحفظه وعرضه عليهم ومحاسبتهم وذلك أمر يسير هين على رب العالمين.**

قال المصنف رحمه الله **وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى:** ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٦٥﴾ **[النساء: 165]. وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تعالى:** ﴿۞إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾ **[النساء: 165]. وهذا فيه بيان لأول الرسل إلى الخلق وهو نبي الله نوح عليه السلام وكان بينه وبين نبي الله تعالى آدم عشرة قرون. كما صح الخبر بذلك. وكان الناس على دين واحد وملة واحدة ثم اختلفوا فأرسل الله تعالى نوحا فكان أول الرسل جميعا ليبشروا وينذروا ويدعو الناس إلى عبادة الله تعالى وحده.**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤﴾ نوح ١-٤

وقد طال عمره عليه السلام وطال زمن دعوة قومه حيث

قال الله تعالى في شأنه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤﴾ العنكبوت ١٤

ودعا قومه ليلا ونهارا، وسرا وجهرا وعلنا ومع ذلك لم يجد من قومه إلا صدودا وعنادا وإعراضا وتكذيبا وتهديدا بالرجم حتى آل أمره مع قومه إلى إنجائه ومن معه في السفينة بعد أن أغرق الله قومه جميعا.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ٧٥ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ٧٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨١ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٨٢﴾ الصافات ٧٥-٨٢

وكان آخر الرسل نبينا صلى الله عليه وسلم. **وكما قال الشيخ** رحمه الله **فهو خاتم النبيئين، لا نبي بعده ولا رسول بعده أيضا. وإذا انتفت النبوة بعده فانتفاء الرسالة بعده من باب أولى. لأنها أخص من الأولى وقد ثبت ذلك في القرآن والسنة والإجماع ومن ادعى خلاف ذلك يكفر بإجماع المسلمين.**

قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ الأحزاب ٤٠.

وقد صح الخبر عنه صلى الله عليه وسلم صرح بأنه قد ختم به النبيون، فهو آخرهم ولا نبي يأتي بعده. ومن ادعى ذلك فهو كذاب أفاك، وجاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم **قال: إنّ مَثَلِي ومَثَلَ الأنْبِياءِ مِن قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فأحْسَنَهُ وأَجْمَلَهُ، إلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِن زاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ به، ويَعْجَبُونَ له، ويقولونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هذِه اللَّبِنَةُ؟ قالَ: فأنا اللَّبِنَةُ، وأنا خاتِمُ النَّبيِّينَ.**

وقد أجمع المسلمون على أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم **ولا رسول كذلك. به ختمت النبوة وبه ختمت الرسالة.**

فقال المصنف رحمه الله: وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إلى مُحَمَّدٍ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـــ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: 36]. وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ: **ومراد الشيخ** رحمه الله **من هذا أن مضمون رسالة الرسل جميعا كانت واحدة. تمثلت في الأمر بإفراد الله تعالى بالعبادة بكل أنواعها. قلبية كانت أو قولية أو عملية، وكذا النهي عن عبادة غير الله تعالى وعدم الإشراك به في عبادته مهما كان هذا المعبود من دون الله تعالى بباطل رسولا أو ملكا أو جنيا أو حجرا أو شجرا أو كوكبا أو غيرها من المعبودات الباطلة المزعومة. وقد بين تعالى هذه المسألة**

بيانا واضحا في القرآن الكريم أنه ما أرسل من رسول في أي أمة كانت إلا وكلفه بأن يأمر الناس بعبادة الله جل وعلا وحده. وأن لا يشركوا به شيئا. وكان شعاركل رسول يبعث قوله تعالى ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ ومن ثمة اعتبر الشيخ رحمه الله أن من الواجبات المتحتمات على العباد جميعا الإيمان بالله تعالى وما يتبعه ولا يكون إيمانا صحيحا مثمرا إلا إذا قارنه كفر بالطاغوت فإنهما قرينان لا بد أن يجتمعا في قلب كل مؤمن صادق الإيمان.

قال المصنف رحمه الله: قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ ــ رحمه الله تعالى: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَبِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ. وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة: 256]. وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا إله إلا اللهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: (رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ).وَاللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: وهذا التفسير يعد من أحسن ما فسر به الطاغوت. لكن ينبغي أن يلاحظ هنا استثناء عباد الله الصالحين الذي الذين لم يأمروا بتجاوز الحد في طاعتهم. و اتباعهم وأنهم يتبرأون من ذلك وعدد الشيخ رحمه الله رؤوس الطواغيت في هذه العبارة أي أن وراء هؤلاء طواغيت آخرين كثر قد يعبدون من دون الله ولا يتفطن لهم.

أما قائدهم الأكبر على الإطلاق وسيدهم ورائدهم في الإضلال والإزاغة هو إبليس لعنه الله وقد ثبت أنه عُبد من دون الله و اتباعه كثيرون لا يخلو منهم مكان ولا زمان ويخلد في النار مع اتباعه ويخاطبهم قائلا كما جاء في القرآن على لسانه:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾ إبراهيم ٢٢

وقال تعالى مذكرا عباده الغافلين الذين خدعهم الشيطان بوسوسته وتزيينه: ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٩ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١﴾ يس ٥٩-٦١

والثاني من عبد وهو راض وهذا قيد مهم يخرج به من عبد دون علم منه أو وهو غير راض عن ذلك. أبدا كما هو شأن النبي عيسى عليه السلام وأمه وعزير ومن عبد من عباده الله الصالحين دون علمه ولا أمر به.

والثالث من دعا الناس إلى عبادة نفسه: هذا أشر وأعظم في الجرم. والذنب كحال بعض مشايخ التصوف وغلاة الرو افض و اتباعهم. ممن يدعو الناس إلى عبادته وتقديسه وصرف شيء من أنواع العبادة إليه

كالذبح والنذر والدعاء ونحو ذلك. فهذا فيه جراءة عظيمة على مقام الربوبية ومنزلة الإلهية. نسأل الله العفو والعافية.

- الرابع من ادعى شيئا من علم الغيب: وهذا فيه دعوى لمشاركة الرب تعالى في ربوبيته حيث أنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ هود ١٢١-١٢٣ وذلك مثل الكهان والعرافين والمنجمين الذين يدعون الاطلاع على الغيب ويكذبون على جهلة المسلمين وغفلتهم.

- والخامس من حكم بغير ما أنزل الله: وهذا الأمر لا بد أن يكون فيه شيء من التفصيل:

- فإن الذي حكم بغير ما أنزل الله تعالى معتقدا أن حكمه جائز أو مساو لحكم الله. أو أفضل من حكم الله: فإنه طاغوت ولا شك بل هو كافر كفرا أكبر.
- وأما أن حكم بغير ما أنزل الله وهو يعلم أنه عاص لله تعالى ويعتقد أن حكم الله أولى وأحسن: إنما كان ذلك منه لشهوة أو هوى أو مصلحة ويقر بذلك فإن ذلك كبيرة من أكبر الكبائر ومعصية لله تعالى من أعظم المعاصي وصاحبه على خطر وعلى شفاه جرف هار وهو كفر دون كفر. كما جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه ما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ المائدة ٤٤.

كذا ما حدث في هذه الأزمنة من تحكيم القوانين البشرية بدل حكم الله تعالى وشرعه إن كان الحكم بهذه القوانين غالبا في شتى مجالات الحياة فهذا هو الكفر الأكبر لأنه تبديل لشرع الله تعالى بشرع البشر

وإلا أن كان قليلا في بعض الأحوال دون غيرها فإنه معصية كبيرة يجب التوبة منها. والرجوع إلى تحكيم شرع الله تعالى الأكمل، وهذه من المسائل الآنية التي كثر فيها الخوض والجدال دون علم ولا فقه ولا روية ويجب الرجوع فيها إلى أهل العلم الثقاة المعتبرين الذين هم أهل الفقه والفتوى في مثل هذه المسألة الخطيرة التي زلت فيها أقدام وضلت فيها أفهام و انحرفت فيها أقلام ووقع ما وقع بسببها من انتهاك للحرمات وزهق للأرواح وإضاعة الأموال وتدمير البلاد والعباد عياذا بالله تعالى نسأل الله السلامة والعافية.

ثم ختم الشيخ رحمه الله رسالته الطيبة الماتعة بسوق الدليل على بيان معنى كلمة التوحيد لا إله الا الله وذلك من القرآن العظيم.

في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ البقرة ٢٥٦ وقد تضمنت الآية ما جاء في معنى لا إله إلا الله من نفي و إثبات:

فقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ ﴾ فان الكفر بالطاغوت هو معنى النفي لا اله

وأما الإثبات فإنه جاء في قوله ﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ والإثبات هو المستفاد من قول إلا الله.

- **ثم ذكر الشـــيخ** رحمه الله **آخر ما ذكر حديث معاذ رضــي الله عنه الذي خرجه الإمام الترمذي** رحمه الله **. وقال حديث حســن صــحيح وكذلك خرجـه النســـائي** رحمـه الله **و ابن مـاجـة** رحمـه الله **وأحمـد** رحمـه الله **والطبـــر اني** رحمه الله **وعبد الرزاق** رحمه الله **في مصــنفه وهو الحديث تســعة وعشــرون من الأربعين النووية وجاء في هذا الحديث جو ابا على ســؤال معاذ رضــي الله عنه للنبي** صــلى الله عليه وســلم **عن عمل يدخله الجنة ويباعده من فذكر فيه** صــلى الله عليه وســلم **لمعاذ رضــي الله عنه رأس الأمر إظهار التوحيد وقمع للشرك وتقرير إفراد الله عزّوجل بالعبادة وحده و ابطال عبادة غيره.**

الخاتمة:

- قال المصنف رحمه الله تعالى: وَاللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ. لو تجعل لنا خاتمة شيخنا في أسطر تذكيرا لأولى النهى وحمدا لمن بيده الأرض والسموات العلى.
- وختم الشيخ رحمه الله تعالى رسالته المباركة برد العلم إلى الله تعالى في كل ما أورده فيها من بيان وشرح لمسألة ما يعرض على العبد في قبره من الأسئلة الثلاثة المعلومة، وقد اجتهد الشيخ رحمه الله تعالى في سوق الأدلة والشواهد المناسبة لموضوع الرسالة ورد علم كل ذلك إلى الله تعالى تأدبا من الشيخ مع الله تعالى وحسن معاملته معه. سعيا منه لطلب المزيد من التوفيق والتسديد.
- ثم جعل رحمه الله تعالى آخر كلماته الصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التماسا للبركة بركة هذه الصلاة وتنبيها على طلب الأسوة وتحصيلا للأجر والثواب. ثم تذكيرا بصاحب الدعوة الأول إلى هذه الثلاثة الأصول المتضمنة في الأحاديث الشريفة المستفيضة عنه صلى الله عليه وسلم .
- وقد شعرت بأن قلمي الوفي الطيع يُلح على أن أكتب شيئا في آخر هذه الرسالة بعد اطلاعي على طلب ابن بارعزيز، وأخ طيب حبيب إلى قلبي[1] من رجال جمعية مناهل الخير من مدينة الونزة التابعة لولاية تبسة وتلبية لطلبه أقول:

[1] و أنا أيضا أشهد الله أني أحبك في الله و أنت بمثابة الوالد فنفع الله بعلمك ورفع قدرك وبارك في عمرك

- يا محبا لله تعالى ولرسـوله صـلى الله عليه وسـلم وهما أحب إليك مما سـواهما، يا راغبا في الطاعة وراهبا من المعصـية. يا راجيا عفو الله تعالى ورحمته وطامعا في جنته وثوابه، وآملا في النجاة من عذابه وعقابه. يا طالبا الأسوة الحسنة ويا عازما على اقتفاء آثار سلفه الصالحين.
- اسـمع وعِ واعمل والزم رحمني الله تعالى و إياك وأرشـدك لطاعته وكفاك وجعلك مباركا أينما كنت ليس لك سـبيل إلى ما تريد تحقيقه مما ذكرته لك إلا سـبيلا واحدا لا يتعدد ولا يتبدد. وهو ما اتفق على سلوكه العقلاء والفطناء الألباء من أهل الإيمان والتوحيد واليقين. ألا وهو الإقبال على طلب العلم النافع المثمر للعمل الصالح.
- ولتعلم يرعاك الله أن ذلك لن يتأتى إلا بإصلاح النية وصدق العزيمة وعلو الهمة. وتطعيم ذلك كله بملازمة الدعاء والإلحاح فيه. والطلب من الله تعالى الرشاد والسداد والثبات والتوفيق الإمداد وهو الآمر بدعائه حين قال الله تعالى . ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ غافر ٦٠.
- اعلم يا من كنت على نفسـه مشـفقا ومحسـنا إليها أن العمر مهما امتد فإنه قصيـر. وأن العلم مهما حُصل فإنه كثيـر. وأن الفرصة التـي تمنح مرة فقد لا تتكرر مرة آخرى. وأن النفحة التـي تعرض للعبد قد لا تمنح مرة أخرى، فإنه لا ينبغي للمؤمن الموحد العاقل الحصين الرزين تضييع أوقاته هدرا فيما لا ينفع وتبديدها فيما يضره ويعود عليه بالوبال والخسران حين عرض أعماله في الميزان.

- يا ساعيا لتأمين سيــره إلى الله تعالى والدار الآخرة. احرص بارك الله فيك على ملازمة السيــر في ركب قافلة التوحيد في رحلتها الميمونة المأمونة وهي تشـق طريقها في زمن الغربة. ومسـالك الوحشـة واصـغ سـمعك إلى حاديها وهو يسـمع آذان السـائرين فيقول تعالى ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُـولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب ٧١

ويقول تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُــولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓــئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ النور٥٢

ويقول تعالى ﴿يَٰٓــأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ آل عمران ٢٠٠

- واعلم أنه سيعترضك في طريقك أثناء سيــرك من يستوقفك ومن يثنيك ويعقلك ويشغلك وقد يجتهد في ردك وصدك عن سبيل الله تعالى إن وجد إلى ذلك ســبيلا. فاحذر أن تســمع أصــوات الناعقين ونداءات المثبطين المخذلين. وتحذيرات الهالكين واغراءات الفاتنين المفتونين الضالين.
- امض لطريقك واســتعن بالله وحده تعالى والزم غرز من ســبق من أهل الإيمان والعمل الصــالح. والزم مجالس العلم وحلقات الذكر ومصــاحبة الأخيار الأبــرار. الذين يقوى بهم إيمانك ويسلم بسببهم توحيدك. وتزداد بصحبتهم طاعتك لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم . ولا تلتفت إلى غيرهم ممن حرفتهم البطالة وذبح الوقت قربانا للشــيطان و اتباعه. و أبشــر بالخيــرات والثبات ما دمت مســتمسـكا بالحق مســتعصــما بالله تعالى صابــرا مثابــرا محتسبا مفوضا جميع أمرك إلى الله متضرعا مداوما على طاعته فلن يضــرك شــيء، أعد زادك وأحزم أمتعتك وجد في ســيــــرك

وتفطن إلى إعدائك واحذر من مفتنيك و إياك والعجلة والتسرع واصبـــر ولا تتضجر واسمع إلى من قال فأحسن

صَـــبْراً جَمِيلاً مـا أقربَ الـفَرَجَـا ❁❁❁ مـن رَاقَـبَ اللَّهَ فِي الأمـورِ نَـجَـا

مـنْ صـــدق الله لـم يـنـلـهُ أذى ❁❁❁ ومـن رجَـاهُ يـكـونُ حـيـثُ رَجَـا

ولا تنسى

كلُّ ابنِ أُنْثى وإن طالَـتْ سَـلامتُـهُ ❁❁❁ يَـوْمًـا عـلى آلـةٍ حَـدْبـاءَ مَـحْـمـولُ

كتبه الشيخ أبو قتيبة عمر بن محمد الطاهر الشابي التبسي

عفا الله عنه وعن والديه بتاريخ ١٣ ربيع الثاني ١٤٤٥هـ.

الموافق لـ: ٢٠٢٣/١٠/١٨ م بمنزله الكائن بحي يحيى فارس تبسة.

الفهرس

افتتاحية: 3
مقدّمة: 7
ترجمة موجزة لصاحب الرسالة: 10
من مزايا هذه الرسالة: 12
توطئة بين يدي الرسالة: 14
المقدمة الأولى من الرسالة: 19
المقدمة الثانية من الرسالة: 52
المقدمة الثانية من الرسالة: 64
المقدمة الثالثة من الرسالة: 82
الأصل الأول: 93
الأصل الثاني: 165
الأصل الثالث: 222
الخاتمة: 265